منشورات ابن النديم
Editions Ibn nadim

دار الروافد الثقافية

نديم للترجمة

بسكال بونيفاس

المثقفون المغالطون

الانتصار الإعلامي لخبراء الكذب

ترجمة: د. عبد الرحمن مزيان

ابن النديم للنشر والتوزيع
دار الروافد الثقافية - ناشرون

المثقفون المغالطون



بسكال بونيفاس:

مختص في القضايا الجيوسياسية، يدير معهد العلاقات الدولية والإستراتيجية في باريس. من أهم أعماله فهم العالم وكرة القدم والعولمة والمثقفون النزهاء الذي ستصدر ترجمته لاحقا عن الدارين.

الدكتورعبد الرحمن مزيان

مترجم و أكاديمي وأستاذ محاضر بجامعة بشار– الجزائر

هذا الكتاب

لاشك أن كتاب "المثقفون المغالطون" يثير كثيرا من الفضول والجدل. بدءا من العنوان الذي يظهر في بداية الأمر أنه يحملا تناقضا، ذلك أن المثقفين في الفهم العام هم نزهاء بل هم الفئة الراقية في كل مجتمع. أن يأت باسكال بونيفاس ويخلخل هذا المبدأ الذي له شبه إجماع عبر العصور؛ هذا ما يجعل قراءة الكتاب مغرية. من خلاله يكتشف القارئ أن وراء الثقافة يكمن الخبث والنذالة حين ترتبط بالسياسة التي يكون فيها طموح المثقف ضيق الأفق. فالمثقفون المغالطون الذين تحدث عنهم باسكال بونيفاس يتميزون بمناصب حساسة وهم أيضا كتاب وسياسيين في الوقت ذاته. إذن كيف يكون المثقف مغالطا غشاشا وكذابا؟ كيف يجمع بين الثقافة وجوانبها السلبية؟ يوضح ذلك بونيفاس من خلال تعرضه لأهم الشخصيات المعاصرة في فرنسا. وعلى ذكر فرنسا فقد اتخذها كفضاء تجري فيه الأحدث الحقيقية، بحيث يستطيع تبرير أي موقف يتخذه بحق أي شخصية ثقافية يتناولها بالتحليل. مما هو مهم في الكتاب، أن باسكال بونيفاس بطريقة منهجية أكاديمية محكمة عن طريق نقده لهؤلاء المثقفين كان يوجه نقدا لنظام بكامله، متخذا هذه النماذج لتعرية الساسة في فرنسا وكيف يكيلون بمكيالين.

ابن النديم للنشر والتوزيع
الجزائر: حي 180 مسكن عمارة 3 محل رقم 1 المحمدية
تلفاكس: 21341359788
خلوي: 213661207603
email: nadimedition@yahoo.fr

دار الروافد الثقافية - ناشرون
هاتف: 204180 (96171)
ص.ب: 6058 – 113 الحمراء
بيروت – لبنان
email: rw.culture@yahoo.com

ISBN 978-9931-369-66-0



المثقفون المغالطون

الانتصار الإعلامي لخبراء الكذب

ابن النديم للنشر والتوزيع دار الروافد الثقافية - ناشرون

بسكال بونيفاس

المثقفون المغالطون

الانتصار الإعلامي لخبراء الكذب

ترجمة: د. عبد الرحمن مزيان

العنوان الأصلي للكتاب

LES INTELLECTUELS FAUSSAIRES

Le triomphe médiatique des experts en mensonge

Pascal Boniface

المثقفون المغالطون:

الانتصار الإعلامي لخبراء الكذب

ترجمة: د. عبد الرحمن مزيان

الطبعة الأولى، 2015

عدد الصفحات: 174

القياس: 17 × 24

الترقيم الدولي ISBN: 978-9931-369-66-0

الإيداع القانوني: 2014-154

ابن النديم للنشر والتوزيع

الجزائر: حي 180 مسكن عمارة 3 محل رقم 1، المحمدية

خلوي: 03 76 20 661 213+

وهران: 51 شارع بلعيد قويدر

ص.ب. 357 السانيا زرباني محمد

تلفاكس: 88 97 35 41 213+

خلوي: 03 76 20 661 213+

Email: nadimedition@yahoo.fr

دار الروافد الثقافية ـ ناشرون

هاتف خلوي: 204180 (96171)

ص. ب.: 113/6058

الحمراء، بيروت-لبنان

Email: Rw.culture@yahoo.com

المحتويات

اليد التي لا تكتب رجل

الرأس الذي لا يفكر . . .

(المترجم)

تقديم

لا شك أن كتاب "المثقفون المغالطون" يثير كثيراً من الفضول والجدل. بدء من العنوان الذي يظهر في بداية الأمر أنه يحمل تناقضاً، ذلك أن المثقفين في الفهم العام هم نزهاء بل هم الفئة الراقية في كل مجتمع. أن يأتي باسكال بونيفاس ويخلخل هذا المبدأ الذي له شبه إجماع عبر العصور؛ هذا ما يجعل قراءة الكتاب مغرية. من خلاله يكتشف القارئ أن وراء الثقافة يكمن الخبث والنذالة حين ترتبط بالسياسة التي يكون فيها طموح المثقف ضيق الآفاق. فالمثقفون المغلطون الذين تحدث عنهم باسكال بونيفاس يتميزون بمناصب حساسة وهم أيضا كتاب وسياسيون في الوقت ذاته. إذن كيف يكون المثقف مغالطا غشاشا وكذابا؟ كيف يجمع بين الثقافة وجوانبها السلبية؟ يوضح ذلك بونيفاس من خلال تعرضه لأهم الشخصيات المعاصرة في فرنسا. وعلى ذكر فرنسا فقد اتخذها كفضاء تجري فيه الأحدث الحقيقية، بحيث يستطيع تبرير أي موقف يتخذه بحق أي شخصية ثقافية يتناولها بالتحليل. مما هو مهم في الكتاب، أن باسكال بونيفاس بطريقة منهجية أكاديمية محكمة عن طريق نقده لهؤلاء المثقفين كان يوجه نقدا لنظام بكامله، متخذا هذه النماذج لتعرية الساسة في فرنسا وكيف يكيلون بمكيالين.

يركز باسكال بونيفاس في هذا الكتاب كثيرا على وسائل الإعلام الفرنسية وبالخصوص القنوات التلفزية التي تلعب دورا كبيرا في بث أفكار هؤلاء المثقفين بين مشاهديها. وقراءتنا من زاوية أخرى لترويج هذه القنوات للأفكار هو أنها تمتاز بقوة بحيث أنها تسيطر بشكل شبه كلي على المنظومة المعرفية للفرنسيين. لهذا نجده قد تطرق لكل القنوات ومدى تأثيرها ومن هم

الضيوف الذين تدعوهم لترويج أفكارهم. يقول باسكال بونيفاس أن كل من يدعم إسرائيل واللوبي الصهيوني بشكل غير مشروط يكون هو صاحب الدعوة. وإذا أراد أن يكون أكثر حضورا من زملائه المدعوين عليه أن يركب الموضة الثقافية أي التنديد بالإسلام.

الجانب الثاني الذي يأتي بعد القنوات التلفزية هو الصحافة المكتوبة. بالطريقة ذاتها تنشر المقالات وتمنح الأعمدة الصباحية اليومية والأسبوعية لمن تتوفر فيه الشروط المطلوبة أعلاه. كما يتم طرد كل صحفي أو متعاون من الصحيفة أو التلفزيون بطرق خبيثة وفي الأخير يضع عليه الحصار بحيث لا يستطيع العمل مجددا في أي منبر فرنسي كان. درجة التواطؤ كبيرة وصلت إلى حد إشراك بعض النافذين في المغالطة الثقافية في رأس مال الجريدة مثلما هو الأمر بالنسبة إلى بيرنار هنري ليفي الذي صار شريكا في رأسمال جديدة ليبيراسيون الفرنسية مما زاد في نفوذه الثقافي المغالط والسياسي الموالي لأسرائيل.

المجال الثالث هو الإذاعات الفرنسية، كفضاء آخر من خلاله يتم تضليل الرأي العام الفرنسي وتوجيهه بحسب متطلبات الساسة عن طريق المثقفين المغالطين. وإن كان هؤلاء قليلون لكن الوساءل التي منحت لهم قد مكنتهم من تحقيق الكثير مما روجوه داخل المجتمع الفرنسي. إذن المواطن الفرنسي الذي يشاهد التلفزيون يستمع إليهم، والذي يقرأ الجرائد يقرأ لهم والذي يستمع للإذاعة يسمعهم. تبقى فئة رابعة هي:

دور النشر، معلوم أن الكتاب في فرنسا يعرف رواجا كبير سواء الكتاب الورقي أو الإلكتروني. كل عمل يقوم به واحد من بين المثقفين المغالطين إلا ويعرف رواجا مدهشا سواء في المعارض أو عن طريق التعريف به في الصحف والمجلات والحصص الثقافية المتلفزة. بطبيعة الحال هذه المجالات الأربعة تغلق في وجه كل من لا يندد بالدين ولا يقدم الدعم اللامشروط لإسرائيل، مثلما حصل لبسكال بونيفاس في هذا الكتاب أو غيره من الكتب.

أما الجانب السياسي المغلوط لدى هذه الفئة هو مواقفهم السياسية

وتأثيرهم في السياسة الفرنسية سواء في الداخل أو الخارج. بحيث أثروا في موقف فرنسا إزاء الحرب في العراق. واعتبروا أن كل من يناهض الحرب هو مساند لصدام حسين مثلما فعلت كارولين فوريست. كما أن الدور الذي أصبح المثقف المغالط منوطا به ليس ترويج الأفكار العارية من الصحة فقط، بل نشر الإشاعات ضد كل من يخالفه الرأي؛ كما لو أنهم يدعون لحزب واحد ومنطق تفكير واحد. إنهم يعملون على اغتيال الاختلاف الذي يؤدي إلى التقدم والذهاب إلى الأمام. أن يحاصر كاتب كاتبا آخر لأنه خالفه أو قدم له نقدا علميا في فرنسا المعاصرة هذا شيء لا يقبله لا العقل ولا المنطق. لماذا؟ لأنه بكل بساطة فرنسا التي انبنت على الفكر الفلسفي المعاصر، فرنسا التي تعرف بفلسفاتها وعلومها التي كانت وما تزال تخرج من رحم السربون من كوليج دوفرانس ومن مكتباتها التي تحاكي التاريخ؛ ها هي اليوم تحارب من قبل فئة من المثقفين.

ليس لأن المثقفين المغالطين لهم النفوذ الاجتماعي والسياسي والثقافي فقط، بل أنهم يحاولون قتل الفلسفة. وقتل الفلسفة هو نهاية مسيرة أمة مثلما حدث عند العرب. حين يدعي بيرنار هنري لفي أنه فيلسوف القرن ويكتب عن الفلسفة المعاصرة، إنه بحسب باسكال بونيفاس ليس فيلسوفا ولا يمت بصلة إلى الفلسفة. لأن الفلسفة تناقض الكذب وتجاري الحقيقة. كل ما قاله بيرنار هنري ليفي يجانب الحقيقة. إذن عملية منطقية إما أن تنتصر للحقيقة كما هي نتائجها أو أنك تعاديها بتغيير نتائجها وبالتالي تصبح مغالطا، وتعمل على قتل الحقيقة في الأمة. حين تصبح كل وسائل الإعلام الفرنسية بشتى طرقها تعمل من أجل زرع الأكاذيب وتغير الحقائق فإن أول المتضرر من هذه الوسائل هو الفكر الفرنسي المعاصر. لكن يمكن أن نقرأ الورقة من زاوية أخرى. هل لا يمكن اعتبار هذا الصراع بين المثقفين المغالطين والمثقفين النزهاء بحراك ثقافي جاء نتيجة لحركية المجتمع الفرنسي؟ يمكن الإجابة بنعم. ذلك أن باسكال بونيفاس في ملحق كتابه تمنى الوصول إلى فضاء تعبيري ينتصر للاختلاف. من هذا الجانب يمكن القول أن وجود هؤلاء المثقفين ضروري نوعا ما على اعتبار أن لا وجود لمجتمع مثالي. وأن المجتمع لا يتقدم بوجهة نظر واحدة ووحيدة، بل بالاختلاف في إطار علمي

وفلسفي وثقافي. مهما حاول البعض من إيقاف عجلة التاريخ فإنهم لن يفلحوا في ذلك؛ إلا في حالة واحدة هي حين يدمرون مجتمعا كاملا بالحرب مثلما وقع في أفغنستان والعراق وليبيا. . . إلخ.

في البداية قلنا مع باسكال بونيفاس أنه يقدم نقدا علميا ليس لأشخاص بل لنظام بكامله. وعليه نجده يركز على القضايا الساخنة في العالم مثل التنديد بالإسلام واعتباره مساويا للإرهاب من قبل وسائل الإعلام الفرنسية عن طريق مثقفيها المغالطين. في هذه النقطة بالضبط يطرح إشكالا كبيرا هو صدام الحضارات. هذا الصدام الذي يرفضه باسكال بونيفاس جملة وتفصيلا. لأن هذا الصدام ما هو في الحقيقة إلا خدعة من خلالها يريد البعض تقوية المركزية الغربية وتهميش باقي شعوب العالم. كما أن ضرب المجتمعات الإسلامية يكون عن طريق الترويج السلبي لهذا الدين. بحيث أن كل المحاولات الانتحارية أو التفجيرات في أي مكان في العالم، إلا ويكون السبق الصحفي في اتهام جماعة إسلامية تكون هي المسؤولة عن العملية دون التحقق من الفاعل وفي الكثير من المرات تجانب هذه الصحف الحقيقة. بحيث وصل باسكال بونيفاس إلى ملاحظة مهمة جدا مفادها أن أول من يتهم المسلمين هي الصحافة الفرنسية وأول من يدين تلك العمليات هم المسلمون تجنبا لإلصاق التهمة بهم.

معروف على المثقفين الفرنسيين مساندتهم للقضايا العادلة في العالم وانتصارهم لحقوق الإنسان وحقوق المرأة واحترام العلمانية والديمقراطية. لكن حين يتعلق الأمر بالفلسطينيين يلغى هذا المبدأ لدى المثقفين المغالطين، ويصبح بالتالي كل من يساندهم في مصاف المعادين لإسرائيل مثلما حدث مع بونيفاس. منطق إما أن تكون معي أو أنت ضدي. هذه المعادلة أصبحت وحدة قياس لدى هؤلاء. أن تساند طرف فأنت ضد الطرف الآخر حتى ولو كان على خطأ. والتنديد بالقتل لا يطال إسرائيل بل الفلسطينيين. تكون إسرائيل في باب الدفاع عن النفس والفلسطينيون في باب الإرهاب مثلما هو الشأن بالنسبة إلى قطاع غزة وحزب الله في لبنان. حقوق المرأة نعم لكن حين تسجن الفلسطينيات لا يمكن الحديث حينها عن الحقوق بل يحور الموضوع ويقرأ بطريقة عكسية وهي أنهن إرهابيات. إذن

ينقلب المنطق هنا لم تعد القضية وجهان لعملة واحدة، بل العملة الواحدة لها وجهان مختلفان بعضهما بعضا. القضية واحدة لكن الحكم مختلف بحسب موقعك فيها. فرنسا الديمقراطية تعمل على تحرير الشعوب، لكن كما سجل ذلك باسكال بونيفاس هي التي ساندت ابن علي في تونس وحسني مبارك والقذافي وغيرهم لسنين طويلة وهم يبطشون بشعوبهم. كانوا ديكتاتوريين وأسقط بهم وهم كذلك. لم تفكر لا فرنسا ولا الغرب بأكمله في تحرير هذه الشعوب من ربقة الاستعباد. لكنها روجت في وسائل إعلامها أنها حررت العراقيين والليبيين هذا لأن مصالحها هناك أكبر من التحرير بل أن التحرير كان حصان طروادة.

في الأخير ننبه القارئ أن هذه الترجمة قد حوت فصلا غير منشور من قبل في الطبعات السابقة.

الجزء الأول

عن انعدام النزاهة الفكرية على وجه العموم

تمهيد

فكرة هذا الكتاب شغلتني منذ مدة طويلة. لم أتفاجأ في العديد من المرات ولم أبين عن شعور غضب أو انزعاج، حين كنت ألاحظ خلال نقاش عام أن خبيرا يتلفظ بما هو مخالف للحقيقة وأن هذه الأخيرة كانت تمر كرسالة عن طريق البريد؟ لا أتحدث هنا عن خطأ بل عن كذب مقصود ومتحمل من قبل صاحبه. في هذه الحالة، المختص المدعو لتنوير الجمهور يخدعه ولا يؤدي مهمته.

أنا الذي أخشى دائما أن أكون غير دقيق أو مضبوط بما فيه الكفاية، لأرتكب خطأ، وأن أقتل ذاتي إذا ما حصل أن ارتكبت خطأ، إني أنذهل من كل هؤلاء المثقفين والخبراء الذين ليس لهم دقة في استعمال حجج مغرضة، ويتلفظون بغير الحقيقة، من أجل ربح المعاهدة. يظهر أن وقاحتهم وابتعادهم التام عن الدقة غير محدود ومشكل للورقة الرابحة. بعكس تحمل الإنكار العام، نهلل لهم من جديد. أن نكون بلا حياء، ليس هذا بلا طائلة ويظهر أن لا خطر فيه. «الكذب الحقيقي» في حالة ممتازة. مرة أخرى، لا أتحدث هنا عن الأخطاء، التي يمكن لأي أحد أن يرتكبها. أيضا... البعض يراكمها دون أن يعاينها. الرياضي الذي يحصل على النتائج المخيبة لن ينتق مرة أخرى. خبير يمكنه أن يتابع الأخطاء ما دام مدعوا لحصة تلفزيونية. بمجرد أن تسلط عليه وسائل الإعلام لن ينزل إلى الأرض ثانية.

إن الذين يخدعون أكثر من الذين ينخدعون: «المغالطون». يلتجئون إلى حجج لا يصدقونها كي يقنعوا المشاهدين والمستمعين أو القراء. يمكنهم أن

يصدقوا قضية ما، لكنهم يستعملون مناهج خبيثة ليدافعوا عنه. إنهم إذن «المغالطون» الذين يصنعون العملة الثقافية المزيفة ليضمنوا تربعهم على سوق اليقين.

أسوء من ذلك أيضا: «المرتزقة». هؤلاء لا يؤمنون بشيء، إذا لم يكن لهم. ينضمون (أو بالأحرى يتظاهرون بالانضمام) إلى قضايا، ليس لأنهم مقتنعين بشرعيتها، بل لأنهم يتمنون أن يكونوا حامليها، وأن يسيروا في اتجاه التيار المهيمن.

بقوة ترديد الحجج ذاتها، يمكن «للمرتزقة» أن ينتهوا بالاقتناع الذاتي لصحة التزامهم. الحدود بين «المغالطين» و«المرتزقة» ليست دقيقة. في كل الحالات، كلهم واعون بأنهم على النقيض من النزاهة الثقافية، كما أنهم لا يقلقون وذلك لسببين.

الأول هو أن الغاية تبرر الوسيلة. يعتقدون أن الجمهور الواسع ليس ناضجا بما فيه الكفاية ليوازن بين الأشياء، وأنه من اللائق قيادته بمناهج دقيقة نوعا ما.

الثاني هو أنه انطلاقا من اللحظة التي يدافعون فيها عن أطروحتاهم المهيمنة ومناهجهم الذميمة لن يعاقبوا أبدا. لماذا التخلص من الدقة؟ قول الحقيقة يستلزم جهدا إضافيا لليقين. التلفظ بكذبة لم يعد على الإطلاق تجريدا من الأهلية. يجب أن تكون أبلها حتى لا تستغل.

أتذكر نقاشا خضته خلال نزهة في انتظار اجتماع، مع عالم الاجتماع والصديق ميشال فيوفيوركا Michel Wieviorka. كنا نتحدث عن نقاش الأفكار في فرنسا. سألته ما إذا كان قد استعمل حجة وهو يعلم أنها غير مضبوطة أو خاطئة، وأنها قد أعطته أفضلية دامغة في النقاش. أجابني على الفور أن هذا لم يحصل له وأنه ليس ممكنا له. لم يكن يشعر أنه قادر على تحمل كذبه، هذا لهدف يقدر. أنا في الحالة ذاتها. لن أتجرأ أبدا على إثبات أني لم أنخدع، لكن قادر على إثبات أني لم أنوِ خداع الجمهور عن قصد وأرفض الالتجاء إلى النفاق.

لا يجب أن يؤدي هذا إلى التفكير بأنه يوجد نوع من المؤامرة وأن المهيمنين يتراضون ليحتموا بأنذال ورفاق لحماية مصالحهم. ليس علينا أن نقع في «الجميع فاسدون». ولا أي تنظيم سري يتحرك في الظل ليشجع المثقفين على بضاعته من أجل إبقاء الجمهور في الجهل وتحت هيمنته. مع ذلك، لا يجب أن يتملص تفنيد الأطروحة التآمرية من سؤال جوهري: لماذا «المغالطون» لا ينكشفون بل ينتفعون، بالعكس، من امتياز مقارن بالنسبة إلى أولئك المفرطون في الدقة ليتجرؤوا على التحرر من قواعد النزاهة الثقافية؟ كيف نفسر هذا الإفلات من القصاص؟

أصبح احترام مزايا النزاهة والكرامة في تناقص كي نكون محميين دائما. لم يعد المثير للسخرية يقتل على الإطلاق، حتى بدأ يظهر في بعض الحالات على أنه تورط الفتوة الدائم. النزاهة الثقافية لم تعد ميزة لشرط العرض الإعلامي. ليس الكلام هو وحده الذي يطير، الكتابات أيضا. الأفضلية معطاة غالبا للذي ينتقد موضوعه بطريقة قاطعة (والذي لا يتعانق مع دقة الواقع)، حتى ولو كان لكل واحد في ذاكرته التناقض، النسيان أو الكذب الدقيق.

بالرغم من الإنترنيت الذي يسمح بسهولة كبيرة مما كان سابقا، بالعثور على التصريحات الماضية (من حيث عداء أغلب «المغالطين» لهذا الإعلام الذي لا يتحكمون فيه)، لم ينجز عمل البحث إلا نادرا. إنها تفرض الزمن وتحث على خطر اتخاذ أعداء أقوياء. إن الذي يعارض الأكاذيب الثقافية الإعلامية لا يدخل مجال الإعلام أبدا، هذا الأخير لا يريد انتقاده!

لقد ترددت كثيرا في كتابة هذا العمل. في الواقع، انتظرت كثيرا اقترانا آخر بالمهمة. بصفتي «عضوا» في الوسط الثقافي، لست طرفا وحكما في هذه القضية؟ البعض لا يتوان في اتهامي بتصفية الحساب. إنهم خاطئون. إذا كان هناك عدد من الكتاب يخاصمون هذه الشخصية أو تلك، تكون بصفة عامة بدافع التنديد باتخاذ مواقفهم، في حين مثل هذا ليس موضوعي. النقاش حر ويجب أن يكون لكل واحد حرية التعبير عن قناعاته ورفضه للقناعات الأخرى. ما يطرح (إلي) مشكلة هو المنهج. ما لا يمكن أن

نتسامح معه في رأيي، هو المكان المركزي الذي يحتله الكذب في النقاش العام. لقد ركزت موضوعي على القضايا العالمية والاستراتيجية، بالتأكيد أن المجال الثقافي ليس هو الذي يملك احتكار «المغالطين»، هو الذي أعرفه وحيث أستطيع أن أكشفهم.

يمكننا مثلا الاعتقاد بأن حرب العراق قد بررت، لأنها سمحت بالقضاء على ديكتاتور. شخصيا لا أشاطر وجهة النظر هذه، حرب من هذا النوع قد جاءت في رأيي لتفاقم المشاكل عوض حلها، الديمقراطية لا تصدر عن طريق الحرب. إنها قضية مهمة وكل واحد حر في رأيه. بالمقابل، إثبات أن العراق كان يملك أسلحة الدمار الشامل وأنها كانت مبررا للحرب للقضاء عليها، في حين أنها لم تكن حقيقية، هذا لا يشارك في نقاش الأفكار. إنها احتكار الرأي والأخبار الخاطئة.

حين تكذب النخبة بهذه الطريقة، لا يجب أن نستغرب انقلاب الجمهور عليها. والحال هذه، أن القطيعة بين المواطنين الفرنسيين والنخب تكبر أكثر فأكثر. إنها خطر على الديمقراطية، «المغالطون» هم مرقد الديماغوجيين.

للمشاركة في عدد من المحاضرات والنقاشات، الإعلامية أو العامة، أعرف أن الفرنسيين أقل جهلا أو أنهم غير قادرين على إصدار حكم من الاعتقاد به بسخرية، «فرنسا العالية». الجمهور ليس غبيا. إنه صارم مع «المغالطين» أكثر من النخب. الكذب ليس ضروريا وأنه معاكس للحقيقة. أعرف أيضا أن مواقفي بخصوص عدد من المواضيع تغضب الذين لا يتقاسمونها معي. لكن يشق عليهم التشكيك في صدقي. زد على ذلك، أني أقول وأكتب ما أفكر به، وليس ما أعتقد أن فيه مصلحة قوله أو كتابته وأن بعض الأبواب مغلقة أمامي. لو أردت اتباع مصالحي، لكنت قد عدلت خطابي في عدة مواقف وأحيانا اجتنابها حتى وإن كان لي موقفا منها.

الشهادات المتعددة للأشخاص الذين لا أعرفهم، والذين يشكروني على صدقي هم أحسن مكافأة لي.

1

فرنسا البلد الذي فيه المثقفون ملوكا

جون بوطوريل في رائعته أعزائي الخداعين يحكي أن فرنسوا ميتران حين انتخب حديثا رئيسا للجمهورية استضافته مارغاريت تاتشر في المملكة المتحدة، طلب لقاء مثقفين. مصالح مكتب الوزير الأول ردت أنه بإمكانها إيجاد كتاب، مؤرخين فلاسفة وباحثين لا مثقفين.

في فرنسا ينتشون بنفوذ خاص يمكن العودة بأصله إلى قرن الأنوار وتجدره في مشهدنا وإلى زولا وقضية دريفوس .Dreyfus ببساطة ليسوا مفكرين أو علماء فقط. بالتأكيد، بإمكانهم رفع مستوى المعرفة وإبعاد حدود المجهول ومشاركتهم في نقاش المجتمع الذي يميز ويجعلهم يدخلون في هذا القانون المثمن للمثقف.

لفولتير هالة خاصة لأنه -زيادة على عمله- تحيز لأسباب باسم الفكرة التي وضعها للعدالة، بالتحديد، برمزية قضية كالاس affaire Callas، هذا البروتستنتي الذي اتهم ظلما، بسبب عقيدته، أنه قتل ابنه. إن الالتزام السياسي لفيكتور هيجو، سواء تعلق بالدفاع عن الجمهورية، النضال ضد حكم الإعدام والتصدي للقضية الاجتماعية، جعل منه أكبر مشاهير فرنسا. «الاتهام» لزولا جاء لصالح ضابط برئ اتهم لأنه يهودي ساهم بقدر كبير في بصمته في التاريخ. كتابة روغون ماكار. مالرو لم يكتب عن الجمهوريين الإسبان بل كان إلى جانبهم.

المصطلح ذاته ورث عن قضية دريفوس، ثمانية أيام بعد صدور «الاتهام»، كتاب كليمانصو: «أليس علامة، كل هؤلاء المثقفين الذين أتوا من أركان الأفق ليلتفوا حول فكرة؟» تحرك باريس والسخرية من «احتجاج

المثقفين». انطلق مفهوم[1] الالتزام من أجل أسباب تعتبر ككونية -وليس الترافع من أجل المصالح الخاصة-، ووضع شهرتها في خدمة الذين لا يتوفرون عليها، طيب، أن توضع في خدمة الآخرين بطريقة مرضية، لقد تحصلوا على اعتراف المواطنين. نفوذهم في مستوى إخلاصهم وتحملهم للمخاطر، لن تكون المعارك ضد السلطات بالمواجهة.

هذا القانون الخاص جدا، لمن يصلح؟ ما هو الدور الذي يجب أن يلعبه المثقفون؟ كيف يحققون مهمتهم؟

أصدر في سنة 1927، جوليان بوندا، خيانة رجال الدين. يندد فيه بموقف رجال الدين (نسميهم اليوم المثقفين)، أي «كل الذين لا يتبع نشاطهم، بالأساس أي غاية ملموسة ». يأسف عليها في قرننا الذي «كان بحق قرن التنظيم الثقافي للحقد السياسي[2]». مع ذلك يضيف: «في نهاية القرن التاسع عشر حصل تغيير أساسي: بدأ رجال الدين يلعبون الأدوار السياسية. هذا ما شكل كبحا لواقعية الشعوب الذين جعلوا أنفسهم منها محرضين[3]». باندا يعتقد أن بحث الحقيقة وحده يجب أن يوجه رجال الدين. إنهم إذن يبجلون ابتعاد المثقفين إزاء الأهواء المعاصرة. «إنه عمل بديهي ذلك أنه منذ مائتي سنة، أغلب الأدباء في فرنسا الذين وصلوا إلى شهرة كبيرة، فولتير، ديدرو، شاتوبريان، لامرتين، فيكتور هيجو، أناتول فرنس وباريس، اتخذوا مواقف سياسية. نلاحظ أن الشهرة الحقيقية عند البعض تبدأ من اللحظة التي يتخذون فيها موقفا. هذا القانون لم يفلت من تابعيهم[4]». بالنسبة إليه، الالتزام يؤدي إلى أن يكون الفرد مناصرا، أن يكون قصده سيئا وأن يبتعد عن النزاهة الثقافية، التي يجب أن تجعل المبدأ المطلق مستمرا.

على عكس طريقة بوندا، يفسر آخرون أن الصمت، اللا التزام

(1) Jean Bothorel, Chers impostures, Fayard, 2008, p10.

(2) Julien Benda, La Trahison des clercs, Grasset, réédition 1975, p126.

(3) Ibid., p132.

(4) Ibid, p204-205.

واللامبالاة لقضايا المجتمع وللحياة الحقيقية هي التي تشكل «الخيانة لرجال الدين». على المثقفين أن يجتمعوا لجعل موهبتهم وشهرتهم في خدمة القضايا الأكثر عمومية ويلتزموا ليناضلوا ضد الظلم. هكذا يعمل بول نيزان بقوة في "كلاب الحراسة"، الصادر للمرة الأولى في سنة 1932. يتسائل في الحال، إذا ما كان ما يزال بإمكان الشباب المبتدئين في الفلسفة أن يشفوا غليلهم من «العمل ليلا دون التمكن من الجواب على أي تساؤل حول معنى وحمولة البحث حيث ينخرطون[5]». بحسبه: «إنه من المبكر إحراجهم. أن نطلب رأيهم في الحرب، في الاستعمار، بخصوص عقلنة المعمل، حول الحب، حول طرق الموت المختلفة، حول الانتحار، الشرطة، الإجهاض وحول كل العناصر التي تشغل حقا الكون. إنه من المبكر أن نطلب مشاركتهم[6]».

وعليه، يندد نيزان «الناس الذين هم نتاج الديمقراطية البورجوازية، يشيدون باعتراف كل الأساطير التي تندد بها[7]». ويخلص إلى «أن مفكرا لا يطابق فكره لعمل التحرر يجعل صداقته المعلنة للناس عقيمة[8]».

بخصوص جون بول سارتر (الذي كرس مقدمة طويلة لعمل «دليل» لنيزان، عدن العربية)، يشكل المثقفون «تنوعا بشريا اكتسب بعض الشهرة ببعض الأعمال الناتجة عن العلم، العلوم الدقيقة، الطب والأدب[9]» يفرطون (يشدد عليها جون بول سارتر) في هذه الشهرة ليخرجوا من ميدانهم وينتقدون المجتمع والسلطات القائمة باسم إدراك عام ودوغمائي للإنسان. وسيبحث سارتر تجسيد هذا النموذج من المثقف الملتزم. إنها إحدى صوره الشهيرة زد على ذلك هذه الصورة التي نراه فيها يبيع الجريدة الممنوعة قضية الشعب، أمام معمل رونو لبيلانكور، المقر الرمزي للطبقة الفرنسية العاملة.

الموقف -دون تقاسم طريقة سارتر ونيزان المحكوم عليها أنها

---

(5) Paul Nizan, Les chiens de la garde, petite collection Maspero, 1960, p9.

(6) Ibid, p38.

(7) Ibid, p52.

(8) Ibid, p118.

(9) Jean Paul Sartre, Plaidoyer pour les intellectuels, Gallimard, 1972, p13.

«يسارية» بالتأكيد- سيكون اليوم أكثر امتيازا لتأويلهما الشامل لدور المثقف من طريقة بوندا. الأول يعتبر كسخي، الثاني كأناني، كانطواء على الذات وكاللامبالاة بمأساة العالم. إنها مفارقة لحقبة حيث لم تتطور الأنانيات إطلاقا، حيث المساندات القديمة (للطبقة أو البين الجيلية) لم تضعف، الانتباه المخصص للآخرين والمستحسن تقريبا، بالنسبة إلى الذين لهم هيأة عامة، صورة مفروضة وإنسانية في العالمية واجتماعية على المستوى الداخلي.

أمام تطور اللا تكافؤ، للنمو المتصاعد للظلم، للاختراق المتعدد لحقوق الإنسان والكرامة الإنسانية ومعرفتهم المبسطة من قبل العولمة والإعلاميات تبقى على أنانيتهم، إنها علمية كما أنها لم تعد يقينية. كان يقال من قبل من الأفضل أن نخطأ مع سارتر عوض أن نصيب مع آرون، زميل دراسته السابق ومنافسه في الفلسفة، ومداح اليمين المعتدل. اليوم، الرأي والنخب مجتمعة تعتقد أنه من الأفضل أن نخطئ مع سارتر عوض أن نصيب مع باندا.

لنذهب إذن إلى الالتزام. هناك العديد من القضايا التي يجب الدفاع عنها، ظلم يجب مقاومته، وأهلا بالإرادات الحسنة. من المثقفين إلى نجوم العروض التجارية، كل واحد يتصرف فيها بحسب قضيته. هل هذه الالتزامات، صادقة أو أنها موجهة بطريقة الصورة الإيجابية، أو لضمان التعاطف الشعبي، أو هي نجاح؟ مغنى مالي منفي يحيي سهرة «بقايا القلب» هل هو حقيقة سخي؟ هل ليس من النجاعة في المقاومة ضد الفقر والأكثر صدقا في امتداده التضامني بدفعه ضرائبه في فرنسا؟ هل يدافع مثقف عن قضية من أجل خدمتها أو استعمالها من أجل تحسين شهرته، شعبيته وفضائه الشخصي في المشهد الثقافي أو أيضا في مبيعات كتبه؟ صعب رسم حاجز محكم السد بين إرادة المساعدة والأفكار الشخصية المسبقة. لكن إذا لم توجد إرادة استقصاء القلب والذهن، ربما هناك فيه ميزة تسمح بقياس القضية التي تدافع عنها، من السهل استعمال المثقف حججا صادقة أو بالعكس، هل لا يتردد في الكذب؟ طيب، هل يحترم في الوقت ذاته

مستلزمات الحقيقة لبوندا وضرورة التزام نيزان أو سارتر؟ يظهر لي أنه محترم بهذا الشرط فقط.

ميزة أخرى، ميزة الشجاعة: حين أصدر زولا «الاتهام»، قد خاطر شخصيا ومهنيا. أجبر هيجو على منفى قاس بسبب مواقفه. اليوم، توقيع عارضة من أجل دايلا لاما تنديدا بالنظام الصيني لا تؤدي لأي خطر. اللوبيات الصينية (ليس بعد) لن تكون أكثر قوة[10]. هكذا العديد من المثقفين يتخذون مواقف مناسبة عكسية للمضايقات التي يمكن أن يتحملوها. هذا لا يعني بالضرورة خداع بل نسبية بعض الاستعمالات.

---

(10) نلاحظ حينها أنه حين عينت مدينة باريس الديلا لاما مواطنا شرفيا، منتخبي المقاطعة الثالثة عشر حيث التجمع الصيني متعدد قد صوتوا ضد كل اتجاه سياسي مبهم .

2
خطأ وسائل الإعلام

تكرس مجلات الأخبار بطريقة متواترة ملفات ثقافية في فرنسا، أو بالأحرى إلى السلطة الثقافية في فرنسا. هذه الأخيرة هل هي في الأفول؟ إذا كان نعم، ما هي الأسباب؟ السؤال تقريبا طقوسي في الصحافة الفرنسية مثل ألم الظهر أو العقار أو الماسونيين.

العظام مثل آرون وسارتر، حين ينخرطون في النقاش العام، يجعلونه انطلاقا لعمل منطقي. اليوم، ألا يفضل البعض الحضور في وسائل الإعلام في الإنتاج الثقافي الحقيقي؟ هل يمكننا خلق عمل دائم ونكون متعددي الحضور في الحصص المتلفزة؟ من بورديو إلى ريجي دوباري، إن ردود التلفزيون كأداة للتأمل أو كفضاء في كنفه -يمكن التعبير عن فكرة بوضوح- عديدة ومبرهن عليها. بخصوص السلطة الثقافية بفرنسا، كتب ريجي دوباري منذ أكثر من ثلاثين سنة: «تعمل وسائل الإعلام لصالح الفرد وليس الجماعة؛ للإحساس وليس للعقل؛ للفردانية وليس للكونية. هذه الميزات الثلاث متلازمة في الدعامات الجديدة، التي لا تجعل منها جوهريا إلّا ميزة واحدة، ستحدد من الآن فصاعدا، طبيعة الخطاب المهيمن، ومنفعة حاملها. إنها توفر في الوقت ذاته إستراتيجية فردية واختلال النظام الجماعي. لم تعد في حاجة إلى قواعد ولا قضايا ولا الحمولة المفاهيمية إطلاقا[11]».

في التلفزيون، الوقت قصير. نتذكر هذا التساؤل لبيرنار بيفو في الاستشراق الكبير لمكسيم رودنسون في نهاية حصة: «في ثلاثين ثانية

(11) Règis Debary, Le Pouvoir intellectuel en France, Ramsay, 1979, p97.

يمكنكم أن تقولون لنا ما إذا كان الإسلام عنيفا أم لا؟» الإعلام المتلفز ساخن وبارد الحدث برودة التحليل أو أن طول الوقت البيداغوجي غير موجود.

إن الصورة مفضلة مقارنة باللغة. الذي يظهر جذابا مفضلا عن الذي يفكر بحكمة. الذي يعبر جيدا مفضلا مقارنة بالذي يفكر بتمعن. هذه المظاهر قد قلبت السلم الهرمي للمثقفين. عند ساعة التلفزيون المنتصر، هل اعتبر آرون وسارتر كـ«زبائن جيدين»؟ هل أهمية أعمالهم المكتوبة قد اخترقت الحاجز السمعي البصري؟

حسب ريجي دوباري: «الموقف الإعلامي هو التتويج المنطقي لمدة العمل الثقافي. هو الذي يحافظ اليوم على طغمة الملائكة الثلاثة ويصنع الملوك[12]». كان على الذين نسميهم المثقفين الإعلاميين إذن أخذ مكان المثقفين بلا زيادة. هل يمكن أن نكون مثقفين وإعلاميين؟ أليس هناك تعارض لشكل التعبير أو التأمل من النوع الفيزيائي أو جدول الأعمال؟ أليس من الأفضل أن نكون مسلطين للضوء من مثقفين؟ الوقت المخصص لإظهار الذات أليس الذي يفكر مغتصبا للذات؟ هل نفضل التفكير أو التجميل؟

ما هي مصادر هذه الظاهرة؟ هناك قضايا متنوعة ليست بالضرورة مرتبطة بعضها بعضا، لكنها متشابكة.

إن تطور القنوات التلفزية والراديو، تجعل الالتجاء إلى الخبراء ضروريا أكثر من ذي قبل، مفروض أنه يقدم دليل مصداقية لكلام الصحفيين. أصبح الخبراء وجها آخرا متكررا للنقاشات إلى جانب المثقفين. تكون الحدود أحيانا ضبابية بين الصنفين. غالبا ما يستدعى الخبراء لتنوير الجمهور والضغط على الرأي العام. المطلوب منهم هو التنشيط من جديد، أما التكيف مع وقت الإعلام القصير هو تشخيص تعليمي لموقفهم.

التلفزيون هو الوسيلة التي من خلالها نتوجه إلى أكبر قدر من المشاهدين. الصحافة المكتوبة ليس لها احتكار بيداغوجي: يمكنها أن

---

(12) Ibid, p121.

تستسلم «للجمل القصيرة» على حساب الملفات الجوهرية. إن حصص النقاشات المتناقضة والمفتوحة، حيث للمشاركين الوقت لتفصيل حججهم وإرضاء رغبة فهم المشاهدين، موجودة، على غرار «C على الهواء». لا أحد له وقت الرفاهية ولا الإرادة لقراءة كتاب علم ليحيط بقضية مطروحة. والكتب -رغم الاحترام التي بقي لها في هذه الأوقات الرقمية- يمكن أن تكون وسيلة لتزييف الأخبار. التلفزيون أداة بميزاته وحدوده، ولا شيء يمنع أن نجعل منه استعمالا جديرا بالاحترام من أجل الجمهور.

غالبا ما نقول أن وسائل الإعلام تشكل الرأي. أو أنها تحرفه. الفكرة التي هي من أجلها هنا هي إعادة ترتيب معلومات الذهن، حجب الرهانات الأساسية، وترك الذهن في الجهل موجود بكثرة. أحيانا لا نكون بعيدين كثيرا عن نظرية المؤامرة. المدير السابق لليبراسيون، لوران جوفران، كرس كتابا لهذا الموضوع، معنون بالإعلام جنون العظمة[13] فيه وصف الفشل النسقي إزاء التلفزيونات، الراديو والجرائد تحت زاوية مؤامرية وعنيفة. كتب: «انتشرت تدريجيا الفكرة في وسط الجمهور، إن النظام الإعلامي ليس سوى آلة ضخمة لاحتكار الرأي الذي هو في خدمة مصالح مظلمة وشريرة، إنه منطقة واحدة للسلطة بلا استقلال تام ولا قواعد مطلقة لمعالجة الأخبار».

إن تبني مثل هذه الرؤية للإعلام ودوره بالتأكيد مبالغ فيها. يوجد في حضن كل التحريرات تفاوت حول معظم المواضيع. الشيء نفسه، إذا كان المساهم أو مدير التحرير يمارس بعض التأثير، ليسوا أحرارا تماما ويصطدمون أحيانا مع مواقف بعض صحافييهم. ثم، يمارس المشاهدون، المستمعون والقراء اتجاههم النقدي: لا يمكن أن نجعلهم يبلعون أي شيء. «يمكننا أن نكذب مرة على الجميع، لكن ليس كل الوقت على الجميع». مع ذلك، دون أن نسقط في الذهان، يمكننا التساؤل عن بعض الممارسات. في الواقع، تؤدي المنافسة، واقتناص السبق الصحفي أحيانا إلى تجاهل التحقق من المصادر والتفضيل الفرجوي في الأساس. التمييز بين الوقائع والتعليق ليس دائما محترما. بعض المقالات «الافتتاحية» توجد غالبا في أي مكان إلا

(13) Laurent Joffrin, Média-paranoïa, Le seuil, 2009.

في مكان الافتتاحيات ذاتها. في بعض الحالات، يمكننا التساؤل عما إذا كان لوسائل الإعلام طموح إخبار الجمهور أو هل تبحث عن التأثير فيه، هل ذلك من أجل قضية جيدة؟ إن الحدود دائما ضيقة. أحيانا، تتجاوز نسبيا.

إذا كان لوران جوفران على حق في التنديد بالأطاريح التآمرية، لهذا سنقبل التوقيع على بياض لوسائل الإعلام. لوران جوفران[14] ألم يتساهل هو ذاته مع الحقيقة واحترام القراء بالسماح لبرنار هنري ليفي ولوج رأسمال الليبراسيون وتركه يعبر كما يريد في أعمدة اليومية؟ رجال أعمال مثل مدير تحرير الليبراسيون يستحق أن توجه إليه الأصداء المتعددة الاتهامات الخاصة بعدد من الأكاذيب (ب هـ ل BHL) (انظر الجزء الثاني). إذا أردنا الفهم لإنقاذ جريدة (ليبراسيون في مأزق)، يجب التساهل بالاستناد، كما في الحالة الحاضرة، على شخص ذا نفوذ، إنها قضية سريان هذا على حساب احترام القراء.

هناك في الواقع تفاعل دياليكتيكي بين الرأي ووسائل الإعلام، هذه الخيرة عليها أن تضع بعين الاعتبار افتراضات الجمهور. القناة الفرنسية الأولى TF1 بالتأكيد هي الوسيلة الإعلامية الأكثر تأثيرا بثقلها في المشهد السمعي البصري الفرنسي. لكن إذا قامت القناة الفرنسية الأولى TF1 غدا بمضاعفة وصف القذافي في جو موح بالمودة، لن تفلح في ذلك. على العكس ستفقد القناة مصداقيتها ومشاهديها لأن هذا سيكون ضد الرأي العام.

إذا تمكن بعض «المغالطين» امتلاك الشاشة، ذلك أنهم يقولون ما نحن مستعدون سماعه، وأنهم يصبون في سابيائي الفكر المشترك. سيكون «الكذاب» ذا مصداقية لا سيما إذا سار في اتجاه الأفكار المستقبلة والرياح المهيمنة، مع احتمال الحضور الذاتي، مثلما هو الحال دائما، كمخالفة المهارة الصحيحة. على وظيفته أن تكمن في عدم التردد في دينامية الأفكار المستقبلة إذا كانت خاطئة. والحال هذه، سيأتي لموجهتها، ليضمن موقفه الإعلامي و. . . ويعاد استدعائه.

---

(14) أخذه كمثال بالنسبة إلى كتابه، وليس لأنه سينتقد على الخصوص.

3
الأخلاق في خداع العين

الدخول بقوة في الأخلاق في جدول الأعمال العالمي هو السبب الإيجابي للصعود بقوة للشعوب في إجراء القرارات في السياسة الخارجية. مستقبلا، سيسمعون صوتهم، لم تعد الأعمال الدبلوماسية هي احتكار الدوائر المحصورة والنخبوية. حين يصبح غزوه، واللا موقفه الرأي العام رهان وطني مثلما هو عالمي أيضا. إنه من المؤكد منذ وقت طويل أن عنصرا مهما في القرار العالمي، لكن العولمة وتطور وسائل الاتصال قد جاء لتدعيم ثقله. الثورات في تونس وفي مصر قد مثلت هذا جيدا. هذا الوسام له قفاه: الصعود الموازي لعمليات تزييف الأخبار.

قد جاشت معركة الرأي اليوم، أصبح فيها المثقفون والخبراء، في الوقت ذاته، الفاعلون (إنهم ينورون أو يوجهون) ورهان (لهم قيمة، ثمن). يمكنهم أيضا أن يكونوا قد حاولوا «التقدير ماليا» بمكافآت رمزية أو مادية دخولهم إلى الجمهور. إذن، لن يكون هدفهم إخبار هذا الأخير، بل بالعكس التأثير عليه لصالح المساندات أو التدعيم الإشهاري. إنها خيانة جديدة وأساسية لرجال الدين. ولوج الرأي أصبح وسيلة لإظهار المزايا يستعمل الجمهور فيها ولا يخدم.

إنه قفا الوسام، قفا الصعود بالقوة للأخلاق في العلاقات الدولية. يمكنه في بعض الظروف، حجب الأهداف الأقل نبلا والسماح باستعمال المناهج اللا أخلاقية. إن اللجوء إلى البراهين الأخلاقية، لا يشكل إلا خدعة للقوة، إنه كل شيء سوى التجديد. ليس هناك أي حكومة تبرر

سياستها بالمصلحة الوطنية الوحيدة. الدولة تنتج دائما «أسبابا منطقية» كي تعطي مظهرا لائقا لكل قرار خاص بسياستها الخارجية. من التدخل الأمريكي في كوبا سنة 1898، الموجه لمساعدة شعب ليتحرر من عبودية استعمارية، إلى حرب العراق في 2003 من أجل مساعدة شعب آخر ليتخلص من ديكتاتور لا يحتمل، لائحة هذه «الأسباب المنطقية» طويلة، وبعيدة عن أن تغلق. بالتأكيد، كما في كل تلاعب، هناك عمق للحقيقة الذي يسمح بالتحديد لربح موافقة الرأي. إننا لا نخلق حركة تعاطف اتجاه قضية إذا لم يكن له أساس. إن المشكل يكمن في الأسباب الحقيقية للذين يجعلون هذه القضية أو تلك شعبية. هكذا، حقيقة أراد الكوبيون التخلص من الوصاية الاستعمارية الإسبانية، ونظام صدام حسين كان يقمع شعبه بطريقة غير قابلة للتسامح. لكنها مصالح بعض القوى خاصة هي التي حركت تدخلاتها. الأخلاق عمل على جعل عملياتها العسكرية منطقية، لكنه لم يكن فيها السبب الحقيقي. إذن هذه التدخلات لم تكن موجهة لصالح الشعوب المعنية، حتى ولو أنها كانت قد «سوقت» إلى الجمهور.

بالطريقة نفسها، تستحضر الأخلاق حسب هندسة جد متغيرة. مصطلح «ديكتاتور»، مثلا، ليس مرتبطا بوحشية طاغية أو بضخامة القمع الممارس من قبل هذا الأخير. إنها المجاورة أو الابتعاد الاستراتيجي إزاء القوة التي تعارضه هو الذي يتحكم أو لا يتحكم في هذا الاستعمال الموصوف. إذا أثبتم أنكم منخرطون في التحالف الكبير ضد الإرهاب، يمكنكم قمع شعبكم بلا أي مشكل. قام بذلك بن علي ومبارك بلا عقاب لعشرات السنين.

من قبل خلال الحرب الباردة، باسم الديمقراطية ومناهضة الشيوعية، ساند الغربيون بينوتشي وموبوتو وحتى في وقت ما البرتايد. هذا الموقف يجمل في صيغة الرئيس تيودور روزفلت إزاء ديكتاتور نيكاراغوا صوموزا: «إنه بن سافلة، لكنه بن سافلتنا». على ميدان الأخلاق، نجد دائما وحدة النوع المزدوجة للتطبيق المنتقى للمبدأ الكوني، قبول بعض الحالات التي ندينها في الآخرين. الجواب الأفضل لهذا التناقض هو تقديم حالة على بياض، استحضار وقائع دون تسمية فاعليها وطلب حكم على هذا الرأي. إذا

كان لكم بخصوص الوقائع المتشابهة أجوبة مختلفة حسب الذين هم فاعلوها، حينها يمكنكم أن تشكوا بقوة في صحة الأسباب الأخلاقية المستحضرة. لماذا القمع المسلح أو القصف الجوي للشعوب المدنية يعتبر أحيانا مقبولا، وأحيانا غير مقبول؟

الفهم الجيد للأحداث يمكنه أيضا أن يختلط مع لجوء الخطابة إلى الأخلاق. من أجل لفت انتباه الجمهور أحسن، نقدم الاختيارات محدودة لمفهومي الخير والشر. بالانحياز إلى جانب الخير، بعض المثقفين يدغدغون تسام الجمهور، لكنهم يحرفون الوقائع والوضعيات ولا يساهمون في إعلامه. أخذت مكانة الرؤى المانوية وهذه الثمار الفاسدة للأخلاق تتزايد. لقد صنفت من قبل هذا الاتجاه ب«ديزنية العلاقات الدولية[15]». لا يمكن لأي وضعية دولية أن تقلص واقعيا إلى موقف المعسكرين، الخير من جانب والشر من جانب آخر. هل نعتقد حقيقة بأننا حين نتسلح بمثل هذه اللوحة للقراءة، يمكننا تفسير الشرق الأوسط، لبنان، أفغانستان، الصراعات الإفريقية والصراع في القوقاز أو في مكان آخر؟ في هذه الحالة لا يمكننا أن نقيم مقاربة جدية للصحافة المكتوبة بمقاربات التلفزيون. الواحدة مثل الأخرى يمكنها أن تصطاد بدقة أو بالعكس، تنجز من البيداغوجية. الشيء نفسه، بالنسبة إلى التقابل الاصطناعي بين الصحافة المكتوبة التي تكون «مرجعا» وجدية، والإنترنيت الذي سيكون حنفية لتزييف الأخبار، لن يحدث أبدا. إذا كانت الانحرافات على مواقع الإنترنيت موجودة، هذه الوسيلة الإعلامية تصلح أيضا لتلطيف الصحافة المكتوبة، التي تعطي الامتياز لبين الذات. يتبوأ «المغالطون» غالبا مكانة يحسدون عليها في الصحافة المكتوبة في حين نقدهم يجد «الملجأ» في الإنترنيت. نلاحظ ذلك، انحرافات أخلاقيات المهنة ليست حكرا على أي نوع من وسائل الإعلام.

أصبح الكذب وسيلة شرعية للمعارك الأيديولوجية. ما دمنا في خدمة الخير ومقاومة الشر، لماذا الانشغال بالترتيبات الصغيرة مع الحقيقة؟

---

(15) Pascal Boniface, La Volonté d'impuissance, Le Seuil, 1996.

المشكل هنا مثلما هو في مكان آخر، الغاية لا تبرر الوسيلة. إذا كانت القضية شرعية لما يكون من الضروري الكذب لخدمتها؟ لأن الجمهور غبي؟ لكن إذا كان البعض غبيا مؤقتا، فإن الأغلبية تعي بسرعة الذي يكذب.

نتذكر هذه الصورة لرجل هيكل عظمي وراء الأسلاك الشائكة نشرتها مجلة تايمز. كان من المفروض تقديم بوسني أسير من قبل الصرب في معسكر للسجناء. فرقة دولية من الصحافة أثارت بهذه المناسبة معسكرات جديدة للاعتقال. إيلي ويلزيل نددت بمراكز الاعتقال النازية الجديدة. أطباء العالم ألصقوا في كل مكان بفرنسا لوحات تشبه ميلوزوفيتش بهتلر. والحال هذه، سيكتشف فيما بعد أن الرجل المعني كان صربيا اعتقل والذي كان يعاني منذ عشر سنوات من داء السل، هذا ما يفسر نحافته الكبيرة.

خطر آخر يكمن في الاستحضار المفرط للبراهين الأخلاقية. يجب أن ألّا نطفح بالعواطف . يمكن أن تكون جهنم مبلطة بالمقاصد الحسنة وسياسة العواطف الجميلة لا تفضي بالضرورة إلى سياسة جيدة. نبدأ مثلا بالتنديد بالتطهير العرقي في دارفور وننتهي بقضية «سفينة زوي» حيث باسم الأخلاق، بعض الأغبياء أرادوا إرسال أطفالا تشاديين ما يزال لهم آباء، إلى أوروبا، على أساس أنهم أيتام دارفور.

هناك ما هو أسوء، حين حركت الأخلاقوية الحقبة الحمراء الحقيقية. في الواقع يمكن للبعض، أن يحاول اعتبار المعارض ككائن لا أخلاقي لا يجب أن تدحض براهينه فقط، تحارب أيضا، بل تمنع. بعض المثقفين محترفين في الأخلاقوية في العلاقات الدولية، لهم أيضا مثل هذا التوجه في رؤية معارضيهم كأعداء باسم الأخلاق. بهذا التصرف، ينسحبون من النقاش الثقافي ليدخلوا في نوع من الإرهاب الثقافي. بيرنار هنري ليفي افتتح جزئيا هذه المرحلة بمقاله «وداعا ريجي» المنشور في جريدة لوموند في 14 ماي 1999. ريجي دوباري لم يكن في توافق مع برنار-هنري ليفي BHL الذي كان يريد حربا ضد يوغوسلافيا بسبب الضغط على كوسوفو. لكن «الفيلسوف الجديد» لم يكن يأمل في دحض حجج دوباري فقط، بل كان يفرض موته على الساحة السياسية. بالنسبة إليه، ليس هناك ما يدعو للمناقشة بل إسكات

ريجي دوباري بسرعة، باسم الأخلاق. بموقفه المعارض لبرنار-هنري ليفي BHL، لقد استثني من التجمع الثقافي الفرنسي. حين تتقلدون بالأخلاق هكذا، لا يوجد طبعا سوى المتوحشين ليعارضوكم، ولا نناقش مع المتوحشين: نقصيهم. إن الإجراء بعيد عن أن يكون جديدا.

سنوات من بعد، برنار-هنري ليفي BHL، عاود إجراء إقصاء وإبعاد طارق رمضان. هذا الأخير نشر منبرا على موقع التجمع الاجتماعي الأوروبي في 5 أكتوبر 2003 الذي آخذ فيه على عدد من المثقفين اليهود، بخصوص الشرق الأوسط، التخلي عن مقاربة كونية من أجل نسق مشترك. المقال تضمن بعض الأخطاء الحدثية، لكننا نأخذ على كاتبه حصريا أنه معاد للسامية لأنه وضع «قائمة لليهود». برنار-هنري ليفي BHL صرح بأنه لن يكون ضيفا في التجمع الاجتماعي الأوروبي. لقد فشل في هذه النقطة، لكن الحملة ضد طارق رمضان أدت إلى «وضعه في اللائحة السوداء» من قبل أغلب وسائل الإعلام الفرنسية. هنا أيضا، عوض مناقشة الأفكار، يفضلون الرقابة، النفي. ومع ذلك، القوانين الفرنسية بخصوص إدانة العنصرية صارمة جدا وأن التنظيمات الاجتماعية اليهودية سريعة في رفع دعوى من أجل معاداة السامية، ولا أي دعوى قضائية رفعت ضد طارق رمضان. إذا كان هناك تنديد، فقد كان ذا طابع إعلامي سياسي باسم الأخلاق، باسم نوع من الأخلاق فقط.

في سنة 2007، اقترح كاتب على منشورات فلامريون، كتابا حول طارق رمضان، يفترض أنه يندد بخدعه. لكن بعد التحري، لم يوفق في توضيح هذه اللغة المزدوجة. بحثه نجح في لوم رمضان على بعض «التأنق»، إلى درجة التجرؤ على مقارنته مع...برنار-هنري ليفي BHL، يقدم الرجلان على أنهما الأكثر شهرة إعلامية أكثر من المشتغلين على صميم الملفات. رفض الكتاب من قبل الناشر لأن خلاصاته ليست هي التي كانت المترجاه. ونشر العمل من بعد بسويسرا.

أخيرا خطر آخر، من طبيعة أخلاقية، إنه خطر انتصار المظاهر. يدعي رمزا لا يعكس إلّا جزء صغيرا من الحقيقية. شجرة الأخلاق تتدخل لتحجب

غابة الفظاعة. تروى حكايات جميلة، ليس من أجل تغيير الحقيقة في اتجاه إيجابي بل لحجبها. إجمالا ، يتعلق الأمر بخلق «مغالطين» أو تضخيم ما هو واقعي من أجل إفراغ سوق العواطف. أنجريد بيتنجور هل تختزل مصير المرأة في العالم وفي العنف السياسي في كولومبيا؟ هناك مجازر جماعية وجرائم حرب في دار فور والوضعية فيها بلا شك غير مقبولة، لكن اندفاع البعض لجعلها السبب الرئيسي لما يدعو إلى الفضول، خاصة حين نتبين أن أغلبها غير مشروط بإسرائيل[16]. باسم الأخلاق، هذه الأرواح الجميلة تندد أحيانا بعنف من لا يريد تلبية نداءاتها في الذهاب إلى الحرب دارفور. هل أخلاقيا جيد إقحام قضية من أجل حجب أخرى، التحدث عن دارفور لتجنب العرض الإعلامي الخاص بفلسطين؟

في إرادة العجز، كتبت في سنة 1996 : «يمكن حينها ملاحظة العطف الحيوي المثار من قبل مثقفينا المتلألئين إزاء الشعب البوسني، ليس له معادلا سوى اللامبالاة الصامتة، بل أيضا القديمة التي تأكدنا منها إزاء شعب يعاني أيضا الظلم بالقوة، إنه الشعب الفلسطيني. حساسية المأساة البوسنية، تقدم كدفاع عن المبادئ الكونية، ليست في الغالب سوى ثمرة ندم غير معلن أو غير قابل للاعتراف، لصمت أمام ضغط عضلي». لن أغير سطرا واحدا من هذا التقرير . لأنتهي هناك أيضا الأسباب «السهلة»، تلك التي هي مرئية ولا تعاكس المصالح القوية جدا في حقل نشاطكم. كويفيز أو كاسترو وجهان مهمان جدا على الساحة الدولية. التعرض لهما يفضي إذن إلى استعراض كبير. لكن في الحالة الفرنسية، اللوبي الكوبي أو الفينيزويلي يمتلك وسائل رد جد محدودة. القوة السياسية، الاقتصادية والإعلامية للمدافعين عن هذين الشخصيتين ليست قوية جدا ، ليس هناك إذن أي خطر للتعرض لهما. هل لهذا هما أقل جدارة من القادة العالميين؟ إنها إذن، حدث رؤية أخلاقية الأكثر تنديدا؟ إنها بعيدة عن أن تكون يقينا . . .

---

(16) CF. sur ce point Pierre Péan, Cornages, Fayard, 2010, 570 pages.

4
بالنسبة إلى العالم الغربي

منذ نهاية القرن الخامس عشر، هيمن العالم الغربي على العالم، وحدد جدول الأعمال الدولي وقواعد اللياقة الواجب احترامها من قبل الجميع. فرض نفسه وقواعده على باقي الحضارات الأخرى. إذا كانت أوروبا قد انحطت في بداية القرن العشرين، فإنها قد سلمت المشعل القيادة العالمية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ممددة هكذا الاحتكار الغربي للقوة. خريطة العالم عند بداية القرن العشرين كانت الخريطة التي يتحكم فيها الغربيون تقريبا في مجموع الكرة الأرضية. في أوج الاستعمار، فقط بعض المهام انفلتت من قبضتها، لكن ليس حقيقة من هيمنتها. قاوم الغربيون جنبا إلى جنب بعد الحرب العالمية الثانية الاتحاد السوفياتي والجناح الشيوعي؛ لقد انتصروا سلميا، النظام الشيوعي كان يرزح تحت ثقل تناقضاته. جورج بوش الابن استطاع إشهار النظام العالمي الجديد بعد انتصاره المزدوج على الاتحاد السوفيتي، ثم ضد العراق إبان حرب الخليج. إن نظرية نهاية التاريخ المعلنة من قبل فرنسيس فوكوياما، تعطي نظرة تفاؤلية، من وجهة النظر الأمريكية، تبعا للأحداث. إن النموذج ديمقراطية واقتصاد السوق قد انتصر. لم يعد هناك من منافس، إنه انتصاره المطلق. لا يجب أن يخيف هذا أحد: القيم الغربية كونية، تطبيقها على المستوى العالمي لا يمكن إلا أن تكون مربحة لكل الشعوب. إنه بداية الغطرسة الأمريكية، الإيمان في «الزمن الأحادي القطب». لا شيء يقدر ولا شيء يجب أن يناهض الولايات المتحدة الأمريكية، الكبيرة استراتيجيا وأخلاقيا. هذه الهيمنة الغربية لم تنقد لا من قبل مسؤوليها السياسيين ولا من قبل مثقفيها، بمدحها أو يأسفون لها.

هينتيغتون سيلور نظرية قليلة التفاؤل بالنسبة إلى العالم الغربي، مهيمنا لكن في أزمة اقتصادية، والذي عليه مواجهة تهديد العالم الإسلامي، في الوقت الحالي مهيمن عليه لكنه في توسيع. العالم الإسلامي الذي يقول لنا هينتيغتون عنه «الحدود دامية». إنه التحديد الجديد بعد الشيوعية بالنسبة إلى العالم الغربي.

إن وهم عالم أحادي القطب قد تبدد سريعا. أظهرت حرب العراق - وفشلها- كما أن إشهار هذه الفرضية خاطئا. ربما لا توجد أيضا قوت مساوية للقوة الأمريكية، لكن هذا لا يسمح للولايات المتحدة أن تفعل ما تريد.

دول العالم الأخرى تطورت دون أن تطلب منا الإذن. فهي لا تنتظر نصائحنا، لا تسمع توجيهاتنا وتحتقر متطلباتنا. الدول البارزة لا يمكن أن تختزل إلى الصنف الوحيد ل«ب.ر.هـ.ص» (البرازيل، روسيا، الهند والصين)، بل يخص في الواقع أسماء متنوعة، عشرات الدول في العالم. اقتصاديا، استراتيجيا وديموغرافيا الجزء الخاص بالعالم الغربي في تناقص.

لم يعد هناك العالم الثالث إطلاقا. التمييز شمال/ جنوب لم يعد له وجود. إلى جانب الدول التي تطورت قديما، هناك حوالي خمسين دولة مفلسة تغوص في الفوضى، البؤس وغياب اسلطة الحكومية (أفغانستان، هايتي مرورا بزمبابوي، جمهورية الكونغو الديمقراطية، إلخ.) أيضا عدد مهم من الدول التي تتطور والتي هي دينامية. الإثنان يقلقان الغرب لأسباب مختلفة.

يمكننا القول بأنه لا يوجد أي شيء خطير في هذا الإجراء. تقدمنا في لفظ القوة يبقى قويا جدا. إن تقدم الآخرين لا يفقرنا لأن تنامي الاقتصاد العالمي ليس ظاهرة ذات اتصالات واسعة. أن يغتني البعض أكثر منا، أو بالأحرى يخرجون من البؤس، لا يجب أن يغطسنا فيه بالضرورة. خارج الرضا الأخلاقي في أن نرى البؤس يتناقص في الكرة الأرضية، هذا يمكن حتى أن يبرر المصادر الجديدة عندنا.

الذين نسميهم «المستشرقين» يرفضون هذا المنظور. يتمنون أن يهيمن

العالم الغربي على باقي العالم. هذه الهيمنة شرعية، لأنه بحسبهم هو الراقي أخلاقيا. صعود الآخرين بقوة يظهر كتهديد. تهديد ديمغرافي مع خوف تدفق الهجرة غير المضبوطة؛ تهديد استراتيجي مع الخوف من الإسلام الراديكالي؛ تهديد اقتصادي مع الخوف من عدم تحديد مصادر والاستيراد جملة للمواد الرخيصة التي تأتي لقتل مناصب الشغل الوطنية وتوازناتنا الاجتماعية. إنه لمن المشجع الآن الاعتقاد بأن حضارتنا هي الراقية، وأن لنا الفضل في تجسيد الديمقراطية، احترام حقوق الإنسان وضمانات اجتماعية مهمة. باسم هذه المبادئ، سيكون بقاء الأمم الأخرى على مسافة محترمة منا على الرحب والسعة. إذا لم يكن الحال كذلك، نطمئن قائلين أكيد أننا في خسارة سرعة عدة نقط، لكننا نبقى بلا منازع الأرقى أخلاقيا. نحتفظ أيضا بتفوق استراتيجي ومن الآن فصاعدا، سنكون أهلا لاستعمال سلطتنا مجبرين على جعل أنفسنا محترمين وكذا أخلاقنا. الخبراء الذين سيلعبون على الخوف، بإطرائهم على الشعور بالتفوق أهلا بهم. يقلقون ويطمئنون في الوقت ذاته، يطورون إحساسا مزدوجا للكبرياء والحزن.

الاستغراب طريقة للاطمئنان. إذا كان واجبا علينا الدفاع عن أنفسنا، من ضمنه الدفاع بالقوة، لم يعد الأمر كما كان في الحقبة الاستعمارية حين كنا نريد الهيمنة على الآخرين بإهدائهم الحضارة، بل لأننا مهددون ولا خيار لنا. المستغربون لهم الذكاء في عدم جعل الاستعمار ينتصر، لكنهم متصلبون بخصوص رفض السقوط في «الندم». هذا الأخير لا يعتبر سوى الاعتذار كبير الذي من ورائه تخفي دول الجنوب فشلها الخاص ودناءتها.

بالنسبة إليهم قيمنا ليست متقاسمة من قبل جزء كبير من بقية العالم. الدكتاتوريون ما يزالون يتفتحون خارج حضارتنا. من الواجب علينا الثبات لحماية حقوق الإنسان الذي نجسده، والتي تزدرى في أغلب الأحيان في أماكن أخرى. إذن في إطار المصلحة العامة ندافع عن مصالحنا الخاصة.

من جهة أخرى دفع المحافظون الجدد إلى أقصى حد منطق هذه البرهنة. بحسبهم الولايات المتحدة التي تجسد الديمقراطية وحقوق الإنسان، ليس لها الحق في الاحتفاظ بفضائلها لنفسها. هذا سيكون من باب الأنانية

و... اللاأخلاق. بالعكس كان عليها تقاسمها مع أكبر عدد ممكن. هل كان من الممكن احتمال ترك الإيرانيين تحت استعباد صدام حسين الدموي؟ هل يمكن أن ننام في هناء وتركه يقمع شعبه؟ لا. إذن، اندلعت من أجل حرية العراقيين. إن ابتكار المحافظين الجدد هو تبرير سياسات العنف -التي صنفت من قبل كخاصية عنف- بمبادئ أخلاقية. إنهم يطبقون في كل تابعاتها مبدأ التدخل.

للمحافظين الجدد أبدال بفرنسا، أبدال تبقى قوية حتى ولو أنها فاقدة للسباق في الولايات المتحدة. هذه الأبدال لا تتوقف تحت أسباب مختلفة عن التنديد بالدول البارزة الوقحة في أنها تريد حقوق الإنسان مساواة مع الغربيين، وقاحة أن لا تذعن لأوامرهم، بذاءة المطالبة بنظام قيمها الخاص، وقاحة عدم قبول أن عمل العالم الغربي كان دائما سخيا، سلميا وديمقراطيا. إذا ما قمعنا إحدى هذه الدول المطالبة بحساب، فارضة أن يفتح الغربيون نقدهم الذاتي، يصبح هذا غير مقبول. لحسن الحظ، أن هناك دائما خبراء أخلاقيون لمواساة هذه التصرفات المؤلمة...

يقارن دانيال ليندنبيرغ المحافظين الأمريكيين الجدد، الذين مروا من الليبرالية إلى المحافظة الجديدة، بالمثقفين اليهود المنحدرين من اليسار، وأصبحوا مدافعين بلا شرط عن إسرائيل وخائبي الظن من مناهضة الاستعمار ومناهضة العنصرية[17]. بالفعل للمستغربين أسلاف تارخيون انقلبوا مع ذلك بسهولة في معاداة السامية، سيفتحون تحالفا مع مساندي إسرائيل. بالنسبة إلى هؤلاء وأولئك توجد رابطة بين التهديدات التي تؤثر في إسرائيل وتلك التي تؤثر في العالم الغربي. وهذا الرابط يتكون من خمسة حروف: إ. س. ل. ا. م.

الرهان بالنسبة إلى البعض، الانحدار الطبيعي، وبالنسبة إلى البعض الآخر، الفخ للآخرين الذين لا يزنون كل نتائج مواقفهم، أي أن العالم الغربي يعكس علاقاته مع العالم الإسلامي و/أو العالم العربي، تبعا للسياسة الإسرائيلية الوحيدة.

---

(17) Daniel lindenberg, Le Rappel à L'ordre, Le Seuil, 2002, p11.

5

إسرائيل في خطر

عمليات الحادي عشر من سبتمبر على نيويورك وواشنطن أحدثت الذهول. إرهابيون بوسائل محدودة نجحوا في ضرب القوة المغالية الأمريكية في الصميم. رعب مركز التجارة العالمي يمكن أن يتكرر .لقد أحدث القلق في إسرائيل، مع أنها متعودة مواجهة الإرهاب. كيف ستتصرف الولايات المتحدة؟ أي جواب سيكون لسؤال جورج.و. بوش: «لماذا يكرهوننا بهذا القدر؟»لا يجب أن يعتقد الأمريكيون، كما يشخص ذلك عدد من المختصين في العالم العربي أو في جيوسياسة أن المساندة التي تعتبر عمياء لإسرائيل من قبل الولايات المتحدة كانت هي مصدر الحقد ضد أمريكا عند العديد من المسلمين.

20 أكتوبر 2001، قبل الشروع في حرب أفغانستان، أعلن من جهة أخرى جورج بوش أن دولة فلسطينية ستكون ضمن رؤيته للأشياء. كانت المرة الأولى التي يصرح فيها مسؤول أمريكي.

لكن، حماس ستقوم بموجة من العمليات الانتحارية التي أدخلت إسرائيل في حمام دم وأحدثت عنفا لوليبا. حينها انخرط الجيش الإسرائيلي في سياسة تصفيات استهدفت زعماء حماس. عوض الضغط على إسرائيل لعودة مسؤوليها إلى طاولة المفاوضات، قرر بوش مقاطعة السلطة الفلسطينية، المتهمة في نظره أنها لم تقاوم بشكل ناجع اتجاه حماس. من بعد، دفاع إسرائيل كان يمر عن طريق وحشية الفلسطينيين وبكثرة عن طريق وحشية العرب والمسلمين، المرتبطة بشكل لا ينفصل بالإرهاب

إن التنديد بالإرهاب أصبح ألفا وأوميغا التحليل الاستراتيجي. البرهنة

سهلة. من كان يستطيع مساندة الإرهاب؟ زد على ذلك، في عالم يبقى فيه التفوق العسكري الغربي لا يقبل المنازعة، كان الإرهاب يشكل أصله -مع أنه نسبي جدا- الهش، بالتأكيد أن الإرهاب قد أوقع عددا من الضحايا في الغرب، لكن عدده يبقى محدودا جدا بعدد قتلى سبب الصراعات بين الدول أو الحروب الأهلية في العالم. مع ذلك، بقي الإرهاب أقل انتشارا مقدما على أنه السبب الأول للاأمن في العالم.

خلال لقاء مع نيسيم زفيلي، سفير إسرائيل بفرنسا، قال لي الملحق بالصحافة الذي كان حاضرا خلال النقاش، إنه في نهاية 2001 وبداية 2002، بعد استئناف الانتفاضة والمواجهات الإسرائيلية الفلسطينية، توجهت القنوات التلفزية ووسائل الإعلام الكبرى التي كانت تنظم النقاشات، من سفير إسرائيل لتطلب منه إذا ما كان ممكنا تزويدها بأسماء ومعلومات خبراء غير يهود قابلين للدفاع عن السياسة الإسرائيلية. هذا الطلب المفاجئ بدا لي أنه موح: وسائل الإعلام كانت تريد تنويع مدافعي إسرائيل وأن يحدد هذا الدور في ممثلي المجتمع اليهودي، المجتمع الذي كان يوفر فضلا عن ذلك، مناقشين نقاد بالنسبة إلى إسرائيل. كانت تود، مثل اللحظات الممثلة للمجتمع المعني، أن اليهود كانوا مشتركين مع إسرائيل بالقوة، وأن مرافعة يهودي فرنسي لصالح المواقف الإسرائيلية ليس له مظهر الموضوعية والحيادية. إذن، غير يهودي يدافع عن إسرائيل يمكنه أن يستفيد من فضاء إعلامي موسع. بالتأكيد إذا كان فضلا عن ذلك عربيا ومسلما، وانتقد جانبه الأصلي، سترتفع حصته بسرعة. بحضوره فقط، مثل هذا الخبير يوضح إن المواجهة في الحقيقة، ليست لا بين اليهود والعرب، ولا حتى بين المستعمِرين والمستعمَرين، بل بين مناصري الديمقراطية ومناصري الإسلام الأصولي.

لكي تكون اللوحة كاملة، على المشترك المحتمل أن يقدم نفسه كعلماني ومن اليسار. الذي يصرح أنه من اليمين يمكن أن يرتاب قبليا أنه يساند سياسة استعمارية وقمعية. على العكس من ذلك، التصريح أنه من اليسار يجنبه هذا الإقصاء الثقافي وهكذا يسمح بإعطاء شرعية جديدة

لمساندة إسرائيل. تاريخيا، اليسار الاجتماعي في الحقيقة كان دائما مساندا لإسرائيل. الآباء المؤسسون للدولة كانوا هم أنفسهم من اليسار واستمروا في مواجهة عدوان الأنظمة العربية الرجعية. بالتأكيد، حرب لبنان في سنة 1982، فشل اتفاقية أوسلو وعودة المواجهات في 2000-2001 قد خلق خسارة لشرعية السياسة الإسرائيلية وسط اليسار. مع شيراك كرئيس، لم يكن بإمكان إسرائيل أن تأمل في القدرة على تعويض يمينا رأسمال التعاطف المفقود يسارا، مثل هذه الحالة تحدث مع نيكولا سركوزي من بعد. الشيء نفسه، كانت إسرائيل منذ مدة طويلة متعودة على التنديد بسياستها من طرف اليسار المتطرف والحزب الشيوعي. لكن الحزب الاشتراكي بقي سندا مهما ومركزيا.

في أفريل 2001، في تعليمة داخلية للحزب الاشتراكي، الذي كنت عضوا فيه، سلطت الضوء على التناقض بين مبادئ اليسار ومساندة واحتلال الأرض وقمع الشعب. كان الهدف من هذه التعليمة فتح نقاش كان إلى حد هنا ممنوعا. لكني اتهمت للتو بمعاداة السامية. علاوة على طردي[18]، ظهر للبعض أنه من المهم المواجهة العكسية. يجب إيجاد أصوات تساند سياسة إسرائيل، في الوقت نفسه من وجهة نظر اليسار ومن وجهة نظر غير مشتركة.

هنا أيضا، كان من المهم تبرير هذه المساندة عبر مقاربة أخلاقية. خطاب صريح معاد للإسلام أو معاد للعرب سيكون ما هو عليه: عنصريا. بالمقابل، الخطاب المقدم «كخطاب لليسار» (فهو إذن محسوب أنه مجرد من الحنين إلى الاستعمار) سيكون أكثر تآلفا. بالتأكيد، كان مثارا من قبل دفاع العلمانية، سيكون تاما! يجب محاربة تهديد الإسلام، كما كان في القديم من الواجب الانتصار على الكنيسة الكاثوليكية في فرنسا. مع ذلك صعب مقارنة قوة الكنيسة الكاثوليكية في فرنسا في نهاية القرن التاسع عشر بقوة الإسلام في بلادنا في القرن العشرين.

---

(18) بخصوص هذه النقطة انظر Pascal Boniface, Est-il permis de critiquer Israël? Robert Laffont, 2003.

بقناعة من البعض، بمصلحة البعض الآخر، تحول التنديد بالإرهاب بهذه الطريقة إلى منع التفكير في حيثياته. الذين حاولوا جعله دوما مندداً به كتواطؤ موضوعي للإرهاب أو البلهاء المناسبين للإسلاميين. لقد كان لهم الاختيار في اتهامهم بإصابتهم بداء تناذر ستوكهولم أو. . . . أو أن يكونوا الجدد خاضعين للاختيار.

بما أن إسرائيل في الصف الأول في المقاومة ضد البربرية والظلامية، الذين يتجرأون على انتقاد سياستها هم بالفعل معادون للسامية. بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فهم يساندون هذه الأخلاق الشريرة المطلقة التي هي الإرهاب. إنها موقف على الأقل مريحة: التظاهر بالشجاعة -الإرهاب مرفوض، لا نتناقش مع الذين يمارسونه أو الذين يساندونه لأننا سنعطيه الشرعية-، نتوقف عن انتقاد الاحتلال وقمع الفلسطينيين.

في الوقت نفسه، خلسة، الخليط سيتضاعف: مسلم يساوي إسلامي يساوي إسلامي أصولي يساوي إرهابي. أو أيضا، إذا كان كل المسلمين ليسوا إرهابيين، كل الإرهابيين مسلمين. . .

6
الإسلام فاشي
مفهوم وهمي

إن تقوية الصداقة بين العالم الغربي وإسرائيل يمر إذن، عبر صناعة عدو مشترك. هذا يسمح بحل روابط ليست بديهية بعديا. إظهار التضامن مع إسرائيل في الوقت الذي أنشأت فيه هذه الدولة الصغيرة من قبل شعب قد أفلت من التصفية، ومهدد من قبل الدول العربية التي ولا واحدة منها ديمقراطية، هذا مسلم به. الدفاع عن قوة عسكرية جهوية كبيرة، مزودة باحتكار الأسلحة الذرية في الشرق الأوسط والتي تستهزئ بقواعد القانون الدولي، تحتل أرضا ليست ملكا لها وتقمع السكان الموجودين عليها، فهي بديهية نوعا ما. خلق عدو مشترك يسمح بإضفاء شرعية جديدة على علاقة إسرائيل/الغرب. بالنسبة إلى يتامى الحرب الباردة، فإن الأمر يتعلق بالتنديد بمصير منافس جديد، شبيه بالقديم ومبررا الاحتفاظ بل ارتفاع النفقات العسكرية.لكن كيف نضرب جيدا العقول ونجلب انخراط أكبر عدد؟ ونتصور مفهوما جديدا أيضا فارغا ثقافيا مثل بريق خداع في التشكل، البعض سوف يصلون لتجذير صيغة تسمح بربط أمن إسرائيل بأمن العالم الغربي، في النقاش العام. هكذا ظهرت المصطلحات المتناقضة لكنها قابلة للتبادل من «الإسلام اليساري» أو«الإسلام الفاشي».

إن حقيقة استعمال المصطلحين بطريقة مختلفة يظهر أننا لسنا قريبين من فارق دقيق. هل نجمع الإسلام بالفاشية أو اليسارية؟ لا يهم! ما يهم، هو التعرض للإسلام وإقصائه. بالتأكيد، يكررون لنا أنهم صادقون «أرواحنا النبيلة»، الأمر لا يتعلق إلا بالإسلام الراديكالي، وليس بالمسلمين في

كليتهم. لكن الخليط يعمل طبيعيا. الديانات الأخرى ليست مجردة من التطرف، لكن جمع هذه الكلمات، في حالة اللغة المشتركة، هو مخصص للإسلام فقط. لا نتكلم لا عن «المسيحية اليسارية» -مع ذلك هناك مسحيون من اليسار المتطرف- ولا على «اليهودية الفاشية» -يوجد يهود متطرفون، حتى ضمن الحكومة الإسرائيلية!

هذه التسميات الغريبة تصلح قبل كل شيء لتسجيل العقول بميزاتها المتناقضة لاشتراكها. يمكن لأصالة المفهوم أن ترافع لصالحها لكنها في الحقيقة اللا معنى، كما كانت في ما مضى التعابير «هتليرية-تورتسكية» أو «اليهودية-بولشفية». هي أيضا يراد لها الإقصاء. هي أيضا لا تستند إلا على الاستيهامات.

يمكننا القدرة على محاربة الفاشية والإسلام الراديكالي. يمكننا أيضا، ولما لا محاربة اليسارية والإسلاموية. لكن هل نقوم بذلك بطريقة ناجعة بمزجنا هذين المفهومين؟ الخليط المبتكر بهذه الطريقة هل يحمل معنى سياسيا؟

في طغيان العقوبة La tyrannie de la pénitence، باسكال بروكنر يثير الإسلام اليساري، مزيج اليسار المتطرف الملحد والراديكالية الدينية، المجسد حسبه بالإرهابي كارلوس. يصرح: «يربط تياران من الفكر روابط مؤقتة ضد عدو مشترك[19]». في جوان 2010، ألان فينكييلكرو Alain finkielkraut، يخبر أيضا بخطر حركة «الإسلام اليساري» علانية غير مبال بذكرى المحرقة. يتعلق الأمر بحسبه باتحاد أناس منحدرين من الهجرة والمثقفين التقدميين.

من جانبه، إريك دينيسي[20] Eric Denécé، من المركز الفرنسي للبحث حول التعليم، يعتبر أن محاولة هجوم ديسمبر 2008 ضد برانتون هوسمان

---

(19) Pascal Bruckner, La Tyrannie de la pénitence, Grasset, 2006, p39-40.

(20) لقد كان بارعا في إنتاج علاقة تخويفية وضبابية حول نفوذ الإسلاميين بداخل مطار رواسي، يعطي المادة لفيليب دو فيلي للتنديد بمساجد رواسي.

Printemps Haussmann بباريس، اضطلع بمسؤوليتها جبهوي ثوري أفغاني خفي، يشهد بظهور تهديد «إسلام يساري». البرهنة التي تضم حججه، إذا جاز القول، لا ينقصها ملح العملية تبناها جهاديون، لكن لا يجب أن يكونوا في بدايتها بفعل صيغة الجراحة. البحث يجب أن يؤدي إلى النظر باتجاه اليسار الفرنسي المتطرف. «اليسار المتطرف والسلفيون لهما هدف مشترك، هدم المجتمع الرأسمالي الغربي، سيمكنه أن يربط علاقات لوجيستيكية بل عملياتية مشتركة[21]». تبني كاذب هو دليل تعاون استراتيجي. إننا نسبح في ملء النظرية التآمرية .

نستعمل اليوم قليلا، باستثناء دوائر اليمين المتصلب، مصطلح «الإسلام اليساري» إنه مفهوم «الإسلام الفاشي» الذي يفرض نفسه أكثر فأكثر على الساحة السياسية. إن انتصار هذا التعبير على الأول لا يفسر بواقع قوي، بل بقناعة أنه لم يعد هناك ما يربح على الإطلاق، خاصة في فرنسا، التنديد بالفاشية مثل اليسارية. لأنه في الحقيقة اليسار هو الذي بإمكانه إضعاف المساندات الإسرائيلية.

من قبل في سنة 1977 ندد جيل دولوز بالفكر العدمي للفلاسفة الجدد. «يمكنهم أن يقوموا بخلط جسيم، ثنائيات موجزة، القانون والمتمردون، السلطة والملاك[22] التنديد ب«الإسلام الفاشي» هو العقيدة الجديدة للفلاسفة الجدد السابقين. في كتابه الصفاء الخطير La pureté dangereuse، ألم يشرح برنار-هنري ليفي BHL من قبل أن «الإسلام ليس سوى الصيغة الثالثة لجهاز كانت فيه الشيوعية والنازية روايتيه السابقتين»؟

إن مصطلح «الإسلام الفاشي» يعني فلسفة مشتركة للإسلام الراديكالي وللحركات الإسلامية مع الحركات الفاشية لبداية القرن العشرين. إنه الرئيس الأمريكي جورج بوش نفسه أول من ضمن ترقية المصطلح سياسيا في خطاب ألقي في 7 أوت 2006، بالتأكيد هذا المصطلح مستوحى من

---

(21) Le Figaro, 23 Décembre 2008.

(22) Cité par Stefan Durand, «Fascisme, Islam et grossier amalgames», Le monde diplomatique, Novembre 2006.

المستشرق المحافظ الجديد بيرنار لويس Bernard lewis. بهذه المناسبة شرح جورج بوش أن الولايات المتحدة كانت في حرب ضد «الفاشية الإسلامية». بعد أن أثار القاعدة، حماس وحزب الله، صرح: «بالرغم من اختلافها، هذه الجماعات تشكل حركة موحدة، شبكة عالمية من الراديكاليين يستعملون الرعب ليقتل الذين يتصدون لإيديولوجيتهم الشمولية. الحرب التي نخوضها اليوم هي أكثر من صراع عسكري. إنها التصدي للإيديولوجية الفاصلة للقرن الواحد والعشرين».

في مارس 2006، تم إطلاق مجلة Le meilleur des mondes التي جمعت المحافظين الجدد الفرنسيين، المدافعين الأشداء عن بوش وعن حرب العراق، ومناصرين شجعان لشارون. في الافتتاحية الأولى، وضع تواز بين التصدي للشيوعية خلال الحرب الباردة والتصدي للإسلام اليوم. في الوقت نفسه، شارلي الأسبوعية Charlie Hebdo، التي نشرت عددا خاصا حول الرسوم المسيئة للرسول (ص) وزع منها أكثر من 500000 نسخة (هذا ما يشكل نجاحا غير مسبوق لهذه الجريدة)، يعلن البيان «معا ضد الشمولية». لا سيما أنه يمكننا أن نقرأ فيها الجملة التالية: «بعد هزيمة الفاشية، النازية والستالينية، العالم يواجه تهديدا شاملا من نوع شمولي: الإسلاموية».

هكذا، الفاشية، الشيوعية والإسلاموية، هذه العدوات هي واحدة، ليس لها سوى الاختلاف الزمني في مواقفها من الديمقراطية الغربية. لكن لحسن الحظ أمام هذا الخطر المتجدد، مقاومين شجعان وقفوا دائما مثابرين في البطولة.

بيرنار-هنري ليفي سيضاعف على هذه الشاكلة المراجع ل«الفاشية الإسلامية». في مقال معنون «الحرب من منظور إسرائيل»، نشر في 27 جويلية 2006 في لوموند، يساند الحرب الإسرائيلية ضد لبنان، كتب برنار-هنري ليفي: «[...] هذه الفاشية لها وجه إسلامي، هذه الفاشية الثالثة التي يوحي كل شيء لجيلنا أنها الفاشية الأخرى والشمولية/الشيوعية، لأسلافنا..». إنه يقارن حرب لبنان بحرب إسبانيا، أطلق العنان لإسرائيل

للعب دور الجمهوريين الإسبان. هو ذاته لم يضع جيش تحرير كوسوفو في هذا التيار «الإسلام الفاشي» بالرغم من طرق العنف والقرب من الإرهاب لهذا التنظيم الانفصالي.

بالطبع، الذين يتحفظون على ملائمة مفهوم «الإسلام الفاشي» إنهم مصنفون بسرعة «البلهاء المجدين» بل رفقاء طريق اللاإسلاميين. برنار-هنري ليفي يرى أنه من الضروري تكريس فصل كامل لهذا الموضوع في كتابه هذه الجثة الضخمة بالمقلوب Ce grand cadavre à la renverse[23].

في الخاتمة، هل يمكن حقيقة أن نضع في سلة واحدة كل من حماس، حزب الله، السلفيين الجزائريين أو الملا الإيرانيين؟ يتميز النظام الشمولي بصفة عامة بحزب واحد يفرض إيديولوجية رسمية، محتكرا وسائل الأخبار، واضعا اليد على العدالة ويمارس رقابة بوليسية في كل لحظة. لا شيء من هذا القبيل مع أي من الحركات الإسلامية. لكن الذين ينبذون «الفاشية الإسلامية» يقولون أن التنظيمات التي لم تصل بعد إلى السلطة ستفرض نظاما شموليا بمجرد وصولها. بالتأكيد تعرف الحياة اليومية ضغوطات في قطاع غزة، المحكوم من قبل حماس (قيودا أدنى من تلك المرتبطة بالحصار للحدود من قبل إسرائيل)، لكن هل يمكن القول أنه لا يوجد أي فضاء للحرية؟ بالنسبة إلى ستيفان دوران[24]، «إذا كان البعد الشبه عسكري، يمكن أن يكون الشعور بالإهانة وعبادة الشخصية الكاريزمية مشتركة مع الإسلاموية والفاشية التقليدية، كل الأبعاد الأخرى (الوطنية، التوسعية، الحرفية، البيروقراطية وعبادة الجسد) الأساسية للفاشية قد غابت».

فضلا عن ذلك، الحركات الإسلامية في الأصل متعددة القوميات،

---

(23) Bernard henry lévy, ce grand cadavre à la renverse, Grasset, 2007.

(24) حسب تييري فابر، «نجد كل هذه المواضع المشتركة، كل الصيغ والشعارات، في كلمة واحدة هي الهذيان الذي يصلح لتبرير حرب الحضارات. لا أحد يمكنه أن يعارض الخطر، خاصية خنق الحريات للحركات الجهادية. . .التشكيلات من نوع الإسلام الفاشي تحول دون الرؤية ولا تسمح بوجود فكر للعالم»، La Gauche déboussolée, La pensée de midi,Actes sud, n°28, p155.

وهي بهذا بعيدة جدا فالوطنية خاصية الفاشية الأوروبية. الباحث ستيفان دوران يذكر أن الحركات الفاشية لم تكن بطبيعتها إمبريالية وتوسعية. في حين إذا كانت خلايا القاعدة قد فتحت في عدة دول، أو أنها تتطلع إلى غزو جديد للأندلس وإعادة تثبيت الخلافة، فإن حماس وحزب الله هما في تصد لاحتلال الأقاليم. الحركات الإسلامية عامة ليست في السلطة وحين تبلغها كما هو الشأن في إيران، يتصدون إلى العديد من هم ضد السلطة. حتى في إيران، القمع في الغالب يكون وحشيا لكنه لم يجرد المواطنين من السلاح تماما. الرقابة البوليسية بالتأكيد قوية لكنها ليست شاملة، مثلما هو في الأنظمة الشمولية. في حدود، بعض أنظمة أسيا الوسطى التي هي مرتبطة بالغربيين في التصدي للإرهاب، التي يمكن أن تنتمي إلى أحزاب فاشية، أو أيضا إلى عراق صدام حسين الذي كان في تفاهم مع العالم الغربي لمدة طويلة. نلاحظ أيضا أن طالبان لم يغيروا إيديولوجيتهم خلال العشر سنوات الأخيرة. مع ذلك، الولايات المتحدة وجزء من الدول الأوروبية قد ساندتها في الأصل.

التعبير «الفاشية الإسلامية» ضروري بسبب حمولته العاطفية. يسمح بتزويد الخوف باعتماد فكرة أن الغرب يحارب فاشية جديدة وهتلر جديد. هذا المفهوم يسمح بتهيء الرأي لقبول فكرة أن الحرب يمكن ويجب أن تكون وقائية. لكن هل يمكن أن نقارن بنزاهة هكذا هذين «التهديدين»، ذلك الذي حدث أمس والمفترض، المستهيم اليوم. إذا كان الجهاديون الذين يريدون تهديم الغرب موجودون ليس لهم الوسائل اليوم لمشروعهم وليسوا سوى بعض المئات. أين هي فرقة المدرعات والمئات الآلاف من الجنود ألمانيا النازية؟ أين هي آلاف الأسلحة الذرية وعشرات الآلاف من دبابات الاتحاد السوفيتي؟ دون أن تنتمي إلى الدائرة نفسها، المنددون «بالفاشية الإسلامية» ينقذون في الحقيقة المركب العسكري الصناعي الذي نجح في تطوير السباق نحو التسلح خاصة إبان الحرب الباردة.

صناعة مفاهيم مزيفة: إنها أيضا خيانة جديدة لرجال الدين. عوض السماح للمواطنين بالتفكير في ظواهر معقدة، نبسط إلى أقصى حد، نقدم للرأي العام مواد ثقافيا مغشوشة وسامة ونصنع فخاخا إيديولوجية .

7
الإسلام يخيف

بمناسبة انتخاب باراك أوباما للرئاسة الأمريكية في 2008، L'IFOP أنجز لحساب جورنال دوديمانش Journal de Dimanche[25]، استمزاجا لمعرفة ما إذا كان الفرنسيون مستعدون لاختيار رئيس منحدر من الأقليات العرقية. السؤال كان: «هل يمكن في يوم من الأيام أن تصوت في الانتخابات الرئاسية لصالح مرشح أسود؟» 80% أجابوا إيجابيا: «مرشح من أصل أسيوي؟»، 72% و58% فقط من أجل مرشح من أصل مغاربي. بالتأكيد يمكننا اعتبار أن 58% من الفرنسيين مستعدون للتصويت على مرشح من أصل مغاربي نجاحا وتقدما -مثل هذا الاستمزاج عشرين أو ثلاثين سنة من قبل يمكن أن يعطي نتيجة أقل. يمكننا في هذه الأثناء أن نلاحظ ما إذا كان الفرنسيون يعبرون عن ارتياح بالنسبة إلى التنوع، مع ذلك هناك اختلاف مهم بين السود، الأسيويين والمغاربة. هؤلاء يشكلون موضوع شبهة أو رفض ملحوظ. هذا ليس جديدا ولا يبدأ من 11 سبتمبر. في أكتوبر 1988، لوفيغارو الأسبوعية عنونت: «هل سنبقى فرنسيين في الثلاثين سنة القادمة؟» بصورة مركبة لمريانة تضع خمارا إسلاميا. في 5 جانفي 2011، نشر استمزاج في لوموند مفاده أن الإسلام يعتبر كتهديد من قبل 40% من الفرنسيين.

إن ميراث الاستعمار هو أول عنصر للتفسير. هذه الشعوب قد غزيت، اعتبرت منحطة وعوملت على هذا الأساس لإعطاء الشرعية للاستعمار.

---

(25) Stefan Durand, op.cit. 2 novembre 2008.

لأن الاستعمار كان مؤلما خاصة مع حرب الجزائر، لقد ترك ندبا أخرى. انتصار جبهة التحرير الوطني (ج ت و)، ترحيل الفرنسيين الذين كانوا يعيشون في الجزائر إلى فرنسا كرها، مستوى العنف خلال حرب التحرير، يفسر أنه عند البعض أضيفت العداوة إلى التحقير. أيضا الهجرة المغاربية بعد حرب الجزائر جاءت لتنشيط فكرة «جاؤوا ليأخذوا رزقنا»، إن منافسة من أجل وظائف العمل الأقل تأهيلا غذت عنصرية شعبية.

لقد قيل كثيرا أن العرب حاضرين فيزيقيا في فرنسا منذ جيلين أو ثلاثة أجيال، لم يستطيعوا الاندماج لأنهم مسلمين بخلاف موجات الهجرة السابقة، إسبانية، إيطالية وبولونية إلخ. إذا كان التشخيص مضبوطا (مشاكل الاندماج والصعوبة في الضواحي)، هناك خطأ حول أسباب الظاهرة. التفسير ليس دينيا وعرقيا بل اجتماعيا. أجيال المهاجرين السابقة قد تحملت صدمت الرفض والعنصرية، قبل أن يندمجوا خلال عقد أو عقدين بفضل المدرسة والعمل. موجة الهجرة الإسلامية وصلت إبان انفجار البطالة، لآلة الاندماج فسدت، حيث محاولة البعض جعل القضايا الاجتماعية عرقية.

السقف العاجي موجود في أعلى السلم الاجتماعي، للنواب، رؤوساء الشركات وللموظفين السامين. الاندماج الذي هو في طريق النجاح يقتضي جهودا جديدة. الشباب العربي ينجح أكثر فأكثر في دراسته، اندمجوا مهنيا بشكل جيد جدا، واضطلعوا في هدوء بمكانتهم في مجتمعهم. هناك أطباء أكثر فأكثر ومحامون عربا ومسلمين. نجاحهم أخاف الذين يرون أن منافسة جديدة قد وصلت.

إن تصريحات مرين لوبان Marine Le Pen في ديسمبر 2010 مشبهة صلاة المسلمين في الشارع بالاحتلال النازي إبان الحرب العالمية الثانية أحدثت استنكارا. لكنها تدخل ضمن كل، مرين لوبان فهي بعيدة أن تكون الوحيدة التي تتبنى خطاب الإقصاء أو التشكيك اتجاه المسلمين.

كان اليسار مستعمرا. الحجج المرتبطة بالحقبة الاستعمارية وفي زوال الاستعمار اليوم هم أغلبية محسوبين على اليمين. كي يشعر موقف اليسار بأن العرب/المسلمين يشكلون تهديدا، يجب أن يلعب على وسائل أخرى،

التعرض لحرية المرأة، الدفاع عن العلمانية ستطور خطابا مناهضا للإسلام صحيح سياسيا ومقبول من قبل جزء من موقف اليسار. **الدفاع عن العلمانية ينزلق أحيانا نحو الدفاع عن هوية يهودية مسيحية التي يقصى منها المسلمين.**

جاء صراع الشرق الأوسط ليضخم المشكل. يمكن للذين هم أكثر حماسا لنصرة إسرائيل أن يكونوا قد جربوا إعداد وجه العدو على المستوى الداخلي.

للمقاربة الاستراتيجية ل«صراع الحضارات» انعكاسات داخلية. إخلاء المكان للحسوية، قد جسد المسلم في إرهابي على المستوى العالمي وتجريمه على الساحة الداخلية. طبعا، لتجنب تعريض النفس إلى الانتقاد من أجل العنصرية، يصرح بوضوح الفصل بين المسلمين المعتدلين والمسلمين الراديكاليين.

لكن هذا التمييز ليس سوى خدعة. إن المسلمين المعتدلين هم باعتدال غالبا مسلمين. كي تعتبر معتدلا، على المسلم أن لا يحترم التعاليم الإسلامية وأن لا يكون مؤمنا. الصلاة الصوم يعتبران دليلين للراديكالية الدينية.

البعض يجعل من التشهير بالإسلام و/أو بالإسلام الراديكالي معركتهم الأولية، إذا لم يكن سبب وجودهم. ما علينا سوى رؤية النائبة السابقة الهولندية أيعان هيرسي علي، من أصل صومالي، بعد أن ارتدت عن الإسلام قد احتفي بها وأوصلت إلى الذروة بالرغم من خطاب لصالح صدام الحضارات.

العرب و/أو المسلمين أصبحوا أبطال التنديد بالإرهاب سيستقبلون بحفاوة كبيرة. خطابهم يظهر أنه منطقي. لا يمكن أن يشتبه بهم إنهم عنصريون. لكنهم لا يندون إلا بالإرهاب الإسلامي. هذا يمنح تفضيلا لإسرائيل، الديمقراطية مهددة من قبل الإرهاب الإسلامي. المسلم الذي يتموقع في صراع الشرق الأوسط ضد إسرائيل لا يعتبر كمعتدل. لكن يهوديا يمكنه أن يعبر كما يحلو له حول هذا الصراع واليهود الفرنسيون يمثلون في هذا الموضوع أكبر شبح سياسي الذي يذهب من مناهضة الصهيونية إلى المساندة غير المشروطة لمختلف الحكومات الإسرائيلية.

قبل 1967، اليهود الفرنسيون كانوا يخافون التعبير عن الصراع الإسرائيلي العربي، خوفا من أن يتهموا بأنهم طرفا في القضية. هذا المحرم لم يعد يؤثر فيهم أبدا. بل يثقل كاهل العرب والمسلمين.

الخوف من الاتهام بمعاداة السامية يؤثر مضاعفا. عربي هو ببساطة «طبيعيا» مشتبه به. الذي ينتقد إسرائيل سيكون مذلاً بسرعة كبيرة. إذا أراد عربي أن يكون آمنا، عليه تجنب الخوض في قضية الشرق الأوسط، سوى إذا انحاز «بشجاعة» لصالح إسرائيل، الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط المهددة من قبل الإرهاب.

ما زال بذاكرتي هذا اللقاء مع مثقف مسلم قدم على أنه «معتدل»، ومعروف في وسائل الإعلام كثيرا. كنا في ملتقى في الخارج، جاء ليتحادث معي، تكلم عن السجال الذي كنت موضوعه في سنة 2001. استعمل لغة هجومية ضد مواقف إسرائيل، بالقدر الذي كان فيه مهاجما اعتبرته قد تجاوز الحد. في يوم الغد وجدته في المطار. كلمته عن ملتقى حول الصراع في الشرق الأوسط الذي عزمت مؤسسة العلاقات الدولية والاستراتيجية تنظيمه. كل الحساسيات الفرنسية حول هذا الموضوع كالإسرائيليين والفلسطينيين يجب أن يكونوا ممثلين. رأيت وجه مخاطبي قد تغير، وكان جوابه أن تقدم إلى الجمارك بخطى سريعة حتى أني ظننت أنه بهذا الإيقاع سيتجاوز أوسان بولت Usain bolt ذاته. التطرق أمام العموم حول الصراع ظهر له بالتأكيد أنه يشكل خطرا طبيعيا على وظيفته.

التمييز معتدلين/راديكاليين لا وجود له بطريقة دالة سوى عند المسلمين. «الملتحين» يهاجمون أعمدة حضارتنا. الحجاب البرقع وبناء المساجد ليست سوى حيل موجهة لاختبار مقاومتنا. والتخلي لهم في هذا المضمار هو خيانة للمسلمين المعتدلين الذين يقاومون. يريدون قمع النساء - تعدد الزوجات، الحجاب-، التضييق على حرية التعبير -قضية الكاريكاتير- ويجسد الإجرام على المستوى الداخلي والإرهاب على المستوى الداخلي. هذا ما يقوم به مثلا، باتجاهه المعتاد في القياس، أندري جلوكيسمان Glucksmann في مجلة إكسبريس عدد 17 نوفمبر 1994، في سجال وطيس

حول الحجاب: «الحجاب عملية إرهابية. في فرنسا تلميذات الثانوية المتحمسات يعرفن أن الحجاب هو خمار الدم». مثل تحليل طوماس ديلطومب Thomas Deltombe: «هذا المنطق يشكل لب إعلامية الإسلام في فرنسا: لا يتوقف الصحفيون عن ترديد أن مسلمي فرنسا يمارسون بكثافة "إسلاما هادئا"، لكن تحقيقاتهم خصصت بكثافة للمسلمين "الذين أصابتهم العدوة"(26)».

إن التنديد بالعنصرية متأخر حول تمظهراته. اليوم، التصدي ضد معاداة السامية اعتبر كأولوية. إتحاد الطلبة اليهود بفرنسا (إ ط ي ف) اقترح سنة 2003 جعلها قضية وطنية. كادت معاداة السامية أن تصل إلى القضاء على شعب كامل.

لقد كان قويا في فرنسا في القرن التاسع عشر وفي النصف الأول من القرن العشرين. وبقي حيويا إلى نهاية الستينيات. اليوم، لم يختف، لكنه متبق. لم يتحمل أي سياسي يهودي ما عاشه بلوم وманديس فرنس. أوضحت الاستمزاجات أولا أن الفرنسيين، ما زالوا بالأغلبية متحفظين خلال ثلاثين أو أربعين سنة ليصوتوا على مرشح للرئاسة يهودي، أو يرون أبنائهم يتزوجون بشخصية يهودية متدينة، لم تعد لهم هذه الميولات اليوم.

توجد تشريعات جد متطورة تسمح بمعاقبة التظاهرات العنصرية ويوجد إجماع كبير في وسائل الإعلام بعدم التساهل مع معاداة السامية. التعبئة الإعلامية والسياسية حين تقع أحداث معادية للسامية ولا يوجد أي تكافؤ مع رد فعل مماثل في حالة العنف ضد العرب أو المسلمين.

إنه من الطبيعي أن تتصدى التنظيمات اليهودية ضد معاداة السامية كأولوية. إنها وظيفتهم، إنها قضية وجودهم. لكن من المفروض أن المثقفين يحللون المجتمع بصفة شاملة وعامة ويجعلون منه الموضوع المحبب والأولى يمكن أن يظهر أكثر فضولا. هل العنصرية هي الأكثر إثارة اليوم؟ المصدر الرئيسي للتمييز؟ لا. وصلوا متأخرين. لم يعد يحاربون أشباح

(26) Thomas Deltombe, L'Islam imaginaire, La Découverte, 2005,.

الماضي أكثر من انحرافات الحاضر. ينخرطون في قضية عادلة لكنها على الأقل مربوحة سلفا نوعا ما، كما أعلنوا أنهم جمهوريون نشيطون في وقت كانت فيه قلة ممن يحنون إلى الملكية ويطالبون بعودتها. يمكن إن يؤدي إلحاح البعض على تمييز مناهضة معاداة السامية عن الأشكال العنصرية الأخرى، في بعض الحالات إلى ظهوره كشبهة. كما ينطلقون من مبدإ أن اليهود بما أنهم أقوياء، يجب أن نكون في جانبهم، هذا نتاج استدلال معاداة السامية.

لهذا الموقف امتياز مزدوج: اتخاذ وضعية نبيلة -التي لا يمكنها أن تشاطر إرادة محاربة معاداة السامية؟- وذلك بتبنينا وجهة تيار الأغلبية. لأن «مغالطينا»، لا ينوون استعمال الكذب كأداة عمل، فهم يحبون اتخاذ هذا النوع من الوضعيات. بمجرد أن ينتقد أحدهم المسلمين بطريقة أو بأخرى، فهو محتفى به من قبل الآخرين على «شجاعته». مصطلح «شجاع» يعود مزدوجا في تمارين الرضا الذاتي الحميمي الذي يحبون الاعتزاز به. تزفيطان تودوروف، من جانبه، قد قمع حقيقة من قبل الشموليين، يجد أنه من الغريب أولئك الذين يتحرجون إزاء المسلمين يشبهون فولتير. هذا الأخير كان يحارب ليس فقط أقلية تبحث عن الاندماج، بل قوة الكنيسة كلها المهيمنة على المجتمع. «الخليط أصبح مزعجا حين تشابه مناضلوه من أجل الحرية بمنشقي الدول الشيوعية في أوروبا الشرقية. هذه الدولة التي دفعت ثمن جرأتهم بعدة سنوات من النفي أو إلى المعتقلات. هؤلاء " أوشكوا " أن يروا مستقبلين في طاولة رئيس الجولة. إنه مفرط نوعا ما، لنعترف، بإرادة الربح في الوقت ذاته بالشرف المخصص للمضطهدين وبعض الامتيازات المقدمة من قبل الأقوياء[27]» .

هؤلاء المثقفون أنفسهم، بالمقابل، هم مناضلون قليلون في التصدي ضد العنصرية ضد العرب أو الرهاب الإسلامي، لأنه كان من المفروض حماية منع انتقاد الديانة الإسلامية، إذن فهم ضد الحريات. إن التنديد

(27) Tzvetan Todorov, La peur des barbares, robert Laffont, 2008.

بالإسلام أو بالعرب، يمر عبر المصفاة المقنع للتصدي للإرهاب، الرقابة الدينية، الدفاع عن العلمانية أو حرية المرأة. بغرابة، إن النساء الوحيدات اللائي يستحقن التعبئة من أجل الدفاع عن أنفسهن هن المسلمات. لكن من يستطيع إثبات أن عنف الحياة الزوجية بفرنسا هو حكر على المسلمين؟ وأنه على المستوى العالمي، فقط نساء العالم الإسلامي هن ضحية الزواج الإكراهي أو أنهن ضحايا إجرام الشرف؟ أبدا مثل هذه الأفعال قد تحدث في الهند مثلا، وتكون موضوع حملة إعلامية. كما يسجل ذلك إسثر بينباسا Esther Benbassa، «الإسلام هو الاستحواذ في القرن الواحد والعشرين مثلما كانت اليهودية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين[28]».

كيف لا ندرك أن المؤاخذة اليوم التي تقدم للمسلمين و/أو للعرب كانت تقدم من قبل لليهود: «ليسوا مثلنا، الدين يجعلنا مختلفين تماما؛ لا يستطيعون أو أنهم لا يريدون الاندماج، إنهم تهديد لهويتنا وأمننا»؟

إن قضية الرسومات المسيئة للرسول (ص) قدمت على أنها معركة الحرية. بحق أن تودوروف قد رأى فيها أنها بالأحرى هي صراع داخلي للدول الأوروبية، بين موقفين إزاء سكانها المسلمين ولضعف إرادة هذه الأخيرة: الدفع إلى المواجهة بتهييج الصراع أو البحث قبل كل شيء لتهيئ عن قابلية التأثر. هل يمكن القول، كما يصرح البعض أن انتقاد الإسلام أصبح ممنوعا لأسباب «سياسيا مضبوطة»؟ الباحث جون إييف كامو Jean Yves Camus أنكر: «الوقائع تثبت أنه في فرنسا الحالية انتقاد الإسلام قد انتشر كثيرا، بحيث لا يضر في شيء المستمعين أو الوضعية الاجتماعية والثقافية للذين أو اللواتي يكبون فيه وأنهم في هذا الاتجاه، الفكر الذي بحسبه سيمنع انتقاد الإسلام إنه بلا شك أحد أكبر أكاذيب المثقفين لهذه العشرية الأخيرة».

البرقيات الديبلوماسية للسفير الأمريكي بفرنسا المنشورة من قبل ويكيليكس تسجل تحليلا سياسيا دقيقا حول مصاعب فرنسا في إدماج أقليتها

---

(28) Respect Magazine, 1 septembre 2008.

المسلمة. الأمر يتعلق بتحد أساسي لتوازن مجتمعنا. رهان أساسي يسمح لها بمواصلة نفوذ يتجاوز ثقلها الديمغرافي والاقتصادي. نتمنى أن تكون لتصريحات مارين لوبان على الأقل جدارة التوضيح أو تقود تخليد جو مناهض للمسلمين، هل هو ملائم، ومتفق عليه من قبل أناس اليسار ويطور باسم العلمانية الراديكالية.

إنه سابق للأوان القول أن «الربيع العربي» قد جاء على عكس «مغالطينا». لقد شرح لنا أن التأخير الوراثي لهذه البلدان جعلها بلا شك، مغلقة عن الديمقراطية. هذا يبرر اللجوء إلى الحرب من أجل تحرير هذه الشعوب من طغاتها كما وقع في العراق. في تونس ومصر، تحرر الشعبان من ديكتاتوريهما لوحدهما. إنه الموت الثاني للمحافظين الجدد. هذا يبرهن مرة أخرى على أن الديمقرطيات تتكون من الداخل وليس بتدخل عسكري- خارجي فضلا عن ذلك.

الديكتاتوريون قد كانوا مساندين من قبل الغربيين لأنهم قدموا أنفسهم كسور ضد الإسلاموية. يمكننا، بالعكس الاعتقاد أن طرق هذه الأنظمة التسلطية (الجمودية السياسية، المحاباة الأقارب، الرشوة، القمع وغياب الحريات إلخ) كانت هي لب الإسلاموية الراديكالية. لقد سقطت دون أن يتسلم الإسلاميون السلطة -الذين سينتخبون من جديد-. الإسلاموية تحارب عن طريق الصناديق أحسن من السلاح.

يقدم لنا العرب على أنهم عنيفون جينياً. لقد كانت الثورات سلمية والنساء تبوأن فيها مكانة مهمة. أمام الثورات العربية، كعادتهم «مغالطينا» مطنبين، كانوا إما ساكتين أو منتقدين.

برنار-هنري ليفي، مرة أخرى، أكثر مهارة من الآخرين. بعد أن عبر عن مخاوفه رؤية الإسلاميين يتسلمون السلطة في مصر، فهم أنه لم يكن حكيما في ظهوره معارضا لهذه الثورات الديمقراطية. غاص في القاهرة وعاد بتحقيق لليبراسيون، ثم ذهب إلى ليبيا. لوجورنال دو ديمانش سارع في تكريس صفحتين لهذه الزيارة التاريخية. تبعها ثلاث حلقات راديو وتلفزيون، بيرنار- هنري ليفي دخل الساحة مع المصريين والليبيين التي كان فيها الناطق الرسمي.

خلاصة

نقلق كثيرا من الصعود القوي لمارين لوبان و«الشعبوية» في فرنسا. دخولها في النقاش حول تعريف «الشعبوية» قد أثبت أن رفض النخب يتغذى من كذب هؤلاء. مثقفونا «المغالطون»، الذين أكاذيبهم لم تعد تخدع أبدا الجمهور، لكنها تواصل نجاحها بفضل التواطؤ الذي تستفيد منه، وتساهم في صعود اليمين المتطرف.

يعتبر تزفيطان تودوروف إنه في «الدول الشمولية، تكون الحقيقة مكرسة بنظام للتصدي للنصر. في دولة ديمقراطية، يجب أن يكون قلق الحقيقة مقدسا[29]». بالنسبة إليه، حتى أسس النظام ذاتها في خطر. «كذابينا» يقوضون خلسة الديمقراطية. يمكن لتعاليقهم ومطالباتهم أن تؤدي إلى رؤية ضيقة لفرنسا على الساحة الدولية، فرنسا منطوية على نفسها لكنها غير محتشمة فيما يخص الدروس التي تعطيها للآخرين.

صورة فرنسا متناقضة مع ذاتها، التي تبشر بحقوق الإنسان؛ وحقوق المرأة، بحزم مع الذين تراهم كخصوم ومنافسين، وذلك بتطوير تأملات الخوف في مواجهة العالم الخارجي بصفة عامة والعالم الإسلامي بصفة خاصة بطريقة متفتحة أو نصف واعية، هي أقل إشكالية. هذا التصرف ليس من تقاليد تفتحنا وتألقنا، وليس من مصلحتنا المستقبلية. نعم، الهيمنة الغربية للعالم إنها مرحلة كاملة. لا، لا يكفي الارتماء في الحملات النظرية -التي يمكن أن تنفتح على حروب حقيقية- وإدانات شفهية أو مكتوبة لصد هذه الظاهرة. بالعكس نوشك على تشديدها وتسريعها.

(29) Tzvetan Todorov, op, cit.

الجزء الثاني

بخصوص بعض «المغالطين»

تنبيه

لقد أثرت في الجزء الأول في حدود عامة، كيف ولماذا الانتصار الباهر «للمغالطين». في هذا الجزء الثاني، أصرف بعض الأمثلة واقعيا.

اختلافي الأساسي مع هؤلاء المذكورين لا يتعلق بأفكارهم بل بلجوئهم إلى الكذب. لا ألومهم على التفكير فيما يعتقدون، ذلك من حقهم وقد يحصل لي، بالإضافة إلى ذلك أني لا أكون في خلاف معهم. بالمقابل، الاستعمال المنتظم للحجج الكاذب هي شيء لا يجب أن يكون مقبولا. لم أتمكن من قبولها.

العديد من الأشخاص، حين أثرت مشروع هذا الكتاب قالوا لي: «سوف تكون أعداء وأعداء أقوياء» وقد نصحوني بعدم متابعة هذا العمل. صحيح أنه مريح عدم قول أي شيء والاستمرار في صمتي، والمشاركة في حركة التواطؤ العامة. في الإمبراطورية الرومانية، كان العرافون لا يستطيعون منع أنفسهم من الضحك حين يرون أنفسهم لأنهم كانوا واعون جماعة إنهم يحكون الترهات.. البين الذات الذي يقود العديد من المثقفين أو الخبراء لمراعاة بعضهم البعض حميمياً، حتى يكونون واعون بفداحة ما يتلفظ به هؤلاء أو أولئك أنه غير مقبول. الضحية الأساسية هي الجمهور الذي له الحق حقيقة في نقاش متناقض وخبر سليم.

البعض يندهش ربما من بعض المثقفين الذين لم أراعيهم فضلا عن ذلك. لكن مرة أخرى أيضا بما أن موضوعي في هذا الكتاب ليس هو انتقاد أولئك الذين أختلف معهم، بل هو فضح أولئك الذين أعتبرهم كذابين. مثلا، لي اختلافات ثقافية عميقة مع ألان فينكييلكروت. أعتقد أنه بطريقة خاصة مؤسف، لمشاركته في تغذية الخوف بجزء كبير للمجتمع اليهودي

بتضخيمه بطريقة غير مضبوطة لمعاداة السامية بفرنسا -إلى درجة إثارته «سنة بلورية»- وأنه بطريقة جد بسيطة وصم بالعار شباب الضواحي المسلم. لكن علي أن أعترف له بصدقه. يؤمن فينكييلكروت عميقا بما يقوله. كما أنه أحيانا مسكون تماما بقناعاته.

باسكال بروكنر Pascal Bruckner تقريبا في حالة مشابهة. لقد لاحظت استثناء بارزا في كتابه اغتصاب القصاص الذي خصص لي فيه الاستدلال في ملاحظة حررت في 2001، التي بحسبها يجب أن تكون مناصرا للفلسطينيين لأن العرب كانوا أكثر من اليهود. لم أطرح أبدا مثل هذه المواضيع. إنها طريقة ملائمة للعب على حزن المجتمع اليهودي الغارقة وأن لا يجيب على أسئلة كنت قد طرحتها: لماذا لا نطبق بخصوص الصراع الإسرائيلي الفلسطيني المعايير نفسها للتحليل مثل باقي الصراعات؟ أطري بالعكس على تطبيق المبادئ الكونية وليس قوة المجتمعات كما كان الاتجاه الذي قام به الكثير من المسؤولين السياسيين. لقد التقينا ذات يوم كلارا ومارك هاتلر وقد اعترف لي أنه لم يقرأ الملاحظة حين كتب كتابه، لكنه ارتكز على مصادر «أخرى». حدثته عن ملاحظة وأحكام محكمة الابتدائية ومحكمة الاستئناف بباريس التي أنصفتني، أيضا كنت مندهشا جدا خلال الطباعة الإصدار الثاني لهذا الكتاب استعاد هذه الحجة ل«نظرية بونيفاص الذي أصبح في عالم السياسة مصدرا لتصنيف الممارسات الزبانئية». كان بالإمكان أنه من اليسير من جانبه ذكري في الطبعة الأولى دون أن يقرأني، لكن تكرير الطريقة في ثانية مع الحصول على المعلومة يوضح أن موضوعه نذالة ثقافية حقيقة.

لن أتحدث أبدا عن إيريك زيمور Eric Zemmour، الذي يدين لثروته الإعلامية ومواضيعه، التي بعض العرب والسود قد حوكموا بسببها. تصريحاته تظهر لي على أنها ذميمة وأفكاره ضارة، وهو الذي يدعي أنه مرتبط بفرنسا يحيل بالأحرى إلى فرنسا نتنة وغير نامية. لكنه صادق حتى في مبالغاته.

نحن في فرنسا في حاجة إلى نقاشات متناقضة التي تكون ملحا للحياة الثقافية. من جانبي، لقد قبلت دائما هذا النوع من النقاش لم أرفض أبدا

المشاركة في أي ملتقى أو حصة بسبب خلاف مع أحد المشاركين. إحدى النقاط المشتركة مع أغلب «المغالطين» المسجلة في الصفحات التالية، إنه بالضبط النقاش الذي يرفضونه محاولين إسكات الذين لا يشاطرونهم الرأي. في حين أنهم يتصرفون بشكل مستمر بالمبادئ الفولتيرية، ويتصرفون كرقباء قساة.

1
أليكساندر أدلر،
أروع حكايات العم أليكساندر

«راو رائع»: هكذا تقدمه لور أدلر Laure Adler (بلا أي رابط قرابة معه)، حين وظفته بفرنسا ثقافة. بالضبط. الصديق أليكساندر له مهارة رائعة في الحديث بلا ملاحظات وإثارة كل المواضيع الدولية ببراعة. إنه مختص في القارات الخمس وكل المواضيع.

إن أدلر مهيج للذاكرة. يسجل كل ما يقرأه. إنه مزود بذاكرة ظاهرية. كل من عاشروه تمكنوا من التأكد منها. المشكل: أليكساندر يستغل مهاراته الخطابية ومن المكتبة الحقيقة الموجودة في دماغه، ليروي في كثير من الأحيان الحكايات.

خطباء أقل نجومية، خبراء معرفتهم يظهر أنها ليست منطقية، لا يمكنه القيام بالطريقة نفسها، دون محمل التبعات. لكن أليكساندر أدرلر بالقدر الذي هو واثق من تعبيره والانطباع الذي يحدثه لدى مخاطبيه، لا أحد يجازف لمواجهته.

بفضل فهمه الثابت للإخراج المسرحي، يروي الأحداث كما لو أنه كان شاهدا مباشرا. حين نسمعه، يكون في قاعة مختلف قادة القوى الكبرى التي اتخذوا فيها قراراتهم، لأنه يصف النقاشات الداخلية. أدلر إنه «يخدش الجدار». عنده فضلا عن ذلك، بطريقة متناقضة شخصية استقبلت خبرا ماركسيا، فن مستهلك لتفسير التاريخ الكبير بتواريخ شخصية صغيرة. فلان ابن العم كان في مساعدة في صف الزوير، مشان Machin كان في مدرسة الحزب في الخمسين سنة الماضية مع تروكموش Trucmuche، إلخ.

عرف كيف يستهوي العديد من المسؤولين السياسيين، العديد من الصحفيين وجزء كبير من الجمهور. الجميع ينقاد وراء خداعه من خلال مواضيعه، يستمعون موسيقى جذابة، دون تفقد ما إذا كانت الكلمات المنتقاة متوافقة مع الواقع. إنه فضلا عن ذلك رفيق ممتاز وضيف مرح، إذا كان لكم ثقل اجتماعي حقيقي، وإلّا سيتجاهلكم بروعة. إذن، لماذا التدقيق في النوافل، لماذا انتزاع الكذب من شخص بهذه الروعة؟

ليس ألكسندر أدلر فقط، هو الذي يدهش جسديا وثقافيا، بل هو أيضا ذو صدق سياسي كبير. هكذا منذ 1981، كان دائما مع الأغلبية الرئاسية. لقد انضم إلى شيراك بدون مزاج، بعد أن كان «شوفينمانيا»، «سيجوينستيا»، «فابيوسنتيا». وحاول أن يكون «جوسبانيا» بلا جدوى واعتنق «الساركوزية» إذا فاز د س ك في 2012، وإذا كان مارتين أوبري Aubry سيتقمص روح تشي.

مع ذلك، مواقف جاك شيراك بخصوص الشرق الأوسط كانت على النقيض من القناعات الشخصية لأليكسندر أدلر، خاصة بعد 2011. لقد ألزم نفسه بمقاومة محاولة انتقادهم، بحيث كان صارما للغاية مع الذين يتبنون تحاليل قريبة من رئيس الدولة، لكن أن لا يكونوا في موقف السلطة.

هو الذي يتكلم مئات المرات عن الهستيريا المعادية لإسرائيل للسياسة الفرنسية الخارجية (في رأيت العالم القديم ينتهي، يثير «فرنسا عدوة صريحة لإسرائيل») لا يظهر أنه يعتبر رئيس الدولة أن له تأثير على هذه الأخيرة. صحيح أن زوجته بلاندين كرييجيل Blandine Kriegel، قد قامت بالقفزة الكبير من اليسار إلى اليمين وقد كانت مستشارة في الإليزي. مجاورة الزوجين مع رئيس الجمهورية ليس لها من آثار مزعجة على مسارهما المهني المحترم.

لكن، بالرغم من علمه بكل شيء، أليكسندر أدلر ليس دائما موهوبا في التكهنات. كان له من بين العديد، تكهنه بالانتخاب جون كيري John Kerry في 2004 كرئيس للولايات المتحدة، وتكهنه أيضا بخاتمي Khatami في 2005 كرئيس في إيران كما أنه تجرأ على إثبات أن حرب العراق لن

تقع في مارس2003. في الفيجارو عدد 8 مارس 2003، كتب في الواقع: «ربما أن الحرب ببساطة لن تقع. هذه القناعة التي استندنا فيها على ملاحظة دقيقة جدا لبعض الوقائع، وعلى بعض الفرضيات التي لا يتقاسمها الجميع، بل أيضا على حدس وملاحظات نفسية». وجب أن يفلت مقاله من جورج بوش الذي بعد أسبوعين من بعد أعلن حرب العراق.

في كتابه، رأيت العالم القديم ينتهي، المنشور قبل هذه الحرب بقليل، أعلن أيضا عن طلاق فرنسي ألماني «(ألمانيا شريدر تظهر نفسها أكثر فأكثر متحفظة لقيادة زوج مع فرنسا، زوج يظهر لها على أنه غير ضروري ومشكوك فيه». وقطيعة بين الولايات المتحدة وبريطانيا «(ولايات بوش المتحدة، استدارت ثقافيا نحو أمريكا اللاتينية واقتصاديا نحو آسيا، مقرف، بالرغم من جهور طوني بلير تجديد مهما كانت قليلة "علاقات العام الماضي"»). ترقب ألكسندر تحالف تركيا وإيران مع الولايات المتحدة وإسرائيل وتوقع أيضا انضمام روسيا إلى القضية الأمريكية وميلاد تحالف جديد روسي أمريكي. كما أثبت زيادة على ذلك، أن هذا التعاون الأمريكي الروسي «سيترجم بسرعة إلى زيادة بترولية وغازية، بالتحديد في بحر قزوين وفي سيبريا. إن سياسة التكافل الطاقوية وإعادة التوازن الجيوسياسي هذه تدفعنا نحو التحالف الأول المتساوي الذي أبرمته الولايات المتحدة منذ سنة 1945». بحسبه، إن بعث القوة الروسية ستصبح هدف الاستراتيجية الأمريكية وهذا ما يسمح «الروسيا بأن تنخرط في منظمة حلف الشمال الأطلسي وعلى الأمريكيين أن يقبلوا الطلاق بالتراضي الذي يتحمله الأوروبيون ويصبحون قوة عسكرية مستقلة». تقريبا عشر سنوات من بعد تكهناته ولا أي حدث قد وقع. ولا شيء من الثورات الحديثة يمكنها أن تسمح بالتفكير أنها ستقع في لوم ما...

فيما وراء تكهنات لوفوك Loufoques، هناك الإثباتات القاطعة التي يمكنها أن تدهش القارئ الذي يرتبط بالوقائع. لنسرد بعضا منها مستخرجة من العمل ذاته لنفهم أحسن: «يكفي دورتين من مفتاح المسامير كي تصنع اليابان من ثلاثة إلى خمسة آلاف رأس نووي في السنة». فيما وراء صياغة

الأسلوب ومهما كانت القدرات التكنولوجية أكيدة للبلد، نرى بعكس ما هو صائب كيف أن مثل نتاج هذه الأسلحة الذرية يمكنه أن يكون ممكنا. يصرح أيضا، أن صدام حسين كان مهتما بأسامة بن لادن وأن سفير العراق بتركيا قد استقبل رجال القاعدة. «يبدو أن قصي، أحد أبناء صدام بالخصوص كان مهتما بالقاعدة، لذا ظهرت عدة أطروحات إسلامية سنية منذ عدة سنوات بالعراق. أما علمانية سنوات الستينات فقد أصبحت من باب الذكرى البعيدة». بعد أن خسر حرب الخليج لسنة 1990-1991، بالفعل أن صدام حسين قد زين خطابه بالمراجع الإسلامية ليرمم جانبا من شرعيته. لكن أن يكون قد أقام روابط مع القاعدة فهي مخالفة للحقيقة. إنها براهين إيديولوجية لبعض الصحفيين منحازين للغاية إلى الولايات المتحدة لتبرير حرب العراق لكن بالتأكيد ليس حدثا مؤكدا. بالطريقة نفسها استعاد آدلر لحسابه الإشاعة المروجة من قبل الدعاة أنفسهم التي بحسبها أن محمد عطا، زعيم انتحاري 11 سبتمبر، قد تنقل مرتين من نيويورك إلى جمهورية التشيك ليقابل الرئيس المحلي للاستعلامات العراقية. هذا ما سمح له بتدعيم أن صدام حسين كان وراء المحاولات ضد مركز التجارة العالمي.

بالطريقة نفسها، بخصوص نشاط بن لادن (الذي بلا شك يضعه مباشرة على إطلاع بمشاريعه)، آدلر يفسر أن محاولات 11 سبتمبر كان يحضر لها منذ صيف 1999 وأن بن لادن قد وضع الثقة في عدد من الممولين الماليين والاندونيسيين. هؤلاء الممولين أنفسهم بلا شك يكونون قد أباحوا بسرهم الثقيل إلى اليكسنر آدلر. نفهم ذلك، هذا العمل لا يرضى سوى التأملات الجيوسياسية الواقعية. مع ذلك كان له نجاح كبير في المكتبات. كما أن وسائل الإعلام قد احتفت به بل أنه قد تحصل على جائزة الكتاب السياسي في 2003.

إذا كان هناك عالم قديم قد اختفى في هذه السنوات الأخيرة، إنه العالم الذي كان لأليكسندر رؤية غير اشتراكوية للعلاقات الدولية. منذ استئناف الانتفاضة و11 سبتمبر، أصبح مدافعا شرسا وغير مشروط عن إسرائيل والمهاجم العنيد لكل الذين يتجرأون على التشكيك في سياسة أرييل

شارون. كما أنه يطالب به: «منذ 11 سبتمبر، أنا في حرب [...] التي لم تكن بالنسبة إلي ثقافية، كان علي مغادرة كوريي أنترتسيونال ولوموند، هذه الثانية بأسف، الأولى بأسف ممزوج بارتياح. [...] لم أستطع أبدا، في هذه اللحظات التجديرية أن أتواجد جنبا إلى جنب مع الذين يناهضون العولمة، الديمقراطية الأمريكية والإسرائيلية[1] لنتصور لحظة أن كاتب افتتاحيات يقوم بالتصريحات المناضلة من هذا النوع نفسه مثلا لصالح فلسطين أو ضد الدول التي هي في صالح التي يلتزم آدلر الدفاع عنها. كم من وقت سيبقى كرونولوجيا على فرنس كولتور France culture؟ آدلر قد نجح في مقاومة كل محاولات مديري فرنس كولتور الذين أتووا بعد لور آدلر Laure Adler ليغير اتجاهه، ليس من أجل مواقفه بل بسبب خفته، تأخره أو لغيابه المتكرر عن الأستوديو. إذا كان بعض المستمعين يستحسنونه، البعض الآخر، سئم من تصرفه غير المحبوب دائما مع التحرير، لموقف النقابة الوطنية للصحفيين (ن و ص) طلب علانية أن يحترم التزاماته وأن يتوقف عن التعاون مع القناة[2].

إذن، يجد أنه من غير المحتمل «عبادة» أرييل شارون، فهو لا يتردد في تصنيف الوزير الأول الإسباني زاباتيرو «بالمرعب». انتخاب هذا الأخير بعدد اعتداءات مدريد في 2004، كانت بحسبه، «تأليف متفجر لسلمية نخبة الأقلية وللنية الحسنة لليسار[3]». في القناة نفسها، في مكروفون هوجو شوافيز «الغوريلا أو القرد» لم يتردد في اتهامه بأنه نصف ديكتاتوري، لأنه اعتقل عدد من المعارضين، من بينهم الرئيس الاشتراكي الديمقراطي القديم كرلوس أندري بيريس (3 مارس 2005). هل يجب التذكير أن هذا الأخير كان يعيش في المنفى باسم دومينيك بالفينيزويلا في 1993 بسبب اختلاس

(1) Cité par Acrimed, «Les facéties d'Alexandre Adler: expert en variations et médiacrate tout terrain», 13 janvier 2004.

(2) ن و ص في صحيفتها، تحصى مختلف النقص المهني لآدلر لتخلصك: «أي زميل مهما كان، سيغير اتجاهه في الحال إذا اقترف للمرة العاشرة مثل هذا الخطأ المهني»، Flash info SNJ, septembre 2009.

(3) «Ce qui menace Israel», l'Arche, octobre 2006.

خطير للأموال. يشرح أيضا أن القاعدة قد استغلت مجموعة من النازيين الأمريكان بأوكلاهوما سيتي. في حين أن هذا الاعتداء قد طالب به اليمين المتطرف، يصرح أليكسندر آدلر: «أكثر من ثلاثين شهادة موثوق بها شهود عيان الذين رأوا الأشخاص من أصل الشرق الأوسط، متواجدين في أماكن الانفجار[4]». على فرنس كولتور، في 2 ماي 2006، يعلقون على قرار إيفو مورال Evo Morales، الرئيس الجديد لبوليفيا، صرح: «متاجر المخدرات مورال قال بتأميم المحروقات ببوليفيا».

قلقا من الثورة الديمقراطية بمصر، يصنف المعارض والمدير السابق للوكالة الذرية للطاقة النووية، الذي عارض حرب العراق، «المنحرف المتعدد الأوجه»[5].

مركز القدس للإعلام والاتصالات أنجز استمزاجا في 2004 الذي بحسبه عدد الفلسطينيين الذين يتمنون القضاء التام على إسرائيل كان 11% و57% من الفلسطينيين يقولون أنهم مع إقامة دولتين جارتين. في الوقت نفسه، أليكسندر آدلر يصرح: «أغلب الفلسطينيين ما زالوا يتمنون القضاء التام على إسرائيل».

على راديو J، في 20 سبتمبر 2001، في قضية معرفة ما إذا كانت فرنسا بعد الاعتداءات ستكون متضامنة مع الولايات المتحدة، يقول: «لا، لا أعتقد ذلك، أظن أن بلدا مثل فرنسا، التي التزمت بقوة مع الفلسطينيين والعرب، لن تلعب على الإطلاق لعبة التضامن». في الحوار ذاته، يصرح: «لن يتخل عنا الإله، لن يتخلى عنا أبدا، وأتمنى من خلال كثرة صلاتنا وحبنا لإسرائيل، أن نرد الضربة القاضية وأن تكون لنا سنة سعيدة».

13 أكتوبر، على موقع Proche Orient info، يذهب أليكسندر آدلر بعيدا: «في العمق، طارق رمضان، ليس لا بشعا ولا لطيفا، قد صدمت كثيرا بأطروحات اليهود مثل روني برومان Rony Brauman، وآخرون. في

---

(4) « Qui prete main forte á El-Quaida», Le Figaro, 17 mars 2004.

(5) Le Figaro, 29 + 30 janvier 2011.

حين دانيال ميرمي Daniel Mermet، الصحفي البرجنيفي، بيرنار لانجوا Bernard Langlois، رئيس Politis وقلة آخرين، يعرفون كيف يقولون الأشياء بطريقة مغايرة، لهذا لا يمكن أن نحرج هؤلاء، يظهر لي أن هؤلاء الأناس الأكثر احتقارا والأكثر تنفيرا». علاوة على ذلك سيذهب ليشهد في الدعوى المرفوعة ضد دانيال ميرمي في أكتوبر 2003، من قبل اتحاد الطلبة اليهود بفرنسا، الرابطة العالمية ضد السامية وجمعية المحاماة بلا حدود. مروءته فقط هي التي حالت دون إعلان المصير المخصص عادة للخونة مثل روني برومان. لأنه بالنسبة إلى آدلر، إذا كنا يهودا مساندين إسرائيل بلا شرط، فقط.

جعل لنفسه من هذه القضية أليكسندر آدلر حقيقة نجما مدللا. ذكاؤه، ذاكرته وقدراته كان بإمكانها أن تجعل منه أكبر مثقفي عصرنا. فقط لو أنه قد أحاط جيدا سعة نجوميته بامتياز النزاهة والانضباط.

2
كارولين فوريست
«سلسلة كذب»

بحسبي، كارولين فوريست Caroline Fourest في النقاش الثقافي هي مثل ماريون دجونس Marion Jones في ألعاب القوى. المظهر تام، ونتائج السبق استثنائية. لكن لحسن الحظ بالنسبة إلى كارولين فوريست أن كشف «المغالطين» أقل تنظيما من مراقبات المنشطات. إذا كان ماريون دجونس قد أقصي، فإن كارولين فوريست تحتكر الحصص المتلفزة. أسست كارولين فوريست مجلة بروشوا Prochoix مع فيامونطا فينر Fiammentta Venner في 1977. هدف هذا النشرية الإعلامية في السحب السري هو حماية العلمانية، حقوق الرجال والنساء والجنسيين المثليين. ألفت المرأتان عملا في 1998، دليل الدعم الإشهار للجبهة الوطنية. ستعرف الصديقتان نجاحا جديدا للتقدير مع مناهضي المثلي الجنسية أو الحملة الأخيرة ضد المثلي الجنسية في 1999. في السنة الموالية، جاء كتاب حول الروابط بين المسيحيين الأصوليين وجورج بوش. في 2003، الرمي المتقاطع: **العلمانية تحت محك الأصولية اليهودية، المسيحية والإسلامية** الذي يخلص إلى أن الأصولية الإسلامية هي الأكثر شراسة من بين هذه الأصوليات الثلاث. كتبت كارولين خصوصا: «إذا لم يكن للإسلام احتكار العنف، إنه المستفيد الوحيد من خزان القنابل الإنسانية».

بهذه المناسبة، المرأة الشابة ستمر من قانون المناضلة الشابة التي نحيي فيها العمل، إلى القانون الحقيقي للنجمة الإعلامية. سببان يفسران هذا التحول للقانون. الأول، أن كارولين فوريست «معنية» في المشهد. امرأة،

شابة، ممتازة وخطيبة لها قوت كبيرة على الإقناع والقتالية الحقيقية، متميزة في النقاشات المتلفزة. السبب الآخر، أكثر أهمية أيضا، هو أنها ستتخلى عن المعركة بين الأصوليين المسيحيين إلى المعركة المثيرة إعلامية ضد الإسلاموية. ستصبح نوعا من باسيوناريا (عذاب المسيح) للنضال ضد الإسلاموية، هذه الأخيرة تشكل بحسبها تهديدا وجوديا على حرياتنا.معركة تخوضها طبعا باسم العلمانية، الدفاع عن حقوق النساء والأقليات المثليي الجنسية. في الوقت ذاته، تركب أيضا معركة أخرى توافقية: النضال ضد معاداة السامية، اليهود وإسرائيل هم أيضا مهددون من قبل الإسلاموية.

امرأة، شابة، علمانية من اليسار التي بدون الدفاع عن شارون وبوش تتصدى بعنف للذين يهاجمونهما بتقديمهم كمجانين مناسبين للإسلاموية، مشكل مددا مهما في المعركة الإعلامية وتستحق على هذا الأساس أن تواجهه.

جائزة الكتاب السياسي لعملها حول المحاولة الظلامية Tentation Obscurtantisme، لقد صارت بعد مقطع لشارلي إيبدو Charlie Hebdo، كاتبة افتتاحية بلوموند، بفرنس 24، بفرنس كولتور، فرنس إنترنسيونال. الضواحي، الإرهاب، العلمانية وحقوق النساء، يكفي أن موضوعا يكون فيه الإسلام معنيا، ها هي، مدعوة للحصة. حتى أن وزير الشؤون الخارجية عينها في اللجنة العلمية لتأسيس أنا ليند Anna Lindh، مفروض أن تشتغل على العلاقات السياسية والثقافية بين دول ضفتي المتوسط. الأمر ليس سيئا بالنسبة إلى أحد ليس له سوى شهادة السلك الثالث كزاد جامعي والتي يشكل التنديد بالإسلام جزء من اختصاصها.

إن القوة الكبيرة لكارولين فوريست هو ركوب خيل معركة تشكل أغلبية في الرأي وأكثر أيضا بين النخب الإعلامية. الذي يتجرأ على التصريح أنه ضد العلمانية، ضد المساواة بين الرجال والنساء، مع قمع الأقلية المثلي الجنسية أو أنه مع معاداة السامية؟ ما يطرح المشكل ليس هو ما تدافع عنه كارولين فوريست، بل هو الطريقة التي تدافع بها. بانتظام تنسب لخصومها مواقف، بلا شك محرجة لكنها ليست مواقفهم، أو تنسب إليهم وقائع ذميمة. .. لا وجود لها.

مسيرتها المهنية قد عرفت قفزة صاروخية بفضل الكتاب الذي كرسته لطارق رمضان: الأخ طارق، نشر في 2004. أطروحتها المركزية هي أن لطارق خطابين. متفتح ومتسامح علانية، إنه إشتراكوي وضد العلمانية في أسطواناته في الخطب الملقاة في المساجد. هنا، يبلور أطروحات أصولية ومانوية، مقترحا رؤية إسلامية وغربية رجعية. إن طارق رمضان هدف الاختيار. هذه الأخيرة قام باقتحام مجلجل في عالم الإعلام، تبعا لمقال نشر في أكتوبر 2003 على موقع المنتدى الاجتماعي الأوروبي، الذي تلوم فيه بعض المثقفين اليهود التخلي عن القضايا العالمية ليلتحقوا بالدفاع عن المجتمعية الإسرائيلية. بتصديها «لأخ طارق»، كارولين فوريست كانت تعرف أنها ستحضى برضى جزء من النخب السياسية الإعلامية، وخصوصا رضى بيرنار هنري ليفي، الفلق الأول لرمضان. علاوة على ذلك يملك طارق رمضان امتياز أنه مرئي للغاية وليس عليه كثيرا من التأييد والمساندة في الإعلام .الاتهام بمعاداته السامية أثقل عليه بغلق أغلب الأبواب عليه. لم يعد قادرا على الرد نهائيا. أو قليلا. كارولين فوريست لم تر من الضروري اقتراح البحث ذاته حول تناقضات بيرنار هنري ليفي، ألان فينكييلكروت أو أندري جلوكسمان. للأسف... هذا الكتاب الذي أعطى حقيقة دفعة لمسارها الإعلامي مليء بالأخطاء، بمختصرات... والأكاذيب.

هكذا، تقدم تقريرا عن دعوى مقدمة من قبل طارق رمضان ضد ليون ماج Lyon Mag وأنطوان سفير، كتبت: «في قرارها ل 22 ماي 2003، محجمة الاستئناف بليون أخالت أن خطب الدعاة أمثال طارق رمضان يمكنها أن تمارس تأثيرا على الشباب الإسلامي وتشكل عنصرا ساكنا يمكن أن يقودهم للانضمام إلى مناصري أفعال العنف». القرار لا يقول هذا بتاتا. تلجأ إلى موضوع أنطوان سفير، أن خطب الطرف المدني، أي طارق رمضان، يمكنها أن تمارس تأثيرا على السباب الإسلامي. ببترنا بداية الجملة، إنها تنسب إلى القضاة رواية لأنطوان سفير. نحن هنا في الخطأ الخطير لا في التلاعب بالرأي. بالطريقة نفسها، تصرح كارولين فوريست بأن اسم جينوفوا Genevois أعطى صدى لاسم طارق بن زياد، أول الغزاة المسلمين الذي داس الأرض المسيحية. تسجل: «هل يمكننا الاعتقاد جديا،

أن والديه قد اختارا اسم ابنهما صدفة؟ يظهر هذا ممكنا نوعا ما حين نعلم إلى أي حد طريق كل ذيل من هذه العائلة مرسوم سلفا». برهان لا يمكن تفاديه! قل اسمك الشخصي أقول لك ما هو مشروعك السياسي. أكثر من ذلك، تلاحظ أن طارق رمضان قد تزوج من كاثوليكية أسلمت من بعد. ليست واحدة ولا اثنتين، القديسة كارولين تشرح لقرائها: «في الإسلام الرجال يشجعون على نشر العقيدة بتزوجهم من نساء ينحدرن من عقيدتي التوحيد».

في هذا العمل، تتهم رابطة حقوق الإنسان، لوموند ديبلوماتيك، ح ع ص ش (الحركة ضد العنصرية وصداقة الشعوب)، صحفي لوموند جزافيي تيرنبسيان أو النسوانية كريستين ديلفي Chrestine Delphy. تندد قربهما من طارق رمضان. في الواقع، فوريست تعيد حسابها بتبني نظرية بوش من جديد «إن الذي ليس ضدك هو معك». إن تقارب الأشخاص أصبح موضع تساؤل ببساطة إنهن يرفضن عبادة رمضان. تصرح بخصوص بيير تيفانيان Pièrre Tévanian أن هذا الأخير: «مثال نموذجي لمناضلي اليسار هؤلاء الذين عن طريق مناهضة العنصرية فهموا سيئا واستسلموا للإغراءات الإسلامية». موضوع متواتر لدى كارولين فوريست التي علاوة على ذلك لم يفتها المهم الأساسي في الأخت كارولين عائدة Sœur Caroline est de retour -الكلمات مهمة، في أكتوبر 2004: «ولا في أي من الكتب الثلاثة، عشرات المقالات و300 نص التي نشرتها، لن تجد ولا سطرا واحدا يعبر عن أقل تواطؤ أو مجاملة مع أي نظرية إسلامية. إن تقنية كارولين فوريست تقتضي اتهام الذين ليسوا متوافقين معها بالتواطؤ مع الإسلاموية، اللا مناهضة معاداة السامية، السلبية أمام الاغتصاب، الفَلُوسيَّة، الخوف من الجنسية المثلية في الأحياء، إرادة الدفاع عن كل المقصيين من أجل التعويض وتخصيص ضواحي للفلسطينيين، المشكل هو أنها لا تذكر على الإطلاق نصا يمكنه أن يثبت تصريحاتها المجانية». في محكمة فوريست فعل الاتهام يثبت بالبرهان. إن قوة الاتهام هي استثمار نسبي عند اقتضاء العرض.

كما تشير إلى ذلك مونا شولي[6] Mona Chollet : «يمكن أن لا يكون لنا أي تعاطف مع طارق رمضان، ونكون على الأقل مأخوذين بالمقت أمام الإدهاشية ب 3,50 فرنك للسير الذاتية التقريبية التي كرست له .»كي تحدث الاهتزاز جيدا في القصر والكوخ، تستعمل في كل صفحة الصفات «مقلق»، «نحس»، «مرعب»، «رهيب»، «قليلا ما يطمئن»، «هذا مرعب»، «يرعب» و«يخيف». إن الإخوان المسلمين، تكتب كارولين فوريست، «القالب الجهنمي الذي مجساته ما تزال تبث إلى اليوم الأصولية للزوايا الأربع من العالم». إنها لغة لم ينفيها اليمين المناهض لمعاداة السامية في الثلاثينيات، إنها أسلوب مميز يظهر إنه مستوحى من خطاب اليمين المتطرف حول «الاستعمار بالمقلوب» الذي يجعلنا المسلمون نتحمله. لقد انتقدته مونا شولي من قبل، وتوقفت عن النشر لدى كلمان ليفي Calmann-Lévy، أيضا ناشر كارولين فوريست.

السادس والعشرون من شهر نوفمبر 2009، في حصة «لم ننم»، إيريك نولو èric Naullau يسأل طارق رمضان حول هذا السجال. صرح هذا الأخير: «إنه من السهل أن يشكك بي [...]، لن يعذر أبدا من يساند الفلسطينيين كما أساندهم». في 24 أفريل 2010، استقبل فوريست كارولين. احتجت فورا على القضايا التي ساندها رمضان خلال الحصة السابقة: «قال لها هنا: لكن عودي إلى أرشيفيك الخاص! كأنك تفترين علي! ألا تتذكرين. قال: "كارولين فوريست لا تتحمل الطريقة التي أساند بها فلسطين، إنها الطريقة الضمنية التي تشتغل بها كارولين فوريست حول رمضان، لأني أساند إسرائيل، لأني سأكون صهيونية"، إنه رسالة تمر بالقرب من المناصرين». نولو تكذب: «أتسمعون ما تريدون فهمه، هذا كل شيء». تضيف فوريست: «أطلب منكم التأكد على الإنترنيت لأنكم غريبون. أنا رأيت ورأيت مرارا هذا المشهد».خاصة كذبتها -«قال رمضان إني أهاجمه لأنه يساند فلسطين»- بالتأكيد يقال الكثير حول اللا شعور فوريست وتحفيزاتها الحقيقية.

---

(6) « Phil et Robbie, Sister Fourest et le spectre de l'islamisation», site collectif «les mots sont importants», décembre 2009.

في 16 نوفمبر 2009، واجهت طارق رمضان في حصة فريدريك طادي «هذا المساء أو أبدا». صرح رمضان أن كتابها يتضمن أكثر من مائتي خطأ حدثي. أثار رمضان خصوصا دعوى رفعت بالمقابل ضده في بلدية روتردام من قبل صحفية مثلية الجنسية تنتقد خطابة المزدوج. إحدى عشر استشهادا قد استنبطت من كتاب كارولين فوريست قد ترجمت إلى الإنجليزية. لكن بلدية روتردام قد تعهدت بالتدقيق، الاستشهادات كانت مبتورة، خارج السياق ومعاكسة لما قاله طارق رمضان.

في 2006، نشرت محاولة الظلامي .Tentation d'obscurantiste نجاح جديد. أحد فصول هذا العمل معنون «جين تحرر معاداة الصهيونية معاداة السامية». في هذه الأسطر، تطرح فوريست حساسيتين بخصوص إنشاء دولة إسرائيل. بالنسبة إلى الأولى، لإسرائيل دولة تأسست لتأوي أحياء معتقلات الموت. أما الثانية، إن هذه الدولة هي آخر مواليد مشاريع الاستعماريين. بالطبع، هذه الحساسية الثانية، محكومة بالأخرى. لكنها مقاربة ثنائية تماما تلك التي ليس لها أي معنى ولا أثر على كل مواقف مناصري قيام الدولة الفلسطينية. كان على الكتاب كي يكون أكثر ملائمة أن يعنون «محاولة انتهازية».

إن إدانة فوريست للإرهاب والإسلاموية الراديكالية، التي يمكننا متابعتها، لا تقول كلمة حول الأسباب المفسرة لهذه الظاهرة. كما أنها لا تدين الاحتلال العسكري الإسرائيلي والأمريكي وآثارهم في أي لحظة من اللحظات. إن هذا الكتاب من تبسيطية مطلقة، متجاهلا أن العمل بالنسبة إلى يسار ويمين الشعوب المرتب من قبلها ليس تناوبيا بل جوهريا. إنه علاوة على ذلك، على مستوى اللا احترام هذا المبدأ أن اليسار قد أفلس سياسيا تحت الجمهورية الرابعة. خمسة خبراء (جون بوبيرو Jean Baubérot، برونو إيتيان Bruno Etienne، فرانك فريجوزي Franck Fregosi، رفائيل ليوجيي Raphael Liogier، فانسن جريسر Vincent Greisser) ليس لهم الحساسية نفسها لكن لهم القيام المشترك بعمل جامعي حقيقي، نشروا في لوموند عدد 18 أفريل 2006: «إن هذا الاختيار لا يمكن أن يفوته ترك الباحثين في

العلوم الاجتماعية، علماء السياسة ومؤرخين جامعيين منذهلين. المشكل يتعلق جيدا بالتقليد الرسمي المخصص للمقالة النقدية التي تنتصب بغش في لائحة بيانات البيع العقلاني في حين أنها لا تستند إلا على غش العواطف والخوف الذي يؤدي إلى ما هو مبتذل بخصوص الإسلام والمسلمين. إن دورة خداع الدارسين هذه، تقتضي تصنيفها كإسلامية، أي كخطر اجتماعي، كل مسلم رافض التمييز بوضوح من انتمائه الديني. إن الاستفاقة البلاغية التآمرية للنخب الثقافية ضد فرنسا قد استحدثت. إذا كانت هناك محاولة ظلامية، إنها مجسدة اليوم تماما بالحقد العميق للمعرفة العلمية التي تتمظهر منذ عدة سنوات عبر محاولات مثل محاولة كارولين فوريست».

لقد استحسنت «حقيقة» الاستقامة الثقافية والدقة العلمية لكارولين فوريست. إنه في الواقع قد جاءت لتشهد لصالح محمد سيفاوي خلال دعوى القذف التي أقمتها ضده،. بهذه المناسبة، صرحت أنها لا تعرفني شخصيا (هذا صحيح) وأنها اكتشفتني من خلال كتاب المقابلات المحرر من قبل إليزابيث شملا Elisabeth Chemla في 2006، العمل الذي مست فيه محاولتها الظلامية. أثبتت في عتابها المركزي ضدي أنه كان يعني. .. غياب تنديدي بالإرهاب. جليا أن هذه «الباحثة» لم تتعمق جيدا في العمل الذي من خلاله يفترض أنها قد اكتشفتني. الفصل 6 (الصفحات من 177 إلى 211)، المعنون «الإرهاب أو الإرهاب بصيغة الجمع»، يبدأ بهذه الجملة: «الإرهاب بالنسبة إلي هو جريمة أخلاقية غير مقبولة مضاعفة بالخطأ السياسي». هكذا تقدم كارولين فوريست اتهاما بلا أساس وتلصق بالذي تريد مهاجمته أفكارا ومواضيع مدانة لم يسبق له أن تبناها أبدا.

في مجلة الأساس في العلاقات الدولية عدد سبتمبر 2006، حاورها فريديريك إنسيل Frédéric Encel ، ادعت أنها إحدى النادرات، إذا لم تكن الوحيدة، المهتمة بالإخوان المسلمين، في النطاق حيث كتبت: «قليل من الباحثين، بل المختصين بالإسلام غالبا ما يفتتنون بهذه الحركة، قد أخذوا الوقت الكافي للتفسير إلى الجمهور إلى أي درجة أن مدرسة الفكر هذه هي في أصل تجذير وتسييس الإسلام في صيغته الأصولية والشمولية». بالنسبة

إلى كارولين فوريست، إن المختصين في الإسلام هم سجناء مشاريع دراستهم. لحسن الحظ أنها هنا، لدراسة الموضوع جديا! يظهر لي أن كارولين فوريست ليست مرتاحة مع الدقة الجامعية وتفضل انتقاد الذين يتشبثون بها. كي تقصيهم بطيقة جيدة.

2 جويلية 2010، حكيم القروي، صيرفي أعمال ورئيس مؤسسة الثقافات الإسلامية، أراد الرد على موقع لوموند على مقال لفوريست نشر في صيغت ورقية. في هذا المقال تثير فوريست قضية مسجد ملحق بشارع ميرتا ويسير من قبل أحد مؤسسي الجبهة الإسلامية للإنقاذ (ج إ ن)، الذي اغتيل منذئذ. روت كيف أن المؤمنين كانوا يأتون ليصلوا في الهواء الطلق، دون أن يرى دانيال فايان، رئيس المقاطعة الحضرية 18 في ذلك شيئا، ليس أكثر من إدارة من جهة أخرى. في مقالها، تقارن هذه الوضعية التي تدوم منذ سبعة عشر سنة بالدعوة التي تمارسها الجبهة الإسلامية للإنقاذ التي سجلت إرهابها بالجزائر بفضل الصلاة في الشارع. كما أشرات إليه في جوابها، حكيم القروي، «الطرق المختصرة رائعة، بالمعنى الحقيق للكلمة، إنهم يخيفون[7]». في الحقيقة، القارئ المزود بقليل من الأخبار يدرك ما إذا كان المسلمون يصلون في الشارع في حي لاجوت دور، لأنهم يريدون تحديد محيطهم في منطق دعوي، بإرادة فرض الذات التي هيجت لدرجة أنها استطاعت أن تؤدي إلى مقتل أحدهم أراد التحالف مع السلطة. إن مقال كارولين فوريست هو تتابع لخليط وإفضاء إلى هذا السؤال المحير: «ماذا ستفعل البلدية حين تصدى المواعظ المشبوهة في الجدران؟» كما لاحظ ذلك بالضبط حكيم القروي، «لماذا نعتبر أن المواعظ ستعلن؟ على أساس أي خبر؟ لماذا هذا التلصص العام ضد إحدى مكونات المجتمع الفرنسي؟» لكن حكيم القروي اليوم هو مدير ببنك روتشيلد Rothschild، بعد أن كان بديوان جون بيير رافاران بماتينيون، إنه بلا شك مثال للإسلام اليساري... نلاحظ حين قارنت مارين لوبان الصلاة المسلمين في الشوارع باحتلال الحرب العالمية الثانية، أنها لم تبتكر شيئا جديدا.

(7) «شيء من الحقيقة في النقاش حول الإسلام الفرنسي»، monde.fr, le 1 juillet 2010.

علاوة على ذلك، هذه البراهين الصغيرة مع الوقائع،كان لفوريست منحة لاستعمال ورقتها الافتتاحية في لوموند، التي تسبب اضطرابات للتحرير، لخدمة بعض المصالح. هكذا في بعض الأخبار المؤرخة في سبتمبر 2008، ساندت بشدة إقصاء سيني Siné من شارلي إيبدو. بالنسبة إليها، «إذا كانت هناك حدود لحرية التعبير، إنها قبل كل شيء لحماية المهيمن عليهم وليس المهيمنين» لكن، لأن هناك في هذا المبدأ الجميل: «يصبح من الصعب تمييز الحدود حين يختبئ الطغاة بين الأقليات، حين يطالب الأصوليون بديانة أقلية مثل الإسلام، أو لما يجعل الأقوياء أنفسهم يهاجمون بصفتهم أفرادا في عالم يغازل العنصرية، مثل سيني اتجاه ساركوزي». إجمالا، نعم لحرية التعبير لكن ليس لسيني أو للإسلاميين (للمفترضين)...

في 9 افريل، في الوقت الذي كانت الإذاعة تقول أن فيليب فال Philippe Val سيكون المدير المستقبلي لفرنس أنترنسيونال وأن هذه التسمية تثير عددا من الاضطرابات، سارعت لنجدته تقدمه ك... كمعارض لرئيس الدولة. في 3 جويلية 2010، عاودت الجرم فبمساندتها لفال بمماثلتها إقصاء ستيفان جيون Stéphane Guillon وديديي Didier الناطق الرسمي للراديو: «إننا لم نعد أبدا في زمن ديوان راديو البث التلفزي الفرنسي ORTF، في مشهد إعلامي واضح بالتأكيد، توجد دائما صحيفة أو موقع إنترنيت لمعرفة الرأي العام كشاهد. أن تميل إلى إعلام ما ليس نهاية حرية تعبيرك، إذا كانت لك نجومية وجمهور». بالعكس، حين قدم فانسن جييسر إلى إجراء تأديبي بخصوص إلحاحه، بطلب من موظف سامي بالمركز الوطني للبحث العلمي، الإجراء الذي أثار عاطفة جياشة في العالم الجامعي، كارولين فوريست، بعيدا عن أن ترافع من أجل حرية تعبير الباحث، قد اقتصرت على اعتبار أن «فانسن جييسر قدم ليعرف من خلال تمسكه بمواقفه السجالية لصالح الإسلام الراديكالي». تصريح مجاني، بلا استشهاد لإثبات ذلك.

في مقاومتها الشرسة «لأعدائها»، أكبت على عنف كبير ضد جون زيبجلر Jean Ziegler في ورقة بشارلي إيبدو، نشرت في 18 مارس 2009، تحت عنوان «حسب جون زيبجلر، اليمن تهدد الصومال». تتهم عالم

الاجتماع والسجالي السويسري أنه ملك «المكيال بمكيالين» الذي يقضي وقته في انتقاد الولايات المتحدة وإسرائيل لكنه مقرب من ديكتاتوري العالم الثالث. في ردها بشارلي إيبدو، الذي لم ينشر فضلا عن ذلك، هذا الأخير قد شدد على التذكير، إنه من أجل عيون كارولين، قد ارتكب خطيئة لا تغتفر لإعلانه الوضعية الغذائية المقلقة جدا ل 60% من العائلات الفلسطينية بالخصوص في غزة. بالإضافة إلى ذلك، أخطأ زييجلر بكشفه في مقاله الذي يضعه موضع تساؤل، إن فوريست كانت مقتصرة على الخصوص على استعادة برهنة الاتحاد الوطني للمشاهدة، الذي يقدم نفسه كجمعية غير حكومية، لكنها قبل كل شيء هو تنظيم مناصر لإسرائيل. لنتصور للحظة أن زييجلر قد حرر مقالا يهاجم فيه فوريست التي ستصبح فيه النسخة طبق الأصل لبرهنة تنظيم إسلامي؟ كيف ستكون ردود الفعل في وسائل الإعلام؟

أحيانا، كارولين تنطلق أكثر. هكذا في منبر عنوانها «الحرب في العربية[8] «War in Arabia» نشر في وول ستريت جورنال Wall Street Journal في 2 فبراير 2005، تخوفت من عجز المهاجرين العرب على الاندماج. بالنسبة إليها، كان لها هنا تهديد للديمقراطية الغربية لأن اللا مدمجين، المهاجرين يمكنهم أن يلتحقوا بخلايا الإرهابيين الإسلاميين. تحتفظ بهذا النوع من النقد اللاذع للصحافة الأجنبية لأنه في فرنسا، كارولين فوريست تريد جعل الاعتقاد أنها تحارب كل المتطرفين. لكن حسب طريقة كتلة الحصان والقبرة، مع الإسلام في دور الحصان، فإن القطعة الكافية للقبرة مخصصة للآخرين.

---

(8) Cité par Mona chollet, «L'obscurantisme beauf»,collectif «Les mots sont importants»mars 2006.

3
محمد سيفاوي
فارق أساسي للإسلاموية

«بخصوص حرب غزة، قلتم أشياء صائبة جدا وحقيقية نادرا ما نسمعها من فم شخصية مسلمة».، هكذا قدم محمد سيفاوي من قبل مستضيفه، صحفي راديو اليهود، في 11 جانفي 2010، قد وشى به برعونة. أن يكون مسلما ومناصرا لإسرائيل. .. هذا الذي أدى إلى مكافأة محمد سيفاوي. في الواجهة التي وضعها لكتاب كلود مونيكي Claude Moniquet، غزة الكذبة الكبيرة Gaza, le grand mensonge، كتب: «إني حريص على أن أقول لك مرتجلا بوضوح وبلا مراوغة، بخصوص الحرب التي تفرضها إسرائيل على حماس، أساند تماما الجيش الإسرائيلي في تصديه المشروع ضد هذا التنظيم الإرهابي الذي جاءت به هذه الإيديولوجية الفاشية التي هي نظرية الإخوان المسلمين. وسأعبر عن أسباب مثل هذا الموقف بالطريقة الأوضح الممكنة: أنا مسلم، ديمقراطي وعلماني، رجل اليسار، أنا جد حساس بخصوص القضية الفلسطينية، وبالإضافة إلى ذلك، مرتبط جدا بحق هذا الشعب في حصوله على دولة سيادة، حرة وعصرية، ديمقراطية ومزدهرة».

إذن باسم وجود دولة فلسطينية سيدافع محمد سيفاوي عن حرب ستؤدي إلى 1400 قتيل من السكان المدنيين لغزة. إذا كانت الدولة الفلسطينية ليست موجودة، فإن حماس هي المسؤول الوحيد. إنه من الصعب جدا أن نجد تصريحات لمحمد سيفاوي يتهم فيها رفض إسرائيل إطلاق سراح الإرهابيين الفلسطينيين، لكن المرافعة على الحرب ليست كافية. سيفاوي يلح. أن تتظاهر أوجه سياسية إعلامية أو جمعوية تدعي أنها من

اليسار، ضد الحرب على غزة، أي أنهم بالنسبة إليه، طبيعيا إلى جانب حماس والجهاد الإسلامي، إنه: «بالنسبة إلى رجل اليسار الذي أنا هو، فرجة [...] بكل بساطة لا يحتمل» ويواصل شارحا لنا أسباب ألمه. لأن الإيديولوجية الإسلاموية هي «على كل حال نوع من نسخ-لصق، معدلة ومصححة بشكل طفيف عن النازية». أي تصنع هذا في التحليل! يواصل: «منذ أن وجدت الحروب، السكان هم الذين يدفعون الثمن باهضا. هذا لا يجعل بالضرورة، ولا يزعج البعض، أن الذي يقصف هو مجرم حرب». المعاهدات الدولية ترى العكس، لكننا لن نتوقف عند هذا التفصيل.

عرب ومناصرون لإسرائيل، تناقض يفسر ذاته. إذا كان سيفاوي قد انضم إلى جانب إسرائيل، فباسم العدو المشترك الذي هو الإرهاب الإسلامي. يقول العكس عن كثب ويكون في موقع جيد كي يحاربه. هذا الأخير قد دمر بلده الأصلي، الجزائر، الذي اضطر للمغادرة من جراء موقفه من الإرهابيين وسياسة الوئام الوطني التي جاء بها الرئيس بوتفليقة في 1999.

إن الخرافة التي بنيت حول سيفاوي إنه هرب من الجزائر بعد أن أفلت من محاولة اغتيال من قبل الإسلاميين الذين تسببوا في العديد من القتلى. قال أنه غادر الجزائر بعد عودة بوتفليقة في 1999، والعفو الذي منح للإرهابيين الذي تزامن مع قمع الديمقراطيين. يجب التذكير أن محمد سيفاوي قد ذهب ليشهد لصالح الجنرال خالد نزار، في دعوى في جويلية 2002 ضد ضابط جزائري سابق، حبيب سوايدية، صاحب كتاب الحرب القذرة، نشر بمنشورات لادي كوفيرت La Découverte. الكتاب يتهم فيه الجيش الجزائري بالابتزاز المقترف في التسعينيات.

الفارق الأساسي للإسلاموية، محمد سيفاوي أصبح بسرعة خبيرا تراجعه العديد من وسائل الإعلام لأنه يعرف عدو الداخل. لا يمكننا اتهام سيفاوي على أنه معاد للعرب أو معاد للإسلام لأنه عربي ومسلم.

إذن من الطبيعي كليا أن يلتحق محمد سيفاوي بخندق الشجعان المقاومين الذين يناضلون ضد الفاشية الجديدة. سيصبح عضو لجنة التحرير

لمجلة المحافظة الجديدة. Le meilleur des mondes وسيكون طرفا في قضية الرسومات المسيئة للرسول (ص) التي سيكرس لها كتابا، قضية الرسومات المسيئة للرسول (ص): رسومات وتلاعب(9) L'Affaire des caricature: Dessins et manipulations. بالنسبة إليه، القضية واضحة، الاحتجاجات ضد الرسومات الدنمركية المسيئة للرسول (ص) ليست سوى «الطرف المنغمس في الدفاع المعمم ضد العالم الغربي. إذا حذرنا منها، لن يستطيع الملحدون الشتم أبدا، المسيحيون سيحرمون من لحم الخنزير والقرض بالفوائد سيلغى من البنوك»س (ص 164-165).

يتحدث عن الفاشية الخضراء، مستعدة للاحتفال بقصر الإليزي (ص19) للنضال ضدها. في 178 صفحة المكتوبة بخط عريض التي يتضمنها كتابه، محمد سيفاوي، يستعمل مفهوم إسلامويين 225 مرة دون أن يعطي ولو تعريفا واحدا لها بخلاف ما يقوم به قياسا مع الفاشية، النازية والشمولية.

في هذه الحرب ضد الإسلام مثل تلك التي كانت ضد الفاشية، هناك متعاونون ومقاومون. الذين عارضوا نشر الرسومات المسيئة للرسول (ص) هم بالتأكيد متعاونون ضد الشجعان المناضلون الذين وقفوا لهم. كما يشير إلى ذلك موقع بقشيش *Site Bakchich*، «الحرب الصليبية لسيفاوي»، في 15 نوفمبر 2006: «صاحبنا جون مولان من العصور الحديثة يتصف بشهد حقيقي لقضية معاداة الإسلام، الوضعية التي يفضلها على الخصوص والتي تزوده بلا شك بالحجج التسويقية ليواصل بيع تحقيقاته ونظرياته في استيراد القطع الضخمة الشكل لوسائل الإعلام السداسية».

عود على بدء، محمد سيفاوي نجح في استغلال جعل نفسه يثير الاهتمام وهو يكرس تحقيقا باعتباره الشخص المتعاقد معه على قناة آرتي Arte خلال أمسية خصصت «هؤلاء المسلمون الذين يقولون لا للإسلاموية». في تقديم الأمسية قال: «إننا لا نستمع إليهم بما فيه الكفاية، خاصة أننا لا

---

(9) Mohamed Sifaoui, L'Affaire des caricatures, Edition Privé, Paris, 2006.

نعطيهم الكلمة بما فيه الكفاية. إذن، خصص هذا الموضوع من أجلهم، خاصة أنها وكلت لكل المسلمين الذين يقولون لا للإسلاموية ونعم للديمقراطية الإسلامية. هذه المساء، الديمقراطيون المسلمون هم وحدهم الذين سيعبرون». الحصة على قناة آرتي أنجزت بالرعاية المشتركة لشارلي إيبدو وليبراسيون ومن إنتاج دانيال لوكونت[10]. قد أنجزت من قبل أنطوان فيتكين Antoine Vitkine، عضو دائرة الكنيسة الصغيرة وأحد وجوه البارزة للمحافظين الجدد الفرنسيين. في التحقيق، نرى سيفاوي مختبئا في شقة، ينظر إلى أسفل ساحة يدخل فيها ملتحون إلى مقر جمعية التي تقدم نفسها كثقافية فقط. بفضل نظام تنصت ومعرفته اللغة العربية، سيفاوي يقدم ترجمة الموعظة: «أعداء الإسلام سيدخلون جهنم» تعليق: «بلا شك، الأمر يتعلق بمسجد سلفي سرى».

القول بأن سيفاوي يشق عليه التعبير، وأنه من الصعب انتقاد الإسلام في فرنسا يظهر أنه مثير للفضول. أمام اللجنة التمثيلية للمؤسسات اليهودية CRIF التي استقبلته في 5 نوفمبر 2009، سألته: «لماذا هناك انطباع بأن التيار الراديكالي هو أغلبية في بلدك ونادرا ما نسمع مسلمين ديمقراطيين مثلك؟» أجاب هذا الأخير: «هناك مسؤولون عن الحصص التلفزيونية يرفضونهم إيديولوجيا، البعض، في بداية البحث عن نظام تقييم الإصغائية التلفزية، الذين يفضلون الضيوف أمثال طارق رمضان، الذي نعرف أنه يغزو الشاشات، التي توافق جيدا الصورة التي يكونها الجمهور العريض عن المسلمين. المثقفون النزهاء للغاية، مثلي أو مثل آخرين، لا يهمونهم لأنهم يخرجون عن دائرتهم». نرى هنا جيدا وقاحة سيفاوي. له كل الموائد مفتوحة في كل وسائل الإعلام في حين أن طارق رمضان مقاطع بصفة كبيرة، سيفاوي يقدم نفسه كضحية في حين أن جينوفوا يرزح تحت الدعوات. مع ذلك، بمجرد أن تكون هناك عملية أو استنفار إرهابي، سيفاوي يسارع على الحصص التلفزية. تنديده بالإسلام جاء من شهادة الخبرة. حين نرى عن

Sur «l'œuvre»de Daniel Leconte, je renvoie au livre de guillaume Weill-Raynal, (10) Les Nouveaux Désinformateurs, Armand Collin, 2006.

قرب، إن هذه الأخيرة مريبة. المشكل المبدئي المطروح من قبل سيفاوي ليس في الواقع الخاصية الجوفاء للتنديد بالإسلاموية. عنصر آخر أكثر خطورة يجب أن يقود وسائل الإعلام إلى أكثر من تحفظ على الدعوات التي وجهت إليه، إذا كان لها اهتمام احترام الجمهور.

في الواقع، محمد سيفاوي قد أخذ بالجرم المشهود في تحقيق متنازع فيه في 27 جانفي 2003. لومجزين دوفرنس Le magazine de France 2، «تتمة التحقيق»، بثت تحقيقا مثيرا أنجز من قبله، الذي فيه يصرح أنه اخترق في خلية باريسية للقاعدة، كل شيء طبعا بكاميرا خفية[11]. بعد أن التقى صدفة بأحد يسمى علي خلال دعوة قضائية مرتبطة بالإرهاب الجزائري، شجاعنا المحقق جعله يعتقد أن بإمكانه أن يكون مجندا محتملا للجهاد. هذا سمح بعد خبر عاجلا في بعض مساجد باريس، أن يذهب إلى لندن حيث سيلتقي رئيس الشبكة. للتو، سمع أن هجمة ضد فرنسا تستهدف برج إيفيل على الأرجح، كانت تحضر. بطلنا في العصور الحديثة قد نشر كل هذا في كتاب صدر أربعة أيام قبل الحصة، إخواني المقتولين: كيف اخترقت خلية للقاعدة. سيكون مدعوا من قبل تييري أرديسون Thierry Ardisson يومين قبل بث التحقيق على فرنس 2. في الحصة يشرح أنه وجد الشجاعة أن يندد بوجه مكشوف بدمار الإسلاموية بفرنسا، محذرا المشاهدين من تكوين جمهور إسلامي حقيقي داخل المسدس. شهادة مخيفة! كان بجانبه المغني إنريكو ماسياس Enrioco Macias ذهب إلى حد تقبيله بحرارة تحت تصفيقات الجمهور. لكن القصة، الخرافة كانت مفرطة الجمال. في 9 فيفري 2003، حصة «الوقوف حول الصور» لدانيال شنيدرمان Daniel Schneidermann سترجع إلى هذه القضية بطرحها أسئلة أساسية خاصة الاعتقاد بل استبعاد أن صحفيا بسيطا يمكنه تحديد خلية للقاعدة بسهولة وبلا تغطية أمنية، في الوقت الذي فيه كل المصالح الأمنية في العالم معنية بمطاردة هذا السديم. للنجاح في مثل هذا العمل الباهر، كان على سيفاوي أن يكون الأطروحة الكاملة بين تنتان Tintin، أنديانا دجونز Indiana Jones

---

(11) Thomas Deltombe, op.cit, p.316-330.

ودجيمس بوند .James Bonde هكذا نكتشف أنه في 22 جانفي 2003، خمسة أيام قبل بث التحقيق، على المشهور قد وضع تحت المراقبة من قبل فرقة مكافحة الإرهاب لمفرزة الإجرام لباريس. كان محروساً من قبل لدى مصالح الأمن، كان مشتبها بالعنف في التجمع ومحاولة ابتزاز ضد رئيس مسجد باريس. إذا كان صاحبنا هو رئيس خلية للقاعدة، يمكن أن نعتقد أن هذا التوقيف قد مر دون أن يفطن له أحد، كان سيشكل واجهة كل الصحف.

في 29 نوفمبر 2003، سيفاوي تحصل على أول جائزة للمهرجان 17 للسبق لصحافة أنجرز .Angers في 16 جويلية 2004، علي، الذي اسمه الحقيقي كريم بورتي، سيطلق سراحه بعد أن أدين من قبل غرفة 16 المحكمة الجنح بباريس بعد أن ضرب رئيس المجلس المسلمين الديمقراطيين لفرنسا محاذاة مسجد باريسي، في ديسمبر 2002. الاتهام بالمشاركة في تنظيم إرهابي لم يكن له أساس. من المفروض أن يؤدي كل هذا سحب كل مصداقية من أنديان-تنتان-بوند. لكننا في فرنسا الهادئة حيث التوافق الكاذب مع الازدهار...

في الفاتح ماي 2004، دعي من جديد سيفاوي من قبل تييري آرديسون في حصة فرنس France 2، «الجميع يتكلم عنه» بخصوص كتاب نشر للتو حول آثار بن لادن: اللعب المشوش للأمريكين. من جديد يفتح سبقا صحفيا عالميا! كان جورج بوش ينتظر الانتخابات الرئاسية لسنة 2004 ليوقف بن لادن. يقول أنه قد اتصلت به فرقة حملة جون كيري، المرشح الديمقراطي الذي كانت له الأخبار ذاتها، ويصرح، إذا كان جون كيري مهتما بهذه الحكاية، لأن «الأمر جدي، وجدي جدا يجب أن ينشر هذا بأي طريقة كانت». لأسباب متعددة، يجب ألا يعاد انتخاب جورج بوش، يصرح الشجاع الهجين. كما لاحظ ذلك بسخرية طوما ديلطومب، «بعد أن زعزع بن لادن من قواعده، هل سيسقط محمد سيفاوي جورج بوش[12]؟».

بعد أن اخترق القاعدة، محمد سيفاوي، الذي لا شيء يوقفه، أراد

---

(12) Thomas Deltombe, op. cit. p324.

اختراق المافيا الصينية. تحقيقه سيبث في جانفيي 2008 على ت ف TF 1 في «حق المعرفة». نرى فيها شخصية تدعي أنها متورطة مع المافيا الصينية. يظهر مجموعة من الأدلة، تؤدي إلى تبييض الأموال والتهريب من كل الأنواع. الرجل الذي هو موضع تساؤل اعترف أنه الفاعل الذي أراد خداع سيفاوي، هذا ما يحدثنا عنه طويلا عن طرق تقطيع المحقق. التحقيق الذي أحدث خلطا بين التجمعات الأسيوية والانحراف قد أثار غضب العديد من الجمعيات الأسيوية لباريس. على RMC، محمد سيفاوي يشرح بخصوص تحقيقه: «الأسيويون يشكلون التجمع الذي لا يريد إجمالا الاندماج، هذا يعني أن الأقلية الأسيوية التي عاشرتها ليس لهم ما يقومون به على الإطلاق للمجتمع الدولي. إنهم هنا من أجل ربح المال[13]». لكن بطلنا ما يزال يكلف نفسه أكثر. لقد صرح حقيقة أنه أخذ جثة طفل قد دفن تحت مطعم بري كونت روبير Brie-Comte-Robert، بسين ومارن . .Seine-et- marne بحسبه كانت جثة الصغيرة إستيل موزان Estelle Mouzin التي اختفت في 9 جانفي 2003 بجيرمونت .Guermantes قاد المحققين إلى مطعم صيني الذي دمر عن آخره. لم يوجد في هذا المطعم سوى جثة كلب. النتيجة: ألم جديد أضيف إلى والدي الصغيرة إيستيل ومطعم مدمر لأن أعمال البناء قدرت ب 300000 يورو. في ديسمبر 2007، 54 جمعية أسيوية بفرنسا طالبت ت فـTF 1، RMC وCSA أن تقوم برد فعل بخصوص بث تحقيق محمد سيفاوي «لقد اخترقت التجمع الأسيوي». إشهار مضايق بالنسبة إلى شخص ينتمي إلى المكتب الوطني العنصرية SOS Racisme! لكن الجمعية أرادت أن تتحفظ عن هذه القضية حقا.

في 14 أوت 2008، منبر وقع من قبل عدد الشخصيات، معنون «لا نتخلى عن محمد سيفاوي»، يطالب أن لا تنزع عنه الحماية الأمنية التي يستفيد منها سيفاوي منذ جانفي 2003. النص يشير إلى أنه من الواجب أن يعيش في السرية مع الحذر الدائم. بلا حماية عليه التخفي، إنه يخاف على

---

(13) Cf. Fatiha Kaoues, Une énième polimique à propos d'un reportage de Sifaoui: L'infilteur infiltré?, Oumma.com, 10 décembre 2007.

حياته وحياة أقربائه.. في الواقع، مصالح الشرطة الفرنسية تمنت أن لا يتعرض محمد سيفاوي لأي تهديد حقيقي. لكن هذا الأخير بمجرد انتقاده إلي ويبدأ في النواح ويقول أن حياته وضعت في خطر .

لقد عين محمد سيفاوي بالمكتب الوطني SOS Racisme، هذا ما أعطاه بعدا -أو تغطية؟- إضافية، وسمح له بالخروج من الإطار الضيق لمندد «بسيط» بالإسلاموية. هذه الرفاهية بدأت تستنزف وتضيق قليلا. ما هي الأسباب التي دفعت بترقية محمد سيفاوي باختياره زميلا مباشرة بمركز مهم بالجمعية؟ رسميا، شجاعته ومعركته ضد الإسلاموية. الشجاعة والمعركة أهم من التحقيقات المتنازع عليها والمواضيع المحدودة التي قام بها حول التجمعات الأسيوية.

إذن، وضعيته فارق للإسلاموية كان احتماله في تناقص وخداعه أضحت سريتها في تناقص، سيفاوي ستكون له ضربة عبقرية: سيكتب كتابا يهاجم فيه إريك زمور Eric Zemmour، النجمة الإعلامية المعروفة تزحلقها ضد العرب والمسلمين. كتابها الصادر في سبتمبر 2010 بمنشورات أرمون كولين، إيريك زمور: خداعة فرنسية، تريد أن تظهر أن فرنسا ليست مجتاحة وأن المسلمين لا يشكلون عائقا مميزا ومهددا، وأن الهجرة والانحراف غير مرتبطين عكس ما تصرح به زمور. محمد سيفاوي يناقض أطاريح زمور، لكن أيضا تلك التي كان يبلورها ذاته هناك القليل منها. سيفاوي ضد سيفاوي.

بطريقة استعراضية، لوران جوفران Laurent Joffrin، في ليبراسيون 11 سبتمبر 2010، سيرد الاعتبار لهذا الكتاب. كان على لوران جوفران أن يستقبل تقريبا عشرة كتب يوميا بصفته مديرا لليبراسيون وأن يأخذ القلم لينقح واحد من بينها فهذه العملية استثنائية. في أخباره يقدم سيفاوي ك«محارب معركة ضد الإسلاموية، لاجئ سياسي أصبح فرنسيا، في الوقت نفسه مسلم، علماني، ديمقراطي، مدمج، ناقد أهله ومستحسن الثقافة الفرنسية». لكن الإرادة المفرطة للوران جوفران في التوضيح قد شوهت الصورة وموشية.؛ كتب: «هو أيضا متعود على المقابلات المخصصة لفترة طويلة لدور لمسلمين والجزائريين المناهضين للإرهاب»، جاعلا الاعتقاد أن الهدف

الحقيقي من هذا الكتاب هو الخروج من هذا الزي الذي أصبح مرئيا، مفرط الرؤية، إذن فهو ليس ضروريا. محاور من قبل موقع أنترنيت بول دانكر Bulle d' encre، سيذهب سيفاوي مرة أخرى بعيدا في «قطيعته» بتصريحه «الغطاء الرصاصي والإرهاب الثقافي لم يكونا أبدا وسيلتي وبصفتي مناضلا صد العنصرية لن أخضع أبدا لمساومة "الرهاب الإسلامي" الذي يلوح غالبا بمثيرات "القصية الإسرائيلية". آمل أن أجد ناشرا يقبل أن ينشر لي ب د بخصوص بنيامين نتنياهوBD Benjamine Netanyahou . .. نتنياهو الصغير كما أسميه رئيس دولة الذي هو متطرف وطني حقيقي، والذي يرتدي بذلة كبيرة عنه، بالتحديد في إطار الصراع الذي عليه تسييره[14]. .».

بالنسبة إلى شخص عليه التوقف عن معاملة معاداة السامية الذين ينتقدون إسرائيل، والذي صفق لعرب غزة، إن المنعطف مذهل! سيفاوي الذي رأى وضعيته كمسلم ينتقد الإسلام ويدافع عن إسرائيل قد كشف على إنه قرر أن يتغير. عليه إذن أن يعيد خياطة غشاء بكارته ليستعيد بكارته.

(14) Source: <http://www.bdencrecom/interview-flash.html>? 2010/06/23/3186-rencontre-avec-mohamed-scenariste-de-ben-laden-devoile-et-ahmadinejad-atomise.

4

طيريز ديلبخ
السيدة طابيدور

طيريز ديلبخ، مديرة الشؤون الاستراتيجية بمحافظة الطاقة الذرية، وهي أيضا باحثة متعاقدة بمركز دراسات العلاقات الدولية للعلوم السياسية (CERI). هذا الانتماء الأكاديمي يعود إلى الحقبة التي كان فيها جون فرنسوا بيار Jean-Francois Bayart، الذي اشتغلت معه بمركز التحليل والتنبؤ لكي دورسي quai d'Orsay، كان يدير (م د ع د).

هذا قد سمح لها بالتعبير بصفتها جامعية، وليس مأجورة م ط ذ، الهيأة التي وظيفتها الأساسية ليست قبلية لإثارة النقاش الاستراتيجي بفرنسا، بل الدفاع عن مصالح الإجراء النووي، هذا ليس الشيء نفسه تماما.

طيريز ديلبخ هكذا يمكنها التصرف في وسائل هيأة غنية (هذا نادر في مراكز البحث، خاصة بفرنسا)، ولها حرية باحث. يمكنها الاستفادة ليس فقط من ميزانية التنقل الفاخر، بل أيضا من تمويل الدراسات والملتقيات، ما يعطيها امتيازا أكيدا على «زملائها» الباحثين. يمكننا أن نفهم بأن مركز الطاقة الذرية (م ط ذ) لا يمول الخبراء الذين يعتبرون مناهضين لاستعمال الطاقة النووية. طيريز ديلبخ ستذهب بعيدا. لا أمل في الحصول على طلبات إذا لم نتقاسم معها المواقف المحافظة الجديدة[15].

---

(15) أحد المنتفعين الأساسيين هو برونو طيرطري Bruno Tertrais من التأسيس من أجل البحث الاستراتيجي (ت ب س) الذي له التميز في كونه في ذات الوقت قريبا من PS وعضو لجنة تحرير مجلة .Le meilleur des mondes إنه أحد المتشددين اتجاه إيران. في 2007، نشر إيران: الحرب المقبلة (Le cherche à midi) حيث كتب أن «السيناريو الذي من خلاله ستمتلك إيران بالقنبلة، في أواخر 2008 أو بداية 2009، إنه مشروع تماما» ص44.

طيريز ديلبخ لها قناعات قوية. إنها عضو لجنة تحرير مجلة المحافظة الجديدة .Le meilleur des mondes بحسبها، للغرب قيم كونية، باقي العالم ديكتاتوري قليلا أو كثيرا. على الغرب أن يدافع عن نفسه ضد الذين هم معادين لقيمه وهذا بطل الوسائل، من ضمنها العسكرية. السلاح النووي هو شيء جميل إذا كان بين أيدي غربية لأن هذه الأخيرة دول ديمقراطية. لا يجب أن تمتلكها دول أخرى. طيريز ديلبخ للأسف كانت صغيرة جدا كي تمنع الاتحاد السوفياتي والصين من امتلاك السلاح النووي. إذا لم نكن قد سمعناها قلقة من الترسانة -حقيقة وضخمة- الإسرائيلية، ينقصها الموت في كل مرة يشك في دولة عربية لها برنامج نووي افتراضي.

قبل 1995، في حين أن (ح ا س ن) (اتفاقية الحد من انتشار السلاح النووي) كان من الواجب أن تجدد، كانت ترافع بحماس بأن تكون في كل الدول. الدول اللا نووية قبلت المصادقة عليها، ليس من أجل فترة محددة بل بكيفية نهائية. بالمقابل، الدول النووية كان من الواجب عليها المشاركة في جهد نزع السلاح. عندما، انتخب جاك شيراك، قرر بطلب ضاغط من مركز الطاقة الذرية إعادة التجارب النووية. فرنسوا ميتران وضع حدا لها، كرهان لإرادة طيبة اتجاه نزع السلاح. طيريز ديلبخ وجدت في هذا الاستئناف للتجارب مبررا مطلقا. كانت تهاجم كل من يتجرأ على القول بأن هناك تناقضا بين طلب الدول التي لا تمتلك أسلحة نووية أو يندد بمطالبة فرنسا في استمرار تطوير ترسانة خطيرة. وظائف طيريز ديلبخ في مركز الطاقة الذرية وارتباطاتها مع كي دورسي قادتها إلى تمثيل فرنسا في لجنة المراقبة والبحث والتفتيش للأمم المتحدة للعراق (ل. م. ب. ت. أ. م). سترافع إذن، من أجل حل عسكري المفروض أنه آخر حل ضد امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل. تشرح فكرتها حول الموضوع بمشروعية ثلاثية: مشروعية مختصة بمركز الطاقة الذرية، تملك معرفة حميمية بالقضايا النووية، مشروعية إنها عضو لجنة الأمم المتحدة، من المفروض أنها تعرف خصوصية الحالة العراقية ولها مقاربة متعددة الفرقاء، وأخير مشروعية الباحثة المستقلة. إذن من «المنطقي» أن 11 فيفري 2003، هذه الخبيرة المتعددة البطاقات ستسمعها لجنة الشؤون الخارجية لمجلس الأمن، بصفتها عضو لجنة المراقبة

والتحقق والتفتيش بالأمم المتحدة أكثر تحديدا. سألها أعضاء اللجنة: «هل ما يزال يملك أسلحة الدمار الشامل، هذا ما سيبرر الحرب التي يقترحها جورج بوش؟» جواب طيريز ديلبخ رن كتحذير: «إذا كان السلاح قد دمر، فقد تم بطريقة أحادية، إذن يتعذر التحقق منه». صرحت أيضا: «الخبراء زيادة على ذلك قد لاحظوا وجود نظام مخالفة حقيقي مفعل من قبل العراق». بوضوح، تقترح بشدة باسم مبدأ الوقاية، دعم مشروع جورج بوش لانزلاق الحرب ضد العراق.

على القناة الفرنسية الأولى RFI، في 8 مارس 2003، تسائلت ما إذا كون العراقيون ترسانتهم منذ 1998. «أولا، فرقة الباحثين كانت دائما متواجدة، ثانيا لها بالتأكيد هيأة من الأكفاء، وأخيرا هناك بالتأكيد، أبحاث في المجالات مثل، المتفجرات التي بلغت غايات نووية». استخلصت: «اليوم، XXI لا يجب أن يكون بين أيدي هذه الدول... أعتقد أننا بصدد نسيان الطريقة التي يجب أن نتصرف بها مع الديكتاتوريين، الشيء الذي علينا الاحتفاظ به من القرن .XX إذا كان نزع سلاح العراق قد تم عن الطريق الحل العسكري، سيكون بإمكان المفتشين توضيح أنهم سيقضون من ثلاثة عشر إلى أربعة عشر سنة للقيام بما قرره مجلس الأمن في 1991. إنه في الأخير درس بالنسبة إلى دول أخرى إذا سيرت بهذه الطريقة».

بالنسبة إلى طيريز ديلبخ الدرس الذي تستخلصه من القرن XX، هو القيام بالحرب للقضاء على الديكتاتوريين. كل الديكتاتوريين؟ طيريز لا تجيب. من جانبي، أعتقد أن إرث القرن XX هو بالأحرى منع الحرب في العلاقات الدولية، إرث مرتبط بجملة من الأمور، بضريبة كبيرة للحربين العالميتين دفعت الإنسانية ثمنها.

ثم أن طيريز ديلبخ تشير إلى أن «الحل العسكري» (تلميح لتجنب كلمة حرب) «سيسمح بإظهار أن للعراق ترساتنة سرية من أسلحة الدمار الشامل». إذا كان بإمكاننا في لعبة البوكر أن ندفع لنعرف، هذه الضربة الموجهة للعراق قد فشلت. كان هناك «الحل العسكري»، لكن ليس هناك سلاح الدمار الشامل (س.د.ش) أصبح «سلاح الاختفاء الشامل». أقل ما نستطيع

قوله هو أن الخبرة والمعرف التي تظهر بها طيريز ديلبخ للمطالبة بالحرب قد اتضح أنها غير فعالة.

في 19 مارس 2003، ستكرر الجرم أمام لجنة الشؤون الخارجية للجمعية الوطنية. دائما بفضل غطاء الأمم المتحدة لها، تصرح: «منذ التفتيشات الأولى، قد ظهرت عمليات صغيرة لمعالجة غير مصرح بها قد حدثت وأن العراق حاول إخفاء وجود خطة مغنطيسية كهربائية للتخصيب... في الواقع، لقد حاول العراق تطوير تخصيب الأورانيوم بكل الطرق». وللإلحاح، كما فعل هانس بليكس Hans Blix، رئيس البعثة الأممية، قد صرح أن تجريد العراق من سلاحه عن طريق الحل السلمي كان قابلا للتحقق، قد دققت أن هذا مشروع «بشرط تعاون تام وغير مشروط للعراق». تعاون بحسبها لم يتم.

في حين أن هانس بليكس، أغلبية الولايات (من ضمنها فرنسا) والرأي العام العالمي يتمنى إيجاد مخرج سلمي لما يزال سوى أزمة، الحيوية طيريز، تصرح بأنه وهمي ويجب أن يحل عن «الطريق العسكري». رافع جاك شيراك من أجل عالم متعدد الأقطاب، طيريز ديلبخ حذرت من هذا المنظور. بالنسبة إليها، عالم متعدد الأقطاب لا يعني آليا مسبقا القوة بالنسبة إلى روسيا والصين. مع أن الخاصية الديمقراطية لهذه البلدان غير مضمونة، في حين أن الغربيين «تجمعات للسلم، الازدهار والديمقراطية[16]» حقيقة وجميلة.

نعترف لطيريز ديلبخ بمهارة أنها لن تشعر أبدا بأن تشد بأي واجب تحفظ. ميزتها المخدوعة جيدا، طاقتها التي يظهر أنها تتغذى ببطارية ذرية تعمل زيادة على ذلك أن لا يطلب منها أي مسؤول بمركز الطاقة الذرية بضبط خطتها أو أن تخفف من قناعاتها. قليل من الناس يتجرأون على الوقوف في طريقها، من جراء طبعها المدمر. بالرغم من أنه ليس في صالح مركز الطاقة النووي، الذي يطري على أن الأسلحة النووية هي أسلحة ردع وتساهم في السلم، بكونها تقدم في وسائل الإعلام كاستعداد للحرب.

---

(16) Thérèse Delpech, «Bagdad, trois leçons pour une crise», politique internationale, été 2003, p100.

في 2004[17]، طيريز ديلبخ أدارت الآلة عكسيا بخصوص العراق. مرغمة على ملاحظة أنه لم يعثر على أي أثر لأسلحة الدمار الشامل، فسرت تصور أطروحتين: «الإخفاء أو التصدير». طيب، العراق إما أنه أخفى جيدا أسلحته وإما صدرها (إيران؟ سوريا؟). صرحت بهذه المناسبة، إنه قبل الحرب «أن الاعتقاد بوجود هذه الأسلحة بالعراق، كان متقاسما من قبل الجميع». فقط من قبل كل الذين يتمنون الحرب، طيريز... والتي كانت جاهزة لابتكار أدلة حين تنقص!

بعد أن صفت حسابها مع العراق، طيريز الممتازة ستهتم بإيران دائما من أجل إنقاذ العالم الغربي. على رف RF1، صرحت في 13 سبتمبر 2004: «ما هو أكيد، أن إيران لم توقف تطويرها، إنها ستمتلكها [القنبلة]». بسرعة، بسرعة وقفة عنيفة! الذين أحبوا حرب العراق عليهم أن يعشقوا حرب إيران.

في 2005 حددت فكرتها حول الموضوع[18]تحذر من حوار محتمل مع إيران أحمدي نجاد. «أي حوار سياسي يمكن أن نتصوره مع شخص إيديولوجي بشدة؟» جورج بوش، ليس إيديولوجي لأنه غربي. والاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة حين أطلقا سياسة الانفراج، كانا يتقاسمان الإيديولوجية نفسها هذا معروف جيدا!

في لوموند عدد 13 ماي 2005، واصلت معركتها متسائلة: «إلى أي حد -ضرب، غزو-يمكن أن يذهب الأمريكيون في حين أن الموفق الكوري مثل الإيراني يظهر أنه يعطي الحق للمحافظين الجدد الأكثر تشاؤما». مع طيريز دائما منتصف الليل إلا دقيقة في ساعة الكارثة. هكذا، في 23 أوت 2005، قلقت أيضا: «لا شيء سيحدث قبل نهاية سبتمبر. سيكون حينها قد فات الأوان للتلويح بالتهديدات التي لها معنى بالنسبة إلى طهران. إيران ستحصل إذن على قنبلتها، وكل الذين -الأوروبيون، الروس والأمريكيون-

---

(17) Thérèse Delpech, « Dix questions sur L'Irak et ses armes», Politique étrangère, printemps 2004.

(18) Thérèse Delpech, «L'Iran nucléaire: la course contre la montre», politique étrangère, mars 2005.

صرحوا إن هذا غير مقبول عليهم مواجهة نتائج اختيارهم لشهر أوت 2005[19]». طيريز ديلبخ لا يجب أن يكون لها التأريخ ذاته مثلنا: بعد التاريخ العصيب، العالم لم ينقلب أكثر في الفوضى وإيران لم تحصل على قنبلتها.

في 10 أفريل 2006 في الفيغارو[20]، تتمنى أن يعطي البرنامج الإيراني الحق «للذين يدعون أن القنبلة الإيرانية ستكون متوفرة ليس خلال خمس سنوات بل ربما في سنتين»، الشيء نفسه في Politique internationale لربيع 2006، كتبت أن «كل تسوية مع إيران هي من الآن فصاعدا ضد القانون الدولي». وتقول فاهمة موثق السيناتور ملك كاين McCain: «الشيء الوحيد الذي يكون أسوء من ضربة عسكرية ضد إيران هي إيران النووية». لحسن الحظ، تريد لنفسها أن تكون مطمئنة على احتمال وقوع عملية عسكرية! «الإسراع إلى القوة ليس محبوبا بالتأكيد، لكنه ليس مستحيلا». إن الأمر لا يتعلق بتدمير كل المواقع النووية والباليستية فقط المركزية، أوف!

في 18 جوان 2009 في نوفيل أوبسيرفاتور، طيريز ديلبيخ تشرح أن: «الموقف العسكري، الذي لم يقص أبدا، حتى لو أنه الأقل تمنيا. إنه ممكن بشرط أن لا يعطى لنفسه هدف تدمير كل البرنامج النووي والباليستي بل تأخيره».

بعد أن بررت حرب العراق بوجود الأسلحة التي لا وجود لها. طيريز ديلبيرخ تلح على ضربة ضد إيران، التي منذ عدة سنوات وهي مستعدة لامتلاك السلاح النووي. لكن كما تعبر بقوة، أن وضعها يقتضي معارف واقعية، قليل من المتناقضين يقفون في طريقها أو أن لهم الوقاحة لتذكيرها بأخطائها السابقة. «خبيرتنا» يمكنها مواصلة تقديم حروبها الصليبية الغربية كما تستند ليس إلى قناعات إيديولوجية قابلة للنقاش، بل على ملاحظة الوقائع. هذا بعيد على أن يكون شأنها.

---

(19) «Iran, aout le crucial», le figaro.

(20) «Le temps de la diplomatie trop lent face au sprint du nucléaire iranien».

5
فريدريك إنسيل: رجل ذو نفوذ

عضو سابق للإخوان المسلمين الذي لا يتوقف دوما عن ذكر مؤسس الحركة، حسن البنا، ولا يتوقف عن ابتكار صفات جامعية استيهامية ليعطي لنفسه ضمانة علمية، والتي لخدماتها الإعلامية موضوع الدفاع عن أطاريح حماس، كان لها قليل من الحظ لتحتل مكانة مركزية في وسائل الإعلام أو تعتبر كخبير محترم ومحايد حول القضايا الاستراتيجية، بالتحديد تلك التي تهم الشرق الأوسط. على هذا الأساس يمكننا تهنئة فريدريك إنسيل الذي أنجح العمل الباهر في فرض نفسه، مستعملا حقيقة المراجع المقلوبة. هناك أيضا، فريدريك إنسيل الذي لا يتوقف عن الاستناد إلى أستاذه فرديمير يابوتنسكي Vladimir Jabotinsky (الوجه التاريخي لليمين المتطرف الإسرائيلي). حين كان طالبا، قاد بيطار Betar[21] المنظمة اليهودية المتطرفة. مقطع يفضل إخفائه اليوم. بالعكس، حين يصف الدعوات الجامعية التي لا أساس لها من الواقع. مع ذلك، يتقدم دون أن يجد ما يعيد قوله كخبير محايد ومتجاوز حول الشؤون الاستراتيجية والشرق الأوسط.

فريدريك إنسيل خطيب جيد ومناقش جيد. يكتب جيدا ويفكر سريعا. يدافع بمهارة وثبات عن المواقف الإسرائيلية، هذا حقه. الإشكالية الكبرى هي أنه لا يقول من أي موقع يتكلم. البعض يفرط في العناوين الجامعية ليدهشوا بوابهم أو خالتهم الكبرى. بالنسبة إلى فريدريك إنسيل الهدف ليس هنا. من ناحية يتعلق الأمر بالإتيان بضريبة علمية لخططه الملتزمة، ومن

(21) حركة الشباب الصهيوني موجهة إيديولوجيا نحو اليمين المتطرف، لكنها لم تعد كما كانت من قبل مرتبطة بالحزب الصهيوني. أنظر Wikipédia (المترجم).

ناحية أخرى إعطاء الانطباع إدماج مهني في الواقع لا وجود له. ليست الجامعة هي التي تجعل إنسيل يعيش.

حوار جرى من قبل في ماي 1996 بالإكسبريس، فريدريك إنسيل يقدم نفسه كأستاذ في حين لم يكن سوى طالب دكتوراه لدى إيف لاكوست Yves Lacoste وأنه كان ينجز أطروحته حول القدس. من بعد، قدم نفسه كأستاذ ب (م.و.إ) (في الحقيقة بالمعهد الدولي للإدارة العمومية، مدرسة النوعية، لكنها أقل روعة من م.و.إ التي يرتبط بها)، بمعهد الدراسات السياسية برين Rennes، بالمعهد المتعدد الفنون، بمعهد العلوم السياسية بباريس VIII أو أيضا كمدير البحث بمعهد الجيو-سياسية.

في أكتوبر 2005، حادث صغير ب«موعد مع التاريخ» جاء دوبيلوا de Blois ليرتب هذه السيرة العلمية بخداع. طلب منظمو المهرجان من فريدريك إنسيل تصحيح سيرته الخاصة التي يتقدم بها. كان يدعي عناوين جامعية غير موجودة (كان يقدم نفسه «كأستاذ بمعهد الدراسات السياسية برين»). من بعد، لم يستدع أبدا، إلا بجناح المكتبة ليوقع أعماله ويلتقي بالجمهور. في 2009، أفلح أخيرا في إيجاد «النور» خلال نقاش هذه «المواعيد مع التاريخ» دوبيلوا: في 9 أكتوبر في الساعة الحادية عشر والنصف، في قاعة صغيرة، كان عليه أن يتدخل في موضوع «جسد اليهود في التاريخ». أبعده الموضوع عن أقل القضايا الجيو-إستراتيجية التي «تعود عليها». إنه في الحقيقة نقاش منظم في نوع من المهرجانات الفاشلة، في إطار «الأوراق البيضاء» لتنظيم مدعو من قبل «موعد مع التاريخ». لا يهم، إنسيل أمكنه القول: «كنت هناك»! اعاد إلى دوبيلوا، دائما في الصحيفة ذاتها في طبعة 2010، النقاش نظمته مجلة الدراسات الإسرائيلية، حول موضوع جد استراتيجي، «تاريخ العدالة الإسرائيلية».

لنلاحظ في المقطع أنه لم يكن لا كارولين فوريست ولا محمد سيفاوي، بالتأكيد سريع للتنديد بالشبيهين المزيفين لطارق رمضان، أبدا ضروريين لإسقاط القناع المشوش للسيد إنسيل. مع ذلك أن هذا لا يتطلب تحقيقا عميقا.

فريدريك إنسيل قد رقي إلى صف فارس للنظام الوطني للاستحقاق باقتراح من وزير التعليم العالي والبحث، لمدة خمسة عشر سنة من الخدمة المدنية. فريدريك إنسيل لم يكن أستاذا على الإطلاق في أي جامعة كانت، لم يدرس هنا وهناك إلا بساعات إضافية. يمكننا إذن الاعتقاد أن هذا الطلب لم يأتِ أبدا من العالم الجامعي، بل من دوائر أخرى. قدم منذ سنوات ك«أستاذ» أو «دكتور»، قد اجتاز في 2008 التأهيل لصياغة البحوث. إذا كان مرشده السابق والسفير السابق لإسرائيل بفرنسا إيلي بارنافي Eli Barnavi قد ناقشا أعماله الفريدة من وجهة نظر علمية، للأسف أن أحد الجامعيين عضو مناقشة، جون يول شانيولو Jean-Paul Changnollaud، مع أنه قد اختير من قبل فريدريك إنسيل، اعتبر أن الأعمال قد كانت موجهة ولم تطابق المعايير العلمية. أعلن جون يول شانيولو: «الجيو-سياسية يظهر أنها وسيلة لإخفاء الأشياء»، نسجل أن في هذه الأعمال، التي تتحدث عن توترات قوية داخل المجتمع الإسرائيلي، ولا يتكلم عن العرب الإسرائيليين؛ جاعلا دولة أسلحة إسرائيلية، ولا يتكلم عن الصواريخ الإسرائيلية، ولا يشير أبدا إلى أي مرجع للقانون الدولي. هذه التحفظات التي أدلي بها، فإن البروفيسور شانيولو قبل على الأقل أن لا يعرقل قرار قبول لجنة المناقشة. أعلنت إيلي بيرنافي إذن: «لقد اتخذت هذا الرأي القبلي لأن لا تتخذ رأيا قبليا».

بعد تأهيله أشرف على أبحاث، فريدريك إنسيل، قدم نفسه كمدير للبحث بالمعهد الفرنسي لجيو-سياسة. لقد كان هذا واضحاً أنه أكثر روعة من «مدرس بالمدرسة العليا للتسيير»، حتى وإن كانت مختصرة في (م.ع.ت). المدرسة العليا للتسيير هي مدرسة للتجارة ملتزمة جدا. كليمان بيال رينال Clément Weill-Raynal، مناضل صراع اليمين المتطرف المناصر لإسرائيل ومدرس بها أيضا. هذه المدرسة نظمت بعض المحاضرات الاستراتيجية. الكثير منها كانت حول موضوع التهديد الإيراني، بتعاون مع المجلة المحافظة الجديدة Le meilleurs des mondes.

في 9 سبتمبر، فريدريك إنسيل يشارك في ملتقى التأسيس من أجل البحث الاستراتيجي، قدمه فرنسوا هيسبورغ François Heisbourg قائلا بالضبط: «لن نقدمه على الإطلاق». فريدريك إنسيل لم يتوقف عن تحية

إيف لاكوست ليحتمي بظله الواق، لكنه لم يعد حاضرا كمدير للبحث بالمعهد الفرنسي لجيو-سياسة، في غضون ذلك، بياتريس جيبلان Béatrice Giblin، مديرة البحث التي جاءت من بعد إيف لاكوست، ترجته أن يتوقف عن استعمال هذه الألقاب التي لا أساس لها من الحقيقة، إنسيل لم يحظ إلا ببعض ساعات التدريس في السنة بالمعهد، لكنه لم يكن موظفا بكيفية رسمية.

في إحدى الدردشات بالنوفيل أوبسيرفاتور في جانفي 2005، في قضية المعرفة ما إذا كانت آراؤه القبلية المناصرة لإسرائيل المشهورة لا تقصيه إزاء الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، فريدريك إنسيل، دون أن يستسلم للسقوط، يفسر: «لم يسبق أن انتقدت من قبل رأي قبلي مهما يكن من قبل أناس ذوي النية الحسنة. فقط أنتقد من قبل الدوغمائيين من ناحية أو من أخرى، سواء من الجانب المناصر لإسرائيل أو من الجانب المناصر للفلسطينيين، من وقت لآخر. أعمالي الستة، ألقابي ووظائفي الجامعية، كذلك تجربتي الميدانية تجعل موضوعيتي صعبة النقاش وكفائتي موضع نزاع». إن هذا الإصرار في ادعائه هذه الألقاب الجامعية هو الأقل شذوذا. الجامعيون الحقيقيون لا يشعرون أنهم مجبرون على ذكر ألقابهم في كل مرة.

بحسبه: «شارل أوندرلين Charles Enderlin يهودي وفرنسي إسرائيلي. طريقته الصحفية تغضب كثيرا. هناك خلل يجاور الوقاحة الثقافية الأكثر شمولية. شارل أوندرلين ليس موضوعيا هذا واضح» .**الموضوعية بالنسبة إلى يهودي، حسب إنسيل هي المساندة اللا مشروطة لإسرائيل.**

والأدهى من ذلك، في محاضرة بجرونوبل نظمت من قبل الدعوة اليهودية الموحدة لفرنسا، في 25 مارس 2010: «حين أرى أن هناك أناس في لوموند أو ليبراسيون الذين لهم اسم متناغم مع اليهود والذين يمهرون منابر حيث أنهم ليسوا ملتزمين إلا بأنفسهم». لقد تعودنا على تقديم هذا اللوم إلى «البروفيسور إنسيل».

خلال المحاضرة نفسها، يصرح: «أحد مدعي الصهيونية السياسية الذي أحب الاستناد إليه، يابوتانسكي، الذي فهم على الأقل شيئا، لن يكون هناك

ممكن على الإطلاق تحويل العرب الفلسطينيين إلى صهاينة. ولا أحد، بل نصف واحد في المائة من مئات الفلسطينيين الذين التقيتهم على مدى أبحاثي في الدكتوراه، قد اعترف بالصهيونية. لنكن واثقين إذن من طريقنا المستقيم، إنها مسألة شرعية. إنكم بهذه الكيفية ملزمون نسقيا بأن تكونوا الأكثر قوة، وأن تستعملوا ما نادى به يابوتانسكي، جداراً من الفولاذ».

في 29 سبتمبر 2002، كان ضيف حصة «معالم التاريخ»Les repères de l'histoire على قناة فF5، مع أليكسندر آدلر. في سؤال للمنشط لوران جوفران، حول العلاقات مع المصالح السرية الإسرائيلية وشتات اليهود، صرح آدلر أنه لم يسبق له أن اتصلت به الموساد. فريدريك إنسيل صرح له: «إطلاقا، لم تتصل بي، زيادة على أي مصلحة أخرى أبدا. إنه منكد على طول».

ابتداء من سنة 2002، سيظهر فريدريك إنسيل من جديد. انتهت الاستنادات المتواترة إلى يابوتانسكي، المتطرف باليمين الإسرائيلي، من بعد إنسيل سيقدم نفسه، بطريقة نظامية، كعضو في الخندق العلماني واليسار المعتدل. رسم أمجادا للحركة «لا مومسات، لا خنوع» باسم اليسار والعلمانية بالضبط.

هكذا حين كان شارون وزيرا أولا قام بدور نشيط ليعطيه صورة رجل براغماتي، أكثر من متعاطف مع الخط المتشدد إزاء الفلسطينيين والخصوم المناهضين لمسار السلام الذي يلصقونه به، لا بلا سبب. تحت صورة صقر حسب إنسيل تختبئ يمامة وطنية. في الفيغارو ليوم 8 أوت 2005، كتب: «لا جرم لمروجي رؤية مانوية شيطانية لشخصية أرييل شارون إنه نتاج لليسار الصهيوني العلماني محض».

هذا لم يمنعه من المشاركة في أكتوبر 2005، في نقاش نظم من قبل الليكود في فرنسا، حول موضوع: «الأحداث المأساوية لجوش القبطي»، أي طرد المستوطنين من قطاع غزة بعد القرار الأحادي الجانب لشارون للانسحاب.

بطريقة مذهلة، فريدريك إنسيل كان مدعوا من قبل الجريدة المتلفزة للقناة الفرنسية الثانية للتعليق على جنازة ياسر عرفات، دون احترام الحداد خلال عملية الدفن، لم يتوقف عن اتهام عرفات بمساندته للإرهاب وفساده، بقلق التوازن، يمكن أن نعتقد أن هيأة تحرير القناة الفرنسية الثانية ستستضيف بلا شك طارق رمضان للتعليق على جنازة شارون...

بعد صدور كتابي هل من المسموح انتقاد إسرائيل؟[22]، فريدريك إنسيل كتب بأربع مائة شخص للتنديد ضد الحكم أني أتحامل ضد تحليل العالم العربي، مشيرا إلى أن منظمة العلاقات الدولية والاستراتيجية كانت على أي حال في أزمة ومحكوم عليها بالاندثار. علينا أن نكون مفعلين بحماس ناقل لكلام خاص لتكوين ملف 400 شخص، يأخذ وقت تشخيص الحروف، وضعها في أظرفة وإرسالها من أجل إلحاق الضرر ب«خصم». هذه ليست الطرق التي تسير نقاش الأفكار، ولا حتى سجال ثقافي جيد. على أي حال هي ليست مناهج. لكن صحيح أن فريدريك إنسيل وأنا نشتغل على المواضيع ذاتها لكننا لا نقوم بالمهنة نفسها.

في L'essentielle des relations internationales، التي يتعاون معها بانتظام، ينجز لقاءات حول الخطر الإسلامي. المفاجأة أن الشخصين قد حاورهما فريدريك إنسيل؟ يتعلق الأمر بكارولين فوريست التي تندد بالخطر الشمولي الذي يوجد من جديد، ومحمد سيفاوي الذي يندد بجعل التاريخ الاستعماري لفرنسا ذكرى جماعية من أجل غايات سياسية دينية وجماعية.

الجزار في موقع (م.ت.م.ي) CRIF، في 16 جوان 2008، في الأطلس الجغرافي لإسرائيل: مظهر ديمقراطية في حرب (العنوان هو برنامج في حد ذاته!) يعطي مثلا عما توضحه خرائط أطلسه: «الأمر يتعلق على سبيل المثال بتوضيح مادي أين وقعت الاعتداءات الأساسية، وجعل هذه الحقيقة في علاقة مع الجدار العازل. هنا، سبب فشل عدة اعتداءات انتحارية من نوع "كاميكاز" تقدر في الحال». طيب، الجيو-سياسية في

---

(22) op. cit.

خدمة الجدار! في 9 جويلية 2005، لوموند نشرت إشهارا لصدور شريط فيديو لإريك روشان Eric Rochant المقاومون. بالإضافة إلى أن الفيلم قد اقترح لقاء مع «فريدريك إنسيل مختص في الموساد». هذه مرة، لم يكن هناك إشهار كاذب. بالتأكيد إنها هذه المعرفة الحميمية للمصالح الإسرائيلية التي تلائمه أن يحاور من قبل باري ماتش Paris -Match في 2 سبتمبر 2010 بخصوص كتاب الأمير الخضر، الذي يروي قصة فلسطيني الذي كان عميلا لإسرائيل. فريدريك إنسيل يرى فيه نتيجة «التحفيزات المادية والمبتذلة/ مثلا، ملاك فلسطينيين يخاطرون بحياتهم ببيعهم الأراضي أو منازلهم لليهود تحديدا بالقدس. على العموم، نجدهم من بعد في أمريكا الشمالية بهويات جديدة وبحسابات بنكية مملوءة». تمرين جيد في المغالطات. من النادر أن يبيع الفلسطينيون أراضيهم أو منازلهم لليهود. في أغلب الأوقات يجردون من ملكياتهم بقرار من المحاكم الإسرائيلية. الحافز الأساسي للتعاون الفلسطينيين مع المصالح الإسرائيلية يستند إلى الرغبة في الوصول إلى أحد أفراد العائلة المسجون ومن أجل تحسين مصيره، بل حتى ليعالجوا، المساومة بالعلاج الطبي أصبح أداة ضغط. دائما بخصوص لائحة مغالطة سوفت، سئل في فرنس أنتيرن في يوم الإثنين 26 جويلية 2010 حول الإرهاب في البلدان غير الديمقراطية، في هذه البلدان التي هي الوقت ذاته أنظمة شمولية لكنها مزودة بتراث خارق مثل سورية -لنمر إلى تعريف المصطلح الشمولية عوض مصطلح تسلطي أو استبدادي-، يجيب فريدريك أنسيل أن سورية بلد جيد جدا لكنه يصرح بأننا لا نستطيع السفر إليه لأن السفر إليه ممنوع وهذا خاطئ تماما.

بعد السباق الجوي والبحري الإنساني الذي أراد كسر حصار غزة، والذي تسبب خلاله الجيش الإسرائيلي بتسعة قتلى، لقد ضربت سمعة إسرائيل بقوة. لكن الجندي الأكاديمي إنسيل سيتحرك للدفاع عن القصية «(عادلة»، طبعا) الدولة العبرية في وسائل الإعلام. هذه العناصر اللغوية واضحة. يجب توقيع (مثلا عند المنشط كارل زيرو Karl Zéro على القناة الفرنسية BFMtv في 31 ماي 2010 أو في Point.fr في 2 جوان 2010) أن الاتفاقيات الدولية تسمح لدولة أن تفتش في المياه الدولية سفينة بها حمولة

مشتبه بها. حقيقة. لكن ليست هذه هي القضية: إسرائيل لم تكتف بتفتيش السفن. كان هناك هجوم عسكري وتسع ضحايا. وهذا المظهر غير مسموح به في الاتفاقيات الدولية.

في الحقيقة، فريدريك إنسيل كشخصية خرجت من عالم فولكوف Volkoff، رجل نفوذ مقنع في هيأة أستاذ.

6

فرنسوا هيسبورغ:
الذي يدفع ثمن الموسيقى هو الذي يختار التوليفة

دبلوماسي التكوين، فرنسوا هيسبورغ Francois Heisbourg ينتمي إلى الفرقة الصغيرة التي تشتغل على قضايا الدفاع بالحزب الاشتراكي قبل 1981. في هذه المرحلة، كان مختصو مواضيعه نادرين جدا في اليسار. أصبح مستشارا دبلوماسيا لشارل هيرنو Charles Hernu، وزير الدفاع، وقد تميز بسرعة قدراته الثقافية الكبيرة، التي لم يكن لها معادل سوى الاحترام الذي يكنه لذاته. كان من المفروض أن يكون على رأس الإدارة الدولية للمندوبية العامة للتسلح حين مغادرته الديوان، لكن القضية لا تكفي. أصبح إذن، وباندهاش الجميع مدير المعهد العالمي للدراسات الاستراتيجية، هيأة فاتنة متمركزة في لندن، لها روابط متينة مع الولايات المتحدة. عرف هذا التنظيم بتبديل الأطاريح الأطلسية في أوروبا. في الحدود التي كانت فرنسا تعتبر حليفا صعبا للولايات المتحدة، بمجرد أن تولى فرنسي رأس هذه الهيأة أحدث ضجة كبيرة. لكن هذا لن يترجم بخرق للتأثير الفرنسي في الدوائر الأطلسية بل بتقدم الأفكار الأمريكية لدى الجمهور الفرنسي. فرنسوا هيسبورغ انتقد المواقف الفرنسية التقليدية على المستوى الاستراتيجي هذا ما عمق شعبيته في الدوائر الأطلسية. فرنسي ينتقد السياسة الخارجية الفرنسية، كان في أعينهم دليل تفتح فكره وحرية أسلوبه. إرادة الاستقلال الاستراتيجية لفرنسا قدم من قبل فرنسوا هيسبورغ كرفات للماضي. دافع بشراسة عن عصرنة السياسة الفرنسية، بوضوح، إعادة إدماج في منظمة حلف الشمال الأطلسي وكتخطيط للتنظيم مقدم كعلامة للتضامن مع السياسة الأمريكية. كان ينتقد منطقيا وبشكل منتظم جهود إيجاد استقلال أوروبي.

إن النهضة بالولايات المتحدة، الأماكن الاستراتيجية وقضية العمل على العلاقات الدولية تنعم عليه بهالة إضافية. أصبح أحد مشاهير الإعلام. بعد مرور بعض السنوات بلندن، عاد فرنسوا هيسبورغ إلى فرنسا حيث وضفته الشركة التجارية للتسلح ماطرا Matra. وواصل على مسائلته عن القضايا الاستراتيجية بانتظام. لم يكن يجيب باسم مستخدمه، بل كان يقدم كرئيس «للمجموعة الفرنسية م.ع.د.إ IISS».. هذه المجموعة الفرنسية بلا نشاط حقيقي، تسمح له بأن يظهر للعلن بطريقة أكثر نبلا وخاصة أكثر حيادية من مأجور لشركة التسلح. بسرعة كبيرة، ظهر أن أغلب طلبات «الخبير» فرنسوا هيسبورغ لم تكن ملائمة في شيء مع مصالح ماطرا. الصدفة تقوم جيدا بالأشياء أحيانا...

حين أنشأ بيير يوكس Pierre Joxe مؤسسة لدراسات الدفاع في 1992، فكر طبيعيا في فرنسوا هيسبورغ ليتولى الرئاسة. عرقلة الصناعيين المنافسين منعته من ذلك. بقي عضوا نشيطا بالحزب الاشتراكي، رافع بعد عودة اليسار إلى الحكم في 1997، باسم المبادئ الكبرى هذه المرة، عن العصرنة الصناعية، كي تستطيع ماطرا الحصول على التجارة الفضائية. قام بها بطريقة خاطئة وواضحة جدا لدرجة أن مصداقيته قد تزعزعت. كي ينطلق من جديد، حاول استعادت إدارة معهد الدراسات العاليا الدولية (جونيف)، لكن مطالبته بالمال قد أفشلت مشروعه. أعاد إدماج كي دورسي Quai d'Orsay. كل محاولاته لينتخب نائبا برلمانيا وطنيا أو أوروبيا قد باءت بالفشل (علاقاته البعيدة عن القاعدة لم تجعله أبدا يمر إلى مرحلة التكليف بالوزارة)، بدأ يرتقب منصب سفير. لكن ما العمل بدبلوماسي كان في الماضي القريب لا يتوقف عن جلد السياسة الفرنسية الخارجية وخطها «الدوغولي الميتيراني Gaullo-mitterrandiènne»؟ ظهر بصعوبة، في الوقت الذي توقفت فيه حكومة جوسبان لإعادة الاندماج في منظمة شمال الحلف الأطلسي بإرادة من شيراك، أن تعهد إليه السفارة لدى منظمة شمال الحلف الأطلسي، وهذا ما تمنته هذه الأخيرة بالضبط. طلباته الأخرى، لتطابق الفكرة التي يضعها لنفسه، قد ظهرت على أنها مفرطة نظرا لسنه وموقعه القانوني. الاقتراحات التي قدمت إليه لم تكن في مستوى تطلعاته.

بدأ تفكير في الحال للتعليم والبحث في مادة العلاقات الدولية، عهد إليه ماتينيون دراسة حول الموضوع. أنشأ فرنسوا هيسبورغ لجنة أقامت العديد من الجلسات وجاءت بتقرير طالبت فيه بمزج مؤسسة دراسات الدفاع ونعهد الدراسات العليا للدفاع الوطني. قد تولى رئاسة المنظمة الجديدة. تحولت المهمة من فعل إلى ورقة للترشح. المزج لم يتم لكن فرنسوا هيسبورغ عين في سنة 2000، مديرا لمؤسسة البحث الاستراتيجي، التي تلت المؤسسة من أجل دراسات الدفاع. لكن تسييره قد قيم على أنه غير كاف، استبدل في سنة 2005، بموظف سامي بالوزارة. قبل أن يبقى في هذه المنظمة بصفته مستشارا لدى المدير.

علي أن أعترف أني قد خدعت في هذه الشخصية. في سنة 2000، حين كان ديوان وزير الدفاع يبحث توظف في مكان ما، ظن أن إدارة البحث الاستراتيجي الفرنسية ستعهد إليه، شعرت أنه من الغريب أن يعهد أحد مناصب المسؤولية النادرة في ميدان البحث الاستراتيجي لأحد دافع في الغالب عن مواقف الأمريكية أكثر من الفرنسية. لكن هذا ساهم في تغيير مقاربة هيسبورغ. أصبح موظفا بوزارة الدفاع، توقف عن اعتبار السياسة الخارجية والدفاع الفرنسيتين كمِشْعَر وقابلة للانتقاد. لقد كان شائعا في وسائل الإعلام تأجير عقله الإصلاحي والدينامي. هذا يثبت المثال المأثور: «من يدفع ثمن الموسيقى يختار التوليفة». على هامش حرب العراق، سيجد فرنسوا هيسبورغ «خطه السياسي» دافع من أجل وقوف فرنسا إلى جانب الولايات المتحدة وهذا حول مشروع حرب غير شرعية يبجلها المحافظون الجدد، في حين يدعي أنه رجل اليسار. كانت مهمته وقد قبلها وهي التأثير على الرأي الفرنسي كي تعتبر حرب العراق كهدف شرعي. في 23 فيفري 2002، صرح في ميكروفون راديو فرنسا I: «حين يكون لدينا 15 مليار دولار من عائدات البترول سنويا، لدينا الوسائل للحصول على وسائل الدمار الشامل الضرورية في حالة التي نتمنى القيام بها. في غياب كل نظام للتفتيش بالعراق، إنه من المستحيل الإجابة بنعم أو لا، لكن العراق إذا أراد ذلك يمكنه أن يدمر».

في لوموند 15-16 سبتمبر 2002، كتب: «أمام تهديد الإرهاب

المزود بأسلحة الدمار الشامل، الوقاية تفرض نفسها مادامت الأدوات الأخرى للدرع أو القهرية التقليدية تظهر على أنها بلا فائدة» لا يجب أن تقلص إلى خطأ. بمهارة لغة اصطناعية، فإن الوقاية لا تعارض القمع، بل تعني: «الوقاية بالوسائل العسكرية» فهي الحرب إذن. في هذه المرحلة، المحافظون الجدد يجعلون من فكرة «الحرب الوقائية». فرنسوا هيسبورغ يتمنى على الأقل أن يمر هذا النقاش عبر المؤسسات المتعددة الأقطاب. «فرنسا فيما يعنيها لا يمكنها في الوقت أن تذهب إلى التصويت، اعتماد سياسة مختلفة عن أغلبية المجلس، أي عن سياسة الولايات المتحدة. في الواقع، ليس هناك فيتو صيني أو بالأحرى روسي. الولايات المتحدة والمملكة المتحدة يمكنهما تجميع أغلب الأصوات الضرورية بلا صعوبة كبيرة من أجل تمرير قرار بين أعضاء المجلس. ستصوت فرنسا بلا شك بالتأكيد لما يريده مستشارون لدى المجلس. أيضا، سيكون من واجبنا تطبيق القرار المتخذ، من ضمنه الحالة الفاشلة بمساهمة عسكرية دالة في حالة الرفض الإيراني للامتثال».

بمعنى القيمة التشخيصية، لقد رأينا ما هو أفضل. لم يكن هناك أغلبية بمجلس الأمن من أجل الحرب (لكن خمسة أصوات مقابل خمسة عشر فقط، بالرغم من الضغوطات الكبيرة للأمريكيين)، لكن فيما وراء هذا الخطأ للتوقعات، ندرك جيدا الهدف. تقديم فرنسا على أنها محاصرة، ليس الاختيار عليها مسايرة التيار المهيمن والمشاركة في الحرب. بالنسبة إلى هيسبورغ، لا يمكن تصور فرنسا أن تكون في صف الأقوى. التقليد الديغولي الميتيراني، يقول أن ما نفكر به حقيقي وعادل، وأن نضمحل أمام من هو أقوى؟ لا نعرفه!

في 20 سبتمبر 2002، في لوبوان Le point، صرح: «نعرف منذ خمس عشرين سنة أن لصدام حسين الكيمياوي، ويستمر في إنتاجه وسيستعمله في الفشل في ميدان المعركة».

مقدما تقريرا للمجموعة الفرنسية م.ع.د.إ .IISS التي أصبح رئيسا لها، حول أسلحة الدمار الشامل بالعراق، يصرح أن العراق يحطم الرقم العالمي لخرق التزاماته فيما يخص عدم إكثار الأسلحة النووية، الاستعمال للأسلحة

البيولوجية والكيماوية. يصرح: «الأسلحة البيولوجية والكيماوية توجد حقيقة». إنه يناضل لصالح عملية أولى أن تكون سريعة وخفيفة من أن تكون ضد العراق عوض عملية طويلة وتحرك القوى المهمة كما حدث في 1991. دراسة م.ع.د.إ. جاءت إذن لتعزيز مشاريع الحربية لبوش، وقد ثبتها باسم الخبرة الاستراتيجية، مفروض أن تكون مستقلة[23].

في نوفيل أوبسيرفاتور ل13 فيفري، يتساءل ما إذا كانت حرب العراق ستكون شرعية. نعم، بحسبه، «ما دام تعاون العراق في البحث عن أسلحة الدمار الشامل لم تكن لا ضرورية ولا غير مشروطة. الدلائل المقدمة من قبل كولين باول في المجالات البيولوجية والباليستية تنحو إلى إزهار أن هناك تصريحات خاطئة». كنا نعرف أن القرائن التي قدمها كولين باول في فيفري 2003 أمام مجلس الأمن كانت خاطئة. لكن، هنا أيضا، محاولة لقبول البداهة حسب هيسبورغ: أن نكون في صف الأمريكيين ونلجأ -ما دام لا يوجد حل آخر- إلى الحرب.

السؤال المطروح «هل بإمكان الأمريكيين ربح الحرب؟»، يجيب: «بخصوص هذا السؤال أريد ضبط الأمور، في البداية من الخطأ القول أنهم لم يفكروا فيما بعد الحرب. الأمر يتعلق بنقاش نظري للاحتلال الدائم، أو بالتحضير للتطبيق، بتدريب القوى العراقية للمعارضة، إنها موجودة بكثرة بالعراق».

كما نعرف، الأحداث التي ستلي لن تعزز أطروحة «خبيرنا». لكنها ليست خطأ بالمرة، بالأحرى إرادة لترضية الرأي العام لطمأنته: «لا تقلقوا إذا كانت الحرب دائما مؤسفة، كل شيء مبرمج مسبقا، ولكي يكون كل شيء على ما يرام».

الحرب المعلنة، ستكون في تصريحات فرنسوا هيسبورغ المناصرة للأمريكيين والمناصرة للحرب. ندم؟ العودة إلى الرشد؟ لا. تذكير بنظام المستخدم. إذا كان خبيرنا رئيسا م.ع.د.إ IISS، إنها وظيفة شرفية، ليست

---

(23) Le Monde, 10 septembre 2002.

أجروية مباشرة. منتدب من كي دورسي، إنه مدير المؤسسة البحث الاستراتيجية التي تتبع بشكل محدود لوزارة الدفاع، وزيادة على ذلك مستخدمة فرنسوا هيسبورغ.

في مارس 2004، كان من المطلوب إعادة الطرح من جديد، «دراسة م.ع.د.إ IISS تشرح قائلة لنا، أنها كانت الوقائع والفرضيات. المشكل هو أن أغلب الفرضيات كانت خاطئة[24]!»

في لوموند 6 جوان 2004، هيسبورغ صرح: «كان على الأمريكيين أن يظهروا في العراق نظاما عادي الفعالية المحدودة نوعا ما وعدم القدرة بلا حدود لإثارة ما وراء الرفض الشامل في العالم العربي». لقد عرفنا تقلبات أقل خطرا! إنه فن كبير أن نحرق ما نحبه، ونأخذ وضعية المثابرة. قبعة الفنان! إن حرب العراق لم تنتج الوقائع المحسومة، كان الوقت قد حان للتناول ملف جديد. الميدان من الآن فصاعدا هو إيران. في مقال منشور في الفاتح من سبتمبر 2005، في لوموند: «بالعكس الأزمة الإيرانية تعد بأن تكون عنصرا مؤسسا لما سيكون عليه النظام العالمي المستقبلي».

في 28 أوت 2007، تمنى: «إذا تركنا الأشياء تقع، لن نفلت من خيار كارثي: القنبلة الإيرانية، أو قصف إيران». مما تخاف منه الأكواخ!

في 1 أكتوبر 2007، يصرح في مدونة جييكو Géoéco: «إن خطر نقل القنبلة النووية إلى حزب الله، إنها الدودة الزائدة لإرهاب الحرس الثوري، وخطر التكاثر المعمم في الشرق الأوسط يظهر أن معالجته ستكون لذيذة في السنوات القادمة». إن تسلح إيران لحزب الله هذا أكيد. لكن أن تزوده بالسلاح النووي (إنه فضلا عن ذلك لا يوجد عندها) إنها حكاية أخرى. الدول مهما كانت، إيران من ضمنها، ليس لها ميل إعطاء السلاح الفائق

(24) في كتابه الجرح، الصحفي سيلفيان أطال Sylvian Attal أوشى: «العديد من الخبراء في العلاقات الدولية يعملون لصالح وزارة الدفاع قد أخطروا بأن يضمدوا قلقهم. الثورة الفرنسية ضد الأحادية القطبية الأمريكية باسم السلم فهي إذن الرأي المهيمن وأن محاربتها سياسيا خطيرة»، Denoel، 2004، ص 64.

إلى جماعات أقل من دولة. لكن الخوف من رؤية حزب الله مزود بالسلاح النووي يسمح برفع الصمت أمام عملية عسكرية ضد إيران.

في سبتمبر 2007، فرنسوا هيسبورغ ينشر إيران، اختيار الأسلحة؟ موضوع الكتاب هو جلب انتباه الجمهور للتهديد الإيراني ونيته امتلاك السلاح النووي، هذا ما يمثل كارثة إستراتيجية .من الجملة الأولى، يضع الكاتب الديكور: «السلم والحرب النووية في العالم يتعلق بمستقبل الطموحات النووية الإيرانية» (ص7). في الواقع، إذا كانت إيران تملك الأسلحة النووية، سيكون المنظور منظور صراع ذري. هذا الطرح ليس مسكوتا عنه تماما. إنه المنظور الذي يبلوره منذ وقت طويل العديد من المسؤولين الإسرائيليين والصقور الأمريكان.

مشكل، الجمهور ليس مصابا بالنسيان دائما، في ذاكرته سابقة الأسلحة النووية الإيرانية. حجة «الحرب لا مفر منها» من أجل منع التكاثر، قد وقعت، وهي متشككة. أيضا، فرنسوا هيسبورغ، بثقة في النفس يرغم الإدارة (ص9): «لماذا نعوي عن النووي الإيراني حين نرى كيف أن الشعوب وأحيانا الحكومات، قد أخطأت بالتصريحات النهائية (لكن مما إذن، "الكاتب") بخصوص أسلحة الدمار الشامل، يفترض أنها استلمت من العراق؟ بخصوص هذه النقطة، ملاحظة شخصية: الكاتب صرح بوضوح وبالقطع أنه ضد المغامرة العسكرية الأمريكية بالعراق». نستحضر هنا مهارة ثقافية فائقة جديرة فرنتين لو ديسوسي.

كما رأينا، موقف هيسبورغ في الحرب قبل هذه الأخيرة كانت كل شيء سوى الوضوح. إذا كان من بعد قد توقف عن انتقاد موقف فرنسا من الحرب، أنه قد طلب من مستخدمه الامتثال إلى النظام، ووزارة الدفاع. يتباهى أنه كان معارضا لحرب العراق ليبرر الحرب على إيران التي تقوم على التلاعب.

بعد أن درس عدة سيناريوهات يتسائل الكاتب: «هل سيكون كارثيا الضرب من عدمه؟» يخلص إلى: «اللجوء إلى القوة سيكون هامشيا أقل فجاعة من قبول وصول إيران إلى العتبة النووية» (ص171).

في حصة «إيران، العالم إلى أين؟» بمكتبة ميديسي، في 23 نوفمبر 2007، تمنى، الارتكاز على تقرير للوكالة الدولية للطاقة الذرية، يستلزم إيران عامين أو ثلاث سنوات للحصول على القنبلة. في 5 ديسمبر 2007، ستة عشر وكالة للاستخبارات الأمريكية تنشر تقريرا بحسبه إيران لا تتبع برنامجا لتخصيب اليورانيوم للاستعمال العسكري. بالنسبة إلى فرنسوا هيسبورغ هذا لا يغير من الأمر شيئا، يجد فيها في المقام الأول تعبيرا عن الندم. «وكالات استخبارات الولايات المتحدة قد قامت بكل ما في وسعها خلال الأزمة الإيرانية لتهويل الخطر، إنه سبب آخر للقول بأنها لا تتخذ اليوم الحذر من الخطر الإيراني».

في ليبراسيون، 12 جويلية 2008، في سؤال «هل سيكون كارثيا الضرب من عدمه؟» يخلص إلى: «اللجوء إلى القوة سيكون هامشيا أقل فجاعة من قبول وصول إيران إلى العتبة النووية، متبوعا بوصول دول المنطقة الأخرى».

في فيفيري 2009 يعيد الغطاء إلى الحرم الجامعي الرقمي اليهودي أكاديم، يتمنى: «ليس هناك من خيار للقنبلة والكلام». ويعمق هذا الطرح أكثر، حيث يصرح إنه من الممكن أن يصبح الحوار مع إيران مفتوحا وحرا تماما، بمجرد أن تكون إيران متطابقة مع قرارات مجلس الأمن، بفضل تعطيل قدرات إنتاجها بنطنز. الحوار الكبير يمكنه أن ينطلق. «القنبلة والكلام، حالة سورية تظهر أن مثل هذه الأمور ليست متعذرة عن التوقع». بوضوح، في هذه المساهمة التي ليست موجهة إلى الجمهور العريض، هيسبورغ يخمن أن التفاوض يكون بشكل جيد مع إيران بعد قصفها. الشريف هيسبورغ ارم في البداية وناقش بعد ذلك. «إذا طلبتم رأيي حول المصلحة مقارنة قصف أمريكي أو إسرائيلي إذا اعتبرنا كل شيء، أفضل الحل الإسرائيلي لأنها جاهزة للعودة إلى السياسة أكثر من الحل الأمريكي. الأمريكيون لا يعرفون فن حربهم، تنظيم قيادة العمليات العسكرية في العلاقة مع العودة إلى السياسة بعد الحرب». لقد رأينا مثل هذا كثيرا بلبنان وغزة حيث كان الإسرائيليون هم الأسياد في المقام الأول.

مواضيع «خبير» ذهب يردد أنه كان بالعراق أسلحة الدمار الشامل مبررا الحرب «الوقائية» ويرافع من بعد عن عمليات عسكرية ضد إيران لمنع هذا البلد من امتلاك السلاح النووي يجب أن ينظر إليه على الأقل بحذر. عموما، كيف نفسر سخرية فرنسوا هيسبورغ؟ هل هي أخطاء تشخيصية بسيطة، أو أنها تسجل إرادة تغليط قصدية للرأي العام .

7

فيليب فال:
من ليو فيري إلى توركيمادا

يجب أن يهنأ فيليب فال عن مهارته. ينوي الذهاب ويقدم من قبل أصدقائه أنه مهاجم صريح، عقل حر ومتمرد، ينتصر بشراسة للحرية وهو باطنيا معارض للأنظمة القائمة. هذا صحيح، لم يعد كذلك على الإطلاق. ما زال يحاول الانتفاع من هذه الصورة المنتمية إلى ماض قد ولى. فيليب فال «كذاب» الذي يحاول إخفاء ما أصبح عليه، ليحتفظ بالصورة التي كان عليها. اليوم فيليب فال يبحث عن الشرف، تردده على الأقوياء والمشاهير، إنه متعطش للاعتراف الرسمي. الفوضوي المحب لفيري قد تعود الاغتراف من «كؤوس التقالديين» الذين يندد بهم ليو. إنه بحسبي، محقق يريد فصل وطرد الكفار الذين لا يقاسمونه أفكاره، أو الأسوء الذين تجرأوا وعبروا علانية عن عدم الاتفاق مع العقيدة التي يدافع عنها.

هذا الطرد للمعارضين قد ظهر حين طرد الكاتبين الهزليين لفرنسا أنتير، ستيفان جيون وديديي بورت. تحت ذرائع خداعة، بالرغم من سيل احتجاجات المستمعين. إنها الخاصية المتعذر مراقبتها واللاذعة لهزلهما، هذا الهزل الذي كان وقت شارلي إيبدو يحدث النكهة قد عوقب. لكن إذا كان ضربة سيد فإنه ليس ضربة تجربة.

لقد أنذر الهزليين منذ أن تم تعيين فيليب فال على رأس فرنسا أنتير أن أيامهما أضحت معدودة. لقد تذرع بأخبار حي استعمل ديديي بورت لفظة «اللوطيون»، في 20 ماي 2010، كي يسحب منه أخباره الصباحية ليوم الخميس صباحا ثم الأخبار اليومية ل12 دقيقة في حصة «مهرج الملك» لستيفان بيرن.

مع ذلك، ملصقة للعرض الذي سيقوم به فيليب فال في أواسط الثمانينيات مع باتريك فون شخصاه وهما بصدد تحمل ذاك المصير بوزارة الثقافة إبان فرنسوا ليوتار. في 14 نوفمبر 2007، افتتاحية شارلي إيبدو كانت معنونة «الرئيس اللواطي» مثيرة الجدال بين نيكولا ساركوزي وبحار جويلفينيك.

أعطى تفسيرا آخر: لم يكن للهزل مكانة في الجزء الصباحي المرتبط بالأخبار. حجة متناقضة مع الإثبات الذي جاء من بعد الذي بحسبه الهزل هو جزء من أ.د.ن للمحطة ومحاولة -التي أخفقت- وضع هزليين في الصبيحة في وقت متأخر جدا. أحدهما رفائيل ميزراحي، غادر في أقل من أسبوعين. الآخر، جيرار دهان، قدم له الشكر بعد ورقة قاسية حول ميشال أليو-ماري. إذن فيليب فال بتبصر قد أزاح الهزليين الأكثر شعبية، محققا ذراعا من الاستقبال لكنه لا يروق له. لا يهم أن يهز هذا المحطة، وأن صورة واستقبال فرنس أنتيرن قد تمس. في 23 جوان 2010، راديو فرنس قد انتهى المطاف به أخيرا إلى تعويض 212000 يورو إلى ستيفان جيون، الطرد قدر «أنه بلا أسباب حقيقية ولا جادة».

لأنه من شارلي إيبدو إلى فرنسا أنتيرن، مسار طويل من «الرقابة» قد باشره فيليب فال. هو الذي كتب كتابا يستند فيه إلى فولتير، صاح الحب من أجل التسامح والحرية[25]، إنه في الحقيقة بعيد جدا عن مبادئ فولتير. بعيد عن أن يستطيع إثبات «لست متفقا معكم، لكنني أدافع إلى آخر رمق كي تستطيعوا التعبير عن أفكاركم»، سيقاوم إلى أخر نفس كي يمنع الذين لا يروقون له بأن لا يكون لهم الحق في الكلمة. لن يدافع عن مبدإ الحرية المطلقة إلا عن أصدقائه ومقربي إيديولوجيته. طيب، يمكننا اعتبار فيليب فال فوضوي قد أصبح محققا.

هكذا فيليب فال يذهب إلى حد تجربة إلغاء عرض ديديي بورت بسينما ديولفيت Dieulefit، حيث إقامته الثانوية في أوت 2010. لقد انفعل قرب

---

(25) Philippe Val, Reviens Voltaire, ils sont devenus fous, Grasset, 2008.

رئيسة بلدية المدينة أن الهزلي طرد من فرنسا أنتيرن كيف يمكن له أن يأتي ليعرض إنتاجه في المدينة حيث يقضي عطلته[26].

في ماي 2009، فيليب فال عين على رأس فرنس أنترن من قبل جون-لوك هيس Jean-Luc Hees، هو ذاته قد عين على رأس راديو فرنسا من قبل رئيس الجمهورية بمقتضى التشريعات الجديدة. نفهم بسرعة كبيرة كيف أن فيليب فال كان الاختيار الأول لنيكولا ساركوزي وأن جون-لوك هيس قد جاء لتقنيع هذا التعيين. فيليب فال في البداية قد تردد، حسب أقواله الخاصة، بين تولي إدارة فرنسا أنتيرن أو فرنسا كولتور. قربه من كلارا بورني-ساركوزي وتدخله في قضية سيني Siné لصالح آل ساركوزي يظهر أنها كانت محددة في اختيار تعيينه. جون-لوك هيس، صحفي محترم أبعد من قبل من مديرية فرنسا أنتيرن من قبل الرئيس السابق لراديو فرنسا، جون بول كلوزيل Jean-Paul Cluzel، قد عاد بقوة. إنه صديق لفيليب فال منذ مدة طويلة. لقد عهد إليه حصة إخبارية في حصته «تعاون» وقد تعاون مع شارلي إيبدو. من بعد فيليب فال، قيل أنه هو الذي همس باسم جون-لوك هيس إلى كلارا بورني لرئاسة راديو فرنسا. إن تعيين فيليب فال الذي هو إلى حد هنا إخباري عادي بفرنسا أنتيرن ولا يظهر قبليا أن له القدرات لتسيير المحطة قد فاجأ العديد. هذا طابق رغبة قديمة لفيليب فال ليرى نفسه يباشر منصبا رسميا واعترافا أقوى من مدير جريدة هجائية، علاوة على تعرضه إلى مشاكل جمة. منذ قضية سينين مبيعات شارلي إيبدو بدأت تضمحل وحياة الجريدة أصبحت موضع رهان. كما اعترف بذلك شارب الذي تلاه على رأس الإيبدو، «فال قد انتهى بتجسيد الجريدة بأفكار سياسية أقلية في التحرير[27]». تعيين فال بفرنسا أنتيرن سمح في الوقت ذاته بإشفاء غليله بالاعتراف المؤسساتي وبإنقاذ شارلي إيبدو التي بقي فيها المساهم الأساسي.

لقد أوقف فيليب فال سيني من شارلي إيبدو حيث كان هذا الأخير يرسم منذ عشرات السنين، تبعا لنشرية حول ساركوزي. قال أنه لم يتحمل

---

(26) Bakchich, 20aout 2010.

(27) Bakchich Hebdo n° 36, 4 septembre 2010.

معاداة السامية. حركة مساندة كبيرة وقعت آنذاك حول سينين وهذا الأخير قد ذهب إلى إنشاء جريدته الخاصة سيني إيبدو Siné Hebdo، التي أقامت في وجه عقبات شارلي إيبدو.

سيني قد سخر من أن ساركوزي جاهز لاعتناق اليهودية ليتزوج بوريثة مجموعة دارتي، من الديانة اليهودية. حسب فيليب فال أن هذه المواضيع يمكن أن تؤول كرابط بين اعتناق اليهودية، الزواج من شابة يهودية، الفوز الاجتماعي هو أحد أسس خطابة معاداة السامية وأنه لن يكون لا مقبولا ولا قابلا للدفاع أمام المحكمة. إن خاصية معاداة السامية للنشرية لا يظهر أنها واضحة بالنسبة إلى عموم الناس، الذين يقيمون زيادة على ذلك توازيا بين الدعوة إلى حرية نقد الإسلام، الذي جعل منه فال رأسمال تجاري، والتعنت المطلق لما يخص معاداة السامية.

رأت شارلي إيبدو أن سمعة جريدتها الفوضوية قد استنزفت بشكل كاف. إذن لقد كان من المستعجل إمكان تصفية فيليب فال من على رأس شارلي إيبدو، من أجل الخروج من هذه الورطة القبيحة. بالنسبة إلى أليكساندر آدلر، «اليوم نرى أن له بنية زولا، بنية العميد بيكار، إنه فيليب فال. والذي هو في دناءة دريمون، موراس أو بيرنانوص، إنهم موقعو أنصاف التروتسكيين للستاليني الخالد سيني». بيرنار-هنري ليفي، لوران آسكولوفيتش هبا لإنقاذ «الشجاع» فال في حين أن حركة كبيرة من المساندة أقيمت حول سيني.

في 24 فيفري 2009، المحكمة برأت الرسام سيني الذي كان متابعا بالتحريض على الكراهية العرقية، ومحكمة الجنح بليون قد أعادت في حيثيات الحكم النظر في جملة لفيليب فال، مدير شارلي إيبدو وقت دعوى الكاريكاتور: «الجريمة في عين الذي ينظر إلى الرسم». في 30 نوفمبر 2010، محكمة باريس الابتدائية فصلت «أنه لا يمكن الادعاء أن ألفاظ إخبارية سيني قد تكون معادية للسامية»، آمرة للشركة المديرة لإيبدو أن تعطيه أربعين ألف أورو تعويضا عن فصله.

بإعلان تعيينه على رأس فرنس أنتيرن، تحركت النقابة الوطنية

للصحفيين. نشرت بلاغا تحذر فيه وتعتبرا أن توقيت تعيينه مخالف للصواب وهي قلقة. «رجل متعود على افتتاحيات قاسية هل سيجسد قمة الرؤية والصرامة التي يجب أن تكون خاصية مدير فرنس أنتيرن؟ إذا لم تكن هذه هي الحالة، يمكن أن تبهت صورة فرنس أنتيرن بسرعة».

ساعات من بعد وصوله على رأس فرنس أنتيرن، يطرد فريديريك بوميي Frédéric pommier الذي ينجز مجلة الصحافة، متهم في نظره لأنه مسبقا قد «ذكر سيني إيبدو على موجات الراديو[28]». قرار أدين من قبل كل نقابيي الراديو.

علاوة على هذه الممارسات «المكارثية»، فيليب فال أظهر بسرعة أنه لا يملك القدرة على تسيير الراديو. أنتدب إليه بسرعة لورونس بلوش Laurence Bloche، عمود فرنسا كولتور، من أجل أن يكاتفه. بلا علاقة مع المنتجين والمحررين، معزول غالق على نفسه في أغلب الأوقات في مكتبه، من الواضح أن القلم لم يؤخذ. حسب صحفي، «عدا بعض المحسوبية، أرى على الخصوص أن فال قد جاء بأناس الراديو ليس من مهنتهم[29]». يذكر فيرونيك جروسار Veronique groussard صحفي بأنتيرن: «لا يعرف ما الصوت، الحماس، الإيقاعين عاديا يأتي من الصحافة المكتوبة. إنه مدرب كرة الطاولة الذي يدفع إلى مدرب لكرة القدم بحجة أنه رياضي[30]».

يظهر عجزه في تحضير لوحة الدخول خصوصا مع إلغاء الحصص، من أجل توفير فسحة لنيكولا ديموران Nicolas demorand الذي في النهاية غادر فرنس أنتيرن ليلتحق بأوروبا 1. خلال صيف 2010، مجمل الصحف قد ملئت بطوارئ فرنس أنتيرن التي كانت تمر تحت سوط فال. أغلب صحفي المحطة يقولون أنهم قد أرهقوا بعدم كفائته ويعانون من تقهقر صورة محطة مرتبطون بها.

---

(28) Cité par Delfeil de Ton, Le Nouvel observateur, 5 mars 2009.

(29) Bakchich Hebdo, 4 septembre 2010.

(30) le Nouvel Observateur, 18 février 2010.

لكن فال كان قد تمرن على وظائف محقق حين كان يدير شارلي إيبدو. ماتياس رايموند Mathias Raymond، في مقال نشر في 8 سبتمبر 2008، يذكر بأن فوليفيي سيران Olivier Cyran، فرنسوا كام François Came، ميشال بوجوت Michel Bouju tومونى شولي Mona Cholet قد غادروا الجريدة بعد وصول فيليب فال. رسم للوفريد تورون Lefred Thourond لباتريك فون Patrick Font خلال قضيته بخصوص الجنسية الطفلية قد حُظر، غادر الرسام هو أيضا الجريدة. فيليب كورسوف سيدفع به أيضا إلى الاستقالة بسبب خلاف حول الشرق الوسط. فيليب فال كان يرفض حق الرد للذين يتهمون في شارلي أيبدو.

بعد ارتكاب الرسام جول خطأ بنشر رسم لبوليتيس، التي يكرهها فال، المسكين كان عليه الاعتذار علانية بالتقليد الستاليني المحض: «إن ظهور صورتي لشيراك في إحدى أعداد بوليتيس الأسبوع الماضي يمكن أن يدفع بالاعتقاد إلى المساندة الضمنية لاتخاذ موفق لهذه الجريدة ضد شارلي إيبدو. لم يكن لي علم بمضمون المقالات المهينة لشارلين أؤكد بأن لا شيء من ورائها إطلاقا».

إذا كان فال قد أحدث ثورة، إنها ثورة إيديولوجية ضد نفسه. سيمر من وضعية معارض فوضوي إلى وضعية صديق الأقوياء وحراس النظام، يحسن المدح بمهارة محاولا الاحتفاظ هيأة اليسار للبعض المواضيع مثلا، مثل كشف الحمض النووي لبعض المهاجرين، مع ذلك هذا الموقف يتقاسمة مع كلارا بروني-ساركوزي.

في نوفمبر 1997، تحت عنوان «ببغاوات السلطة»، فيليب فال خصص تقريبا افتتاحيته بشارلي إيبدو للسعادة التي كانت له بقراءة كتاب "كلاب حراسة اليسار الجدد" لسيرج هاليمي. تحدث عن بيرنار-هنري ليفي، جيبسبيرت، أوكرانت، سينكلير، الجميع يندفع في الرحلة نفسها للمياردييرات الذين يلهون والذين ليست لهم أي رغبة لرؤية اندفاق نهر الامتيازات الذي ينبع من تواطؤهم أو من تعريضهم للشبهات. أخال أن فصل

«أصدقاء بيرنار-هنري ليفي» يثير القهقهة لدرجة النصح بقراءته «بصوت عال بين الأصدقاء[31].

في 27 ماي 1998، تحت عنوان «بيرنار-هنري ليفي، إيمي جاك الفكر» -كان ذلك قبل فوز فرنسا بكأس العالم، في الوقت الذي كان فيه ظرف جيد للاستهزاء بإيمي جاك-، هاجم مرشده المستقبلي الذي شبه بورديو بلوبان.

في «بيرنار-هنري ليفي يعاند»، شارلي إيبدو ل22 سبتمبر 1998، كتب فيليب فال «إن فيلم بيرنار-هنري ليفي وألآن دولان، الذي رقته كل وسائل الإعلام قد أخفق. كتاب بوريدو حول الهيمنة الذكورية، لم يرقيه أحد. قد حقق نجاحا. إذا كان هذا لا يسركم لدرجة الانفجار من الضحك، ذلك أن لكم مزاجا سيئا».

لكن بعد 11 سبتمبر، سيقوم بعودته الكبيرة. العدو من الآن فصاعدا هو الإرهاب الإسلامي. كل الذين يعارضونه يجب أن يحموا، كل الذين يهددهم هم في الخندق الجيد. سيعمل على جلد معاداة الأمريكانية الأولية للذين لهم وقاحة معارضة حرب العراق. سيحتفظ بالأسلوب العنيف، بالاختصارات المفرطة التي هي علامة صناعتهن الأهداف ستتغير بكل بساطة. الذين يشككون بخصوص شرعية الميزات الاستراتيجية لجورج بوش هم مصابون بداء التناذر لميونيخ ويتواطئون بقصد أو عن غير قصد مع الإرهاب. بالنسبة إلى فال، حرب العراق، جوانتنامو، أبو غريب، قصف المدنيين، عواقب نقط التفتيش، كل هذا لا يهم، لأن كل هذا يدخل ضمن الحرب على الإرهاب. مدير جريدة فوضوية مساندة لبوش، إنها مدد القوة والثمن. في الاندفاعية، فيليب فال سيصير مدافعاً شرساً لحكومة أرييل شارون الذي اتجاهاته التحررية المطلقة معروفة جدا. انتقاد قمع الفلسطينيين من قبل الجيش الإسرائيلي، إنه دليل معاداة السامية مخفي بطريقة وقحة. فيليب فال سيكون بلا رحمة في حق كل من يتجرأ ويشكك في شرعية

---

(31) Mona Chollet, «l'Obscurantisme Beauf», op. cit.

السياسة الإسرائيلية بكل بساطة لأنه لا يتساهل مع معاداة السامية. سيحتج مثل بيرنار-هنري ليفي ضد حضور طارق رمضان في التجمع الاجتماعي الأوروبي لشهر أكتوبر 2003. يضاعف من مطاردي المجتمع والجدل الشكلي المشكوك فيه. هتلر لم يكن يحب اليهود، إن الذين ينتقدون الحكومة الإسرائيلية، يقومون بذلك لأنهم لا يحبون اليهود، إذن فهم منحدرون من مثقفي هتلر. الإسلاموية هي الفاشية الجديدة أو النازية الجديدة. حرب وقائية منذ 1938 كانت ستجنب الحرب العالمية وتطهير عرق اليهود. الذين يناهضون حرب العراق، لا يظنون أن حلا عسكريا يمكنه وضع حد «للفاشية الإسلامية» لم يفهموا شيئا من دروس التاريخ.

هل كان لفيليب فال، رؤي غيبية؟ هل عرف طريقه إلى دمشق[32]؟ الأكيد بكل بساطة فهم أنه كان الأكثر انتهازية بقول لا لما نفكر به، بل ما تفكر به النخب، إذا أردنا الانضمام إليها ونقبل في النادي. هذا المنعطف الإيديولوجي 180 درجة هي ثمرة طموح لا يريد أبدا أن يكون مربوطا بقناعاته.

صيغ المِجْوب، أحكام نهائية هي علامة صناعته. بخصوص الصحفيين كريستيان شيسنو Christian Chesnot وجورج مالبرونو Georges Malbrunot، كتب إنهما قد اختطفا: «من قبل إرهابيين إسلاميين الذين يحبون ذبح الغربيين، باستثناء الفرنسيين، لأن السياسة العربية لفرنسا لها جذور عميقة تعود إلى نظام فيشي Vichy، الذي كانت سياسته المعادية لليهود، غيابيا، سياسة عربية[33]». جاعلا من عهد بيرنار-هنري ليفي أنه كان يمارس السياسة العربية لفرنسا التي أطلقها غول Gaulle، الوريث المباشر لنظام فيشي! قوي أكثر مما يلزم. في صحة جيدة، كتب في اليوم نفسه «إجمالا، الحجاب إنه بالضبط هو الوسيلة الاستراتيجية لتحقير المرأة، محاربة المساواة في مدرسة الجمهورية». لسنا بعيدين عن نظرية المؤامرة أو نظرية «بروتوكول حكماء المدينة المنورة».

---

(32) القديس بول، مضطهد المسيحيين بعد موت المسيح، كانت له رؤيا وإشراق بذهابه إلى دمشق وأصبح أحد المبشرين الرئيسين للمسيحية.

(33) Charlie Hebdo, 5 janvier 2005.

لكن حين يجعل فال من نفسه عالم سياسة إستراتيجي يعتلي القمم. يندد بلا توقف الفاشية الإسلامية، التي تحدثنا عنها من قبل. سيعطي تعريفا يشكل خرقا مفاهيميا حقيقيا، ينقص كلوسويتز Clauswitz، آرون Zron، كسينجر Kissinger إلى مصاف اللاعبين الصغار. «إن هذه الفاشية الإسلامية ليست فاشية فقط، إنها أيضا إسلامية[34]». احترام! في المقال ذاته، كتب: «الإرهاب الإسلامي هو ظاهرة طائفية التي ليست في حاجة لأي تبرير لأن كل شيء يبررها».

ديديي بورت يروي في كتابه أخبار فصل مستحق جيدا (ص 27)، أن مدير فرنس أنتيرن أشبعه عتابا بعد أخباره، حول دومينيك دوفيليبان Dominique de Villeppin. قدم له التفسير على أنه حين جعله في المنصة أصيب بداء تناذر توريت الذي يؤدي إلى فقدان التحكم في التعبير للذي يعاني منه. فيليب فال يضيف: «وفي المرة القادمة بحجة داء تناذر توريت، ستقول يحيا هتلر في المحطة؟» لورانس بلوخ الذي كان يتابع الحوار ظهر كأنه أرعب مثل ديديي بورت. فيليب فال بالقدر الذي استحوذت عليه معاداة السامية أنه صار بإمكانها أن تظهر على أنه مشكوك فيها.

بداية مارس 2006، فيليب فال، بيرنار-هينري ليفي وبعض الشخصيات سيوقعون عارضة الإثنا عشر من أجل الحريات مقدمة الإسلاموية كفاشية جديدة. لا مجال من الآن فصاعدا للتهكم من بيرنار-هنري ليفي الذي أصبح أيقونا، صديقا وأستاذا. إن قضية نشر الرسومات المسيئة للرسول (ص) ستجعل من فال بطل التنديد بمخاطر أن المسلمين يضغطون على حرياتنا.

في 16 مارس 2006، بيرنار-هنري ليفي التقى فال في الحصة التلفزيونية بدي تلي. الفيلسوف، منذ عهد قريب سُخِرَ منه في شارلي إيبدو، التي تحمي هجاء الممدوحين: «لقد كتب كتابا سماه استفتاء الأنذال، الذي

---

(34) Charlie Hebdo, «Si on supprimait les bourreaux, il n'y aurait plus de victime», 3 avril 2005.

هو في رأيي ما كتبناه بشكل أكثر صحة وقوة من أجل القضية الأوروبية منذ هابرماس Habermas». حسب بيير رامبيرت Pierre Rimbert، «التعبير المطلوب لفال للملفوظ المستبعد مقارنته بعالم الاجتماع الألماني المترجم قوى علاقات تبعيته الثقافية[35]».

في شارلي إيبدو 03 أكتوبر 2007، كتب فال بخصوص هذه الجثة الكبيرة للانقلاب: «في هذا الكتاب الحميمي والباهر، يكشف عن قناعات، وتنبه وتأمل بخصوص مبادئ دولة القانون، التي لا يمكننا القول أنها تعيق النشر في هذا الوقت. ولا الوسط السياسي الإعلامي».

في كتابه أعداء فولتير، أصبحوا مجانين، صدر بجراسيي -ناشر بيرنار-هنري ليفي-، فيليب فال كتب أن هذا الأخير كان دائما في صف المطلوب منذ معاداة السامية ومعاداة السيادة في السبعينيات إلى حين انخراطه في اليسار في الانتخابات الأخيرة، مرورا بالبوسنة وجزائر الحرب الأهلية. إنه رد للجميل .

بيرنار-هنري ليفي كتب في لوبوان أن محاولة فيليب فال هي «كتاب مكثف، خطير، تأخذ الذات من الوسط بعض الأسئلة الأساسية، الأكثر حدة لوقتنا الحاضر[36]».

كما كتبت مونا شوليه: «فسحة الباعة المتطرفين للإسلاموفوبيا الذي تتزلج فوقه بلا حشمة أغلب وسائل الإعلام الضاغطة، يسمح بمعاشرة الأقوياء ودغدغة الغرائز الباطنية للجماهير، ومهاجمة جون مولان. طيب، إنها المثالية[37] نحن بعيدون جدا عن التعريف الذي يمنحه فيليب فال لنفسه في مقال مسل جدا نشر في لوموند[38] -بالقدر الذي هو مسل يثير ردود فعل قوية من القراء. «نفتح، نزيل الحواجز، نكون مرحبين وأخويين، لا يمكن

---

(35) Pierre Rimbert, le despotisme des éclairés, Le monde diplomatique; juin 2009.

(36) Le point, 13 novembre 2008.

(37) Mona Chollet, op, cit.

(38) Annick Cojan, 10 juillet 2010.

أن يقصى أي أحد مما يغني ويحدث الفخر لحضارة ما». يقول أنه يريد «الذهاب لإحياء الذكرى العاشرة للحادي عشر من سبتمبر بنيويورك، هذه اللحظة التي رمت بنا في عالم آخر وفرضت علينا التساؤل حول أسلحة الديمقراطية في المواجهة ضد الإرهاب». لا حظ في إحياء الذكرى 10 للحادي عشر من ديسمبر الذي سيكون في 2011 وليس في 2010. الجميع يمكنه أن ينخدع.

في عز حرب لبنان، فيليب فال كان يساند الجيش الإسرائيلي، في إحدى الافتتاحيات بشارلي إيبدو في 19 جويلية 2006، كتب: «الزعيم الشيعي حسن نصر الله بطل ببسمته العذبة، أشعل النار بالمنطقة لكن بالتأكيد الخطأ راجع إلى إسرائيل. إسرائيل لم يعتد عليها أبدا، ليست في خطر إطلاقا، إسرائيل دائما خاطئة».

فيليب فال كتب أن ناس فرنسا-فلسطين «مغفلون كبار، الذين هم في الحقيقة يهدرون طاقتهم ليس في حب الفلسطينيين بل في كره اليهود، أمريكا والديمقراطية عامة[39]». جمعية فرنسا فلسطين تضامن حين هددت برفع دعوى، فال، خشي من قضية يخسرها مسبقا، قال أنه حزين لأنه لم يكن يظن أن افتتاحيته ستثير هذه الجمعية. مع ذلك هي الوحيدة التي تحمل هذا الاسم.

إن التردد على قمة الفكر مثل بيرنار-هنري ليفي سينمل دماغ فيليب فال. قول كاتب هزلي، هذا لم يعد أناقة أبدا. سيصير فيلسوفا. صديقه الجديد سيساعده على النشر عمل لدى جراسيي موجه لتربية العامة، بحث في معرفة العيش بالزمن المظلم. هذا الكتاب سيشكل إجماعا لكن ربما ليس كما تمنى فيليب فال. حسب الظاهر، النقاد لم يروا البعد الجديد الذي يتخذه مفكرنا الكبير. لقد اعتبروا عمل السيد ككتاب هزلي. في الفيغارو 08 فيفري 2007، سيبستيان لاباك Sébastien Lapaque كتب: «مغمور بتحصيل الحاصل والبديهيات التي لا تحرك ساكنا، كتابه متبجح وممل. لحسن الحظ

(39) Cité par Sébastien Fontenelle, Politis, 9 avril 2009.

أن بعض الهفوات تجعله أحيانا مضحكا هكذا حين يخلط سيمون فاي Simone Veil وزير الصحة بحكومة بار Barre مع سيمون فايل Simone Weil كاتب الوضع العمالي. أما بخصوص السياسة، الطواطم، الحياة، الموت، الجنس والزمن الذي يقوم به، نستخلص العديد من الدروس الثمينة بمكتب صرافة المقهى التجاري».

حتى التعجب في لوموند 13 جانفي 2007، بقلم كريستوف دوني Christophe Donner: «على الصفحة الرابعة بعد غلاف كتابه، فيليب فال يطرح سبعة أسئلة سريعة التي هي مثل أختام المعرفة السبعة. [...] اندهشنا، فزعنا بأهمية أسئلته ولا شيء يمنعنا من الظن قريبا في الثامن الذي يلخصها جميعا: هل المثير للسخرية يقتل؟» قدم الكتاب «كنوع من ابتذال الابتذال الذي ليس مجردا من بعض الابتذال».

بفرنس أنتيرن، أصبح يعزل شيئا فشيئا. صحفيو المحطة يصفونه على أنه لا يخرج أبدا من مكتبه المغلق الشباك غالبا، ليختبئ ممن هم في الأروقة. أصبح غضوبا أكثر فأكثر، إنه بلا شك قد التزم حدوده ليس لعدم كفاءته للمنصب فقط، بل أيضا للخاصية العريضة لجمهور هذه المحطة. في قرارات نفسه، يدرك أنه مدان بنجاحه للتسويات الصغيرة مع النزاهة الثقافية.

8
برنار-هنري ليفي،
إله وسيد «المغالطين»

لكل مقام مقال: برنار-هنري ليفي إنه بالتأكيد نموذج حتى «للمغالطين»، السيد المطلق والمحك. لقد ابتكر نموذجا واتخذ منه مرجعا. مرات يترنح على الواقع، مرات أكاذيبه يندد بها في مقالات وكتب، لكن شيئا ما قد حدث. يظهر أن برنار-هنري ليفي قد استفاد من مبدأين. المثير للسخرية لا يقتل أبدا، والذي لا يقتل يقوي. لقد نجح في التغلب على عقبة بالتقوية في كل مرة يكون فيها مثارا للسخرية.

لقد بنى مسيرته المهنية بلا حشمة من الكذب. مع ذلك، يقدم نفسه كنموذج مثالي للمثقف يؤثر في حياة الأفكار ويظهر بالتزامه إخلاصا نزيها وبلا حدود للقضايا الأكثر نبلا.

برنار-هنري ليفي اشتهر بمثقف ينور الجمهور في حين هو مضلل إعلاميا. عرف بأنه شخص ملتزم تماما من أجل الأخلاق في حين هذه هي الوقاحة ذاتها. عرف على أنه مدافع عنيد عن الحرية في حين هو مكارثي مقذع. عرف على أنه جامعي في حين هو جمعوي مجنون.

بين مكارثي ومحافظ سياسي للإيديولوجية

لبرنار-هنري ليفي نقطة اشتراك مع آيات الله الإيرانيين الذين مع ذلك لا يؤمن بهم. إنهم أيضا متسامحين نوعا ما بعضهم بعضا، ويقومون بكل شيء لإسكات الذين لا يشاطرونهم الرأي. إن تعصب آيات الله بديهي. كي

يكون أقل تعصب برنار-هنري ليفي هو أيضا كله حقيقي. يتعصب الإثنان باسم أخلاق لا يجب التجرؤ عليها.

إنه أكثر من غير عادي إن أقل كتب لبرنار-هنري ليفي يكون موضوع ترقية إعلامية، مما يدعو إلى للتفكير بضخامته، الإجماع عليه، في التفكير في رومانية تشاوسيسكو مثل فرنسا المجادلة والحريات. صحيح أن الكثير من الصحفيين الذين يحاورون برنار-هنري ليفي أو يطرون على كتبه التي لم يقرأوها، بل يجدون أنفسهم مرغمين على إشهارها ومسائلته عن أي شيء آخر عموما.

برنار-هنري ليفي ينتفع من هذا العرض الإعلامي، الذي لم يستفيد منه أبدا، من ضمنه الكتاب المعروفين، بثقله بمجاورته للأقوياء، ليحاول ليس ليناقض ما له الحق فيه، بل ليسكت من يتجاوز الحد، أولئك الذين أرائهم لا تعجبه.

لقد افتتح إستراتيجيته على عكس ريجي ديبراي Régis Debray، في 1999. في مقال منشور في لوموند[40]، أخال ريجي ديبراي أن شروط التدخل العسكري لحلف الشمال الأطلسي ضد يوغوسلافيا، بخصوص العنف بكوسوفو، لم تكن مبررة. برنار-هنري ليفي رأى أنه ضروري. كان يمكن أن يثير هذا نقاشا رفيعا حول مفاهيم التدخل، مفاهيم الحرب هل هي عادلة أم لا، منع الحرب في العلاقات الدولية، حق الشعوب في تقرير مصيرها، مشاكل الجنسية بالتحديد في البلقان، إلخ. الكل انتهى بحرمان ثقافي. برنار-هنري ليفي توركيمادا اعترف أنه عرض ريجي دوبراي للسخرية، جعله يظهر مشاركا في سياسة تطهير عرقي: يستخلص بطريقة حقودة هكذا هو مقاله: «دوبراي ليس هو دريو Drieu (كلام الكاتب). ولا بلغراد برلين.Belgrade Berline لكن أخيرا... بطريقة ما ها نحن فيه. ما نتنبأ به في الكتب، حسب الظاهر يمنح لنا عيشه في الواقع. الحقد على الديمقراطيين وأوروبا؟ الحقد على الذات؟ انفعال العمي، الخيبة؟ انتحار مباشر لمثقف؟ للأسف، وداعا ريجي!»

---

(40) Le Monde, «adieu Régis», 14 mai 1999.

يمكننا الاعتقاد أن مثل هذه اللعنة كان يمكن أن تقدر في عدة مرات، على مساندة الحرب على غزة، قضية بوتول، المنسوبة إلى برنار-هنري ليفي. يجب أن نحيي مهارته. عوض المخاطرة أن يكون في موقف صعب في نقاش ثقافي، يشهر السيف الازر للأخلاق المفروض أنها تقلص معارضين إلى العدم. الوسط الإعلامي آنذاك، تبعه جاعلا دوباري يظهر كانهزامي وبرنار-هنري ليفي، كمقاوم الأزمنة الحداثية، خليط كليمانصو، جون مولان وآندري مالرو. هذا مؤلم خاصة حين نعرف المخاطر الجسدية التي تعرض لها دوباري خلال وجوده والنذالة الخرافية تقريبا اسمه المستعار الفيلسوف.

التصرف ذاته للإقصاء-الحرمان، سيستعمل ضد طارق رمضان بعد نشر مقاله الذي يتهم فيه طائفية المثقفين اليهود في مقابل الدفاع عن القضايا العالمية التي كان أسلافهم يشجعونها. هنا أيضا برنار -هنري ليفي لا يخاطر بنفسه لرد أطاريح رمضان، الذي يمكن أن يصبح ضده لأن له قليل من الحجج للإدلاء بها، لكنه ينقل المجادلة حول قضية معاداة السامية، إذن هي إدانة أخلاقية ضد رمضان. دافع من بعد متوجها دون أن يضحك إلى «أصدقائه المناهضين للعولمة» (هو الذي يسخر غاية السخرية) ليطلب منهم ليلغوا دعوة طارق رمضان للتجمع الاجتماعي الأوروبي. مرة أخرى، رفض النقاش، خوفا من التناقض ومحاولة الحرمان.

رئيس لجنة التسليف على الدخل، سيرفض سيناريو جيرمينال قمه المنتج كلود بيري Claude Berri، الذي مع ذلك قد حقق نجاحا جماهيريا كبيرا. السبب؟ رفض بيري المشاركة في إنتاج فيلم من المفروض أن يكون نجمه أرييل دومباسل Arielle Dombasle[41].

في 2001، سيبعد من أرتي جورج جولدنيستيرن Georges Goldenstern، بالرغم من عارضة التي أمضاها مئات السناريستيين والمنتجين المأثرين في مجال السينما لصالحه. هذا الأخير عارض تمويل فيلم "الليل

Nicolas Beau, Olivier Toscer, Une imposture française, Les Arènes, 2006. (41) P.120.

والنهار" الذي أخفق كما نعرف. فيلم حسب التعليقات «أن مصارفه أكثر من مداخله». هذا الفيلم الفاجع الذي لم يحصل إلا على 70000 مدخول بالرغم من ترقية جديرة بقنبلة هوليودية شديدة الانفجار، قد تحصل على 530000 أورو باسم تسبيق على العائدات. يجب مساعدة النجوم الشباب المحتاجين. دفاتير السينما قد صنفته «أسوء فيلم منذ 1945». في ليبيراسيون، جيرار لوفور Gérard Lefort يسخر: «ذهبت إلى عرض السادسة مساء. ساعتان من بعد نظرت إلى ساعتي، كانت السادسة وعشرون دقيقة..». يمكننا أن نتساءل أن مثل هذه التعاليق النقدية ستكون دائما ممكنة اليوم مع وضع قوة برنار-هنري ليفي في وسائل الإعلام بعين الاعتبار.

مشتغلا حول كتاب برنار-هنري ليفي، فيليب كوهن Philippe Cohen، علماً أن هذا الأخير قد قال لأرنو لاجاردير Arnaud Lagardère بأنه لا يحتمل، هو الذي أبن جون لوك لاجاردير Jean-Luck Lagardère، أنه قد اصطدم بمنظور رؤية كتاب يسيء إليه، نشر من قبل فروع مستقلة من المجموعة[42]. يتخذ الأسلوب ذاته مع رونوريفال Renaud Revel، قائلا له: «تعرف أن دونيس جيمبر Denis Jeambar، كان عليه أن يكون حذرا» (في حالة ما إذا الصحافة تحدثت عن كتاب جون كوهن "كلام المؤلف") قبل أن يبوح أن سيرج داسو Serge Dassault، صاحب الأسبوعية، كان بإمكانه أن يعرض على للحكومة إعادة تعيين لوك فيري على رأس الأسبوعية[43].

برنار-هنري ليفي نشر أيضا شبكته من أجل حذف الشريط الوثائقي الذي كان من المفروض أن يبث في حصة «إثنين التحقيق» لكنال بلوس Canal Plus. قبل البث، العديد من الأشخاص الذين سئلوا طالبوا أن تحذف من الشريط شهادتهم. لو أن البرمجة قد أبقي عليها من بعد، لتوقفت شركة الإنتاج كابا Capa، عن طلب الصور من كنال بلوس[44]. كما كتب جون كوهن: «برنار-هنري ليفي هكذا أصبح في الواقع أحد آخر الرقباء العمليين

(42) Philippe Cohen, BHL. Une biographie, Fayard, 2005, p. 21.

(43) Ibid, p.22.

(44) Ibid, p.357-359.

للنظام الإعلامي لأنه محسوب يتمتع بسلطة نادرة في إلحاق الضرر في وسط مقرري وسائل الإعلام[45]».

كرستوف دو بونفيلي Christophe de Ponfilly، صديق أصيل لمسعود، حاول تمرير مقال يكشف أكاذيب برنار-هنري ليفي حول قربه «الكاذب» من المقاوم الأفغاني. لا لوموند، لا لوفيغارو ولا ليبيراسيون أرادت أن تمرر هذه المساهمة التي صدقها يمكن أن يكون محل اتهام، لكنها اعتبرت قاسية على برنار-هنري ليفي[46]. مسؤولو صفحات الأفكار للجرائد الثلاث قد قرروا عن قصد إخفاء الحقيقة حول موضوع مركزي للأخبار من أجل حماية برنار-هنري ليفي عن الجمهور.

إن تقدم برنار-هنري ليفي كمدافع لا يكل عن الحريات هو بهتان. إنه مكارثي الذي يبحث بكل الوسائل إسكات أو إقصاء من حقل الجمهور الذين ليسوا متفقين معه. بريا سان جيرمان دي بري.

سيثبت طبعا طرد سيني من شارلي إيبدو. فيليب فال الذي أقال سيني، وقدم من قبل برنار-هنري ليفي «فولتيري مشهور، حواري معلن لحرية النقد، التفكير ومدافع بالخصوص عن الرسومات المسيئة لرسول (ص)[47]». في حين فرنس سوار France Soir تريد تقديم تقرير عن الكتاب ب.أ. با برنار-هنري ليفي، التحرير بالتصحيح بعث له مراسلة ليقترح عليه رد الفعل. استقبلت الجريدة من بعد بقليل اتصالا هاتفيا من أحد الأكثر شهرة المناصر للكاتب الذي يشير إلى: «تجهلونه بلا شك، إن برنار قد عمل كثيرا من أجل شراء فرنس سوار من قبل رامي لقاح Rami Lakah». كما ستنشره الجريدة: «بوضوح، بفضل برنار-هنري ليفي منشغلون كثيرا، شيء من الاعتراف، من فضلكم». شخصية أخرى تتدخل بعد آندري بيركوف André bercoff، مدير التحرير، كي لا يظهر المقال.

---

(45) Ibid, p. 362.

(46) Ibid, p. 122.

(47) Le Monde, 22 juillet 2008.

حاوره صحفيو مجلة إيل Elle لم يمر الحوار جيدا، هتف إلى رئيس تحرير المجلة، أوليفي بيريتي Olivier pérétié: «كيف تتجرأ فعل هذا بي، صديق جون لوك لاجاردير، رئيسك. لا مجال أن ينشر هذا المقال الرديء في الجريدة[48]».

من بعد، سيلين بوانيك Céline Buanic، صحفية بالصفحة في صفحات الأدبية لإيل، تتحدث بشكل سيء عن كتابه كوميديا. في يوم النشر ذاته: «المسؤول عن صفحات الكتب للمجلة دخل إلى مكتب سيرج رافي، مدير النشر وقال له منزعجا: "طلب منا طرد سيلين"، إنه بطلب من بيتي لاجاردير Bethy Lagardère، زوجة جون لوك الذي تعود إليه المجلة. المتعاونة مع إيل ستنقد، لكنها لن تكتب أبدا نقدا للكتب في مجلة الأنوثة[49]».

رقابة جديدة بالنسبة إلى صحفيي المواجهة بخصوص بحث حول فرع محلي مستقل لشركة ليفي بساحل العاج. قررت المجلة التحقيق في شركة مختصة في استيراد الخشب Becob، أسسها آندري ليفي André Lévy، أب الكاتب والتي يديرها برنار-هنري ليفي ذاته منذ وفاة أبيه. وصلوا إلى صراع اجتماعي كبير. لماذا العمال يتقاضون أجرهم بشكل غير منتظم؟ كم يربح فرع الشركة؟ طرحوا أسئلة على الفيلسوف الذي يقطع كل تفسير. لكن من بعد، رئيس تحرير المجلة سيأتي ليقول للمحققين: «آسف أيها الشباب، لا يمكننا نشر هذا التحقيق، برنار-هنري ليفي، اشتكى لأرنو لاجاردير، وقد استعمل برنو الفيتو. انسوا كل شيء[50]». أحد أعضاء منظمة غير حكومية بريطانية، «قامت بتحقيق الذي نقرأ فيه: «العمال راضون بالجدول ليتزودوا بالماء، إنهم معرضون للأمراض لأن هذا الماء الملوث بالغبار ومن مواد أخرى، إنهم مجردون من الدواء، العمال يعتبرون كأنصاف عبيد. لا شيء نظم في اتجاه تفتحهم[51]». نفهم أن برنار-هنري ليفي، بمجرد ألا يكون

---

(48) Nicolas Beau, olivier Toscer, op. cit, p. 24.
(49) Ibid, p. 27.
(50) Ibid, p. 59.
(51) Ibid, p. 64.

معتادا لا يبحث بالضرورة عن أضواء الشمس لهذا النشاط الخاص.

جي كارليي Guy Carlier اشتغل في وقت سابق كمحاسب لشركة استيراد الخشب. في أخبار على فرنس أنتيرن، بعد التأبين الذي أقامه برنار-هنري ليفي إثر جنازة جون لوك لاجاردير، قال: «برنار-هنري ليفي ليس فيلسوفا، إنه اجتماعي، مهاب الغابة الإفريقية وانتهازي بهذه الصفة كتب هذا الإهداء لأن لاجاردير كان ناشره». إنها المرة الأولى التي يلمح فيها الهزلي إلى المحطة إلى الماضي الإفريقي لابن رئيسه السابق. هذا الأخير كشف لفرنسوا بينو François Pinault، أنه سيوجه رسالة واضحة إلى ستيفان بيرن Stéphane Berne: «قل لصديقك، كلاريي بأن يسكت وإلّا سينتهي كل شيء بطريقة سيئة بالنسبة إليه. ليفكر قليلا في مساره المهني، تعرف علاقات برنار مع مديري المحطات، التلفزة مثل الراديو[52]».

بالكاد مرت قضية بوتول المحزنة، برز من جديد مازجا سلاسة التحليل وصرامة الرقابة. علم، لا ندري من أين، أن تارديي Taddei رأى اتفاقيته قد تجددت إلى 2014. فار دمه. تصرف في الحال. أسف أسفا شديدا، أن تاديي دعى في حصته أناس ما كان عليهم أخذ الكلمة. للأسف، اختيار سيء. برنار-هنري ليفي أجمل كل شيء هنا. بداية لقد خلط منشط حصة «هذا المساء وإلا أبدا» على فرنس3 -عقود التلفزيون تدوم على العموم سنة- مع لاعب كرة القدم أس روما، رودريغو تاديي. عن الأمر جسيم لدرجة أنه يظهر مستحيلا، لكن لا شيء مستحيلا بالنسبة إلى برنار-هنري ليفي. فيما وراء فداحة الخلط، الذي يسمح بالتساؤل حول وضوح الفيلسوف، نرى جيدا إرادة الرقابة التي هي مركز عمله ذاته. إنه لا يحب تاديي، إذن هذا الأخير لا ينبغي أن تكون له حصة في التلفزيون.

فريدريك تاديي، بما أن الأمر يتعلق به، فقد بعث بحق الرد: «اعتقدت بسذاجة أن السيد ليفي كان يريد أن يكون سارتر عصره. خدعت، إنه يرضى بدور أقل تطلعا، رجل مرور وسائل الإعلام: يصفر متى شاء، يهش بعصاه،

---

(52) Ibid, p. 71.

يطلب الوثائق، ينفخ في الكرة لحسن الحظ أننا نعيش في الديمقراطية وإلا يوسعنا لكما[53]».

في 2005، كتب ليفي إلى مدير بوبورغ Beaubourg ليطلب منه إلغاء فيلم لإيال سيفان Eyal Sivan الذي يعتبره معاد كبير لإسرائيل. لسوء حظه، تدخله الذي أراد له أن يكون سريا أصبح علنيا.

فيما وراء هذه الأمثلة المعروفة المذكورة من قبل الصحافة، كم هناك من ضربات تحتية سرية، من نصائح ضاغطة، من تهديدات مقنعة، أو لا، حتى لا نستضيف أو نقصي من الحقل العلني أولئك الذين يكدرون سيادته؟

في 04 سبتمبر 2010، برنار-هنري ليفي دعي إلى حصة «مرحبا أيها الأرضيون» لتيري آرديسون .Thierry Ardisson كان أيضا كل من ديديي بورت وستيفان جيون حاضرين، اللذان طردا من فرنس أنتيرن من قبل فيليب فال. آرديسون طلب من الفيلسوف رأيه بخصوص طرد الهزليين، هو الذي يدافع عن حرية التعبير، واستعاد الرسومات المسيئة للرسول (ص). علق برنار-هنري ليفي: «فيليب فال صديق ولا يمكنني انتقاد صديق». اعتراف ضمني جميل، يوضح بشكل لا إرادي مفهومه للمجتمع -كل شيء للرفاق ولا شيء للآخرين. الرقابة لا يمكن أن تنتقد إذا مارسها صديق لأنه لا يمكن انتقاد صديق...

لقد كنت أيضا ضحية للتصرفات السيئة لبرنار-هنري ليفي. بشجاعة، سيرج وينبيرغ، رئيس مجلس إدارة (م.ع.د.س)، ساندي لمدة سنة ضد الهجمات متهمني بمعاداة السامية لأني انتقدت الحكومة الإسرائيلية في ورقة[54]. غير فجأة الموقف واستدعى مجلس إدارة (م.ع.د.س) الذي كان يترأسه ليطلب منه أن أعفى من مهامي بصفتي مديرا. إذا كان عدد قليل من أعضاء المجلس قد ساند طريقته، الأغلبية عارضوه بشدة، متسائلين عن تفسير هذا التغير في موقف سيرج وينبيرغ: هل قام به بطلب من مسؤول سياسي خاص أو بطلب من رئيس (م.ع. س.ف) المنشي\ ضدي في تلك

---

(53) Le point, 8 juillet 2010.

(54) Cf. Pascal Boniface, Est-il permis de critiquer Israël?, op. cit.

الحقبة لدى السلطات العمومية؟ لا ، أجاب سيرج وينبيرغ، مفترضا أن كانت هناك ضغوطات لم يكن باستطاعته مقاومتها. فهمنا من بعد أنها جاءت من برنار-هنري ليفي الذي بموقفه القريب جدا من فرنسوا بينو، مالك مجموعة (ط.م.ص) PPR التي كان سيرج رئيساً مديراً عاماً لها، كانت له وسائل ضغط قوية عليه.

مثال آخر يظهر الرقابة الذاتية التي يمكنها إثارة الخوف المبجل إزاء برنار-هنري ليفي. كتبت في 2009 كتاب حوارات مع الذي كان في تلك الفترة رئيسا لأولمبيك مرسيليا، باب ديوف Pape Diouf، حيث كنا نمرر بالمجلة العلاقات بين كرة القدم والمجتمع. في مقطع من الكتاب، قلت فيه أن فعل كرة القدم ديمقراطية، في حدود أن الشبكة الاجتماعية، حيث الوراثة، لا تلعب كما يمكن أن نلعب في شاو-بيز Show-biz، في عالم الأعمال أو حتى الحياة السياسية. استخلصت منها أن «تناذر برنار-هنري ليفي» لا يمكنه أن يوجد في الرياضة حيث نقص المهارة لا يمكن أن يعوض بالشبكة الاجتماعية. دلائل العمل كانت مصححة وقد ذهبت في عطلة فيفري بنفس مطمئنة. بالكاد وصلت إلى مكان اصطيافي، توصلت برسالة من الناشرة إيزابيل سيجان Isabelle Seguin، تقول لي أن هناك مشكل قانوني وأنها أجبرت على حذف المقطع الخاص ببرنار-هنري ليفي. أجبتها أني أشك بأنهم يخاطرون برفع دعوى ضدنا لأنها ستكون إشهارا للكتاب. بالإضافة إلى ذلك، إني أتحمل كلامي وذكرتها انه في حالة رفع دعوى، أن شرط العقد العادي يسمح للناشر أن ينقلب ضد الكاتب. لا شيء قد حدث. إيزابيل سيجين حذفت المقطع قبل إرسال الكتاب إلى المطبعة، منتهزة وجودي بعيدا آلاف الكيلومترات. هذا الكتاب كتب زيادة على ذلك مع ولباب ديوف، لم أشأ منع صدوره لهذا السبب. إيزابيل سيجين لا تعرف برنار-هنري ليفي شخصيا. لكن الخوف من الاصطدام وتجعل نفسها هكذا في خطر في عالم النشر كان محددا أساسيا في قرارها . . . برنار -هنري ليفي لم يتخلى، الرقابة الذاتية كانت فعالة جدا. في مجتمع أصبحت الشجاعة فيه استثناء والنذالة هي المعيار، إنه من السهل على برنار-هنري ليفي أن يفرض استبداده الثقافي.

في الفترة الحديثة، لا أحد كان بإمكانه، في رأيي، أن يخدم بهذا القدر الحياة الثقافية والنقاش الديمقراطي مثل برنار-هنري ليفي. بالنسبة إلي، إنه نوعا ما بنعلي العالم الإعلامي. يتملق أحيانا بصدق، غالبا بدناءة للذين هم في السلطة، إنه مرفوض بقوة من قبل الرأي العام، ويحاول إسكات الذين يعارضونه.

نجم كل وسائل الإعلام

إنه منذ 1993، رئيس مجلس مراقبة قناة آرتي. ومساهم في جريدة ليبرسيون. له افتتاحية مفتوحة في لوموند، الذي دخل مجلس مراقبتها. يشرف على دفتر للملاحظات في جريدة الموقف.Le point يقوم بموضوع رعاية قريب من جريدة ماريان Marianne، التي مع ذلك لا يحبه قراؤها البتة وحيث أن موريس سفران Maurice Szafran، المدير، وصل إلى حد إلغاء تذكرة لمؤسس الجريدة جون فرنسوا كاهن Jean-François Kahn، الناقد المغالي في نظر برنار-هنري ليفي. (بقلم المحافظ الجديد أليكسي لاكروا Alexis Lacroix، هذه الأسبوعية قد نشرت ملفا حول المثقفين الذين لهم مبدأ أن برنار-هنري ليفي هو المعروف أكثر [ميزة غريبة] ويمرر بصمت كل الانتقادات التي وجهت إليه.) ربما أن الهدف من هذا الملف هو نسيان قضية بوتول؟

يجعل نفسه يحاوَرُ متى شاء في لوباريزيان Le parisien ولوجورنال دو ديمانش Le Journal du dimanche، مولع بها. ولا أي جريدة تتجرأ على رفض ورقة يكون قد تفضل بإرسالها، مهما كانت التحفظات التي يمكن تقديمها لمصداقيته. محطات الراديو، بالتحديد أوروبا 1، فرنس انتيرن وفرنس كولتور، والتلفزيونات بلغت ما كانت تريده. إنه تقريبا دائم ب «لوجران جورنال» Grand Journal لكنال بلوس. صحيح أنه صديق مقرب جدا من جون لوك وآرنو لاجاردير وفرنسوا بينو الذين يراقبون جزء مهما من الصحافة. هذه الاتصالات المتعددة، ضخامة شبكته، لا تعمل إلا على عدم الاحترام، في الحقيقة، هذا راجع إلى القراء الذين تأخذهم ورقة حيث تنشر

الأكاذيب، والخوف من استعداء شخصية قوية بالإضافة إلى أنها حقودة بدون تكليف، لكن بمعرفة رد الرقابة، يقع الاختيار بسرعة.

برنار-هنري ليفي يعرف تثقيف شبكته. في الرأي العام، يمكن أن يكون رفيقا ممتعا. بعض الصحفيين اغتروا برؤية أنفسهم يعاملون باحترام من قبل شخصية مهمة جدا. دعوة إلى باريس أو أحسن إلى مراكش، دفعة لنشر كتاب، تفويض بحصة على آرتي، تقديم تقرير مدحي في لوبوان، مساعدة في التفاوض مع مستثمر، إلخ. تسمح باتخاذ «أصدقاء».

في حين أن لوباريزيان ليبيري Le Parisien libéré قد نشرت منذ ثلاث سنوات مقالا حول سلسلة ثلاثة كتب نقدية في حق برنار-هنري ليفي، هذا الأخير اتصل بمدير التحرير، دومينيك مونتفالون Dominique Montvalon، ليشتكي من المصير الذي آل إليه، ويطلب التصحيح. لم يعد جمهور لوباريزيان مسبقا في حاجة إلى برنار-هنري ليفي، لكن هذا الأخير يعرف أن الأمر يتعلق بجمهور مهم وجذاب. من جانبه، مونتفالونن على رأس جريدة تعتبر شعبية، قد أعجب بنفسه أن وجها كبيرا من الإنتيلجينسيا الفرنسية يتحمل مشقة الاتصال به ويتباحث معه شخصيا. من بعد، برنار-هنري ليفي كان له الحق في العديد من الحوارات في لوبريزيان سيعامل بطريقة جدية في أعمدته.

علاوة عن ذلك وعكس بعض شركائه الإيديولوجيين، أمثال فيليب فال، آلان فينكيلكروت وأضرابهم، برنار-هنري ليفي فهم أهمية الإنترنيت. سوف لن يتجاهل هذا العنصر القوي. عوض أن يحتج عليه بغضب، كانت له الفطنة في فهم أنه لا يمكن الذهاب عكس مثل هذا التيار وأنه من المستحسن محاولة الاستفادة منه أو على الأقل حصر خسائره الطاقوية. على الإنترنيت، تلعب فعالية سياسة التعليم العالي أقل بالنسبة إلى وسائل الإعلام التقليدية.

بعد فشل كتابه أعداء الجمهور، برنار-هنري ليفي اعتقد أن الاستقبال التقليدي المدحي الذي حظي به كتابه من النقد الإعلامي قد كسر من قبل المدونات، بالأحرى الساخرة منها. استخلص منها إنه إذا أعلنا الحرب عن

الإنترنيت، فإننا ميتين. لا يجب مهاجمة مثل هذا النظام، بل جعله في صفك. إذن سيضع «Bernerd-Henri Lévy.com»، سيقوي الموقع بمجلته السرية لاريجل دو جو .La Règle du jeu صحيح أن له الوسائل لدفع ثمن موقع إنترنيت لانتصاره. سيكلف فريقا صغيرا لتتبع ما يقال عنه وتزويد الإنترنيت بالتعاليق الإيجابية.

في 01 ديسمبر 2010، برنار-هنري ليفي أقام حفل استقبال بفلور Flore ليحتفل بعشرينية مجلته لاريجل دو جو. كما هو مكتوب على موقع المجلة، «السؤال الحقيقي الذي يُطرح في هذه اللحظة هو: من هو مدير الصحافة الذي ينقص؟». بقراءة التقرير، لقد كانوا كلهم هنا وكتاب الافتتاحيات الأساسيين أيضا، المثقفون المرموقون دون أن ننسى المسؤولين السياسيين من الطراز الأول.

لقد كان هناك هواة سباق ثيران سيد الأمكنة. وحلفاؤه المدانين له بكل أو جزء من مسارهم المهني يتمنون أيضا هامشا من الاحتجاجات، أناس «من بينهم» سعداء بكل بساطة وهكذا يمكنهم تذكر قانونهم الاجتماعي الخاص، بعض الحذرين يعتقدون أنه من الأفضل أن لا يرفض شيء لبرنار-هنري ليفي وبلا شك بعض المخبولين المفيدين، اقتنعوا بأنه مدافع عالمي عن حقوق الإنسان. يمكننا تصور أن أغلبهم لم يفتحوا أبدا المجلة التي احتفوا بعيد ميلادها.

ما يزعج في هذا إجماع هذا الحفل أنه رأى «العديد من ممثلي النخبة يحتفلون» -حسب صيغة أليكسي لاكروا Alexis Lacroix على مريان2 Marianne-هذا ما يعنيه بمصطلحات أخلاقية المهنة. لا أحد اليوم، من الذين هم مزودون بالأخبار أكثر من اللزوم والذي يسارع إلى لوفلور، يمكنه أن يتجاهل العلاقة الأقل ليونة التي يقيمها برنار-هنري ليفي مع الحقيقة. في أغلب محاضراته، لم يهتم بها أبدا. مقاربا، تصريحات، أكاذيب، تناقضات، مانوية وانتقائية السخط هي علامة من صنعه. أن يقوم الصحفيون الذين مهمتهم هي تزويد الجمهور بالأخبار بطريقة نزيهة، بالطريقة نفسها التي تشكل مصدرا أساسيا للتساؤلات. هل يجب أن نستخلص من هذا أن

العديد من التزويرات التي اعتز بها برنار-هنري ليفي ليس لها أي وقع على العلاقات الجيدة التي يربطونها معه؟ لكن أين هو احترام الجمهور؟ ماذا سيفعلون غدا إذا اقترف برنار-هنري ليفي كذبة جديدة، إذا اقتحم مسرحية جديدة حيث حقيقة الوقائع ليست محترمة؟ هل سينددون به احتراما للجمهور -هذا ما امتنعوا عن القيام به مئات المرات-؟ هل سيسكتون -هذا ما قاموا به غالبا- حتى لا يغضبون صديقهم؟ هل سيقفون سدا مانعا في التحرير في وجه الذين يريدون إقامة حقيقة مزعجة؟

ملك التزوير

صديق ملاك أغلب أكبر علامات الترف، برنار-هنري ليفي مع ذلك هو نصير محرر من التزوير. في كتابه "من الحرب إلى الفلسفة" كتب في صفحة 124: «أنا من أولئك -لكن واضحين- الذين لا يشكون في أن بحث الحقيقة يدوم، اليوم مثل أمس، المهمة الأكثر أهمية للفلسفة. أنا من الذين، كي أكون أكثر وضوحا أيضا، يواصلون الاعتقاد أن فيلسوفا يقيم حداد الحقيقة لسبب أو لآخر، سيفقد الشرف والكرامة». بالنسبة إلى شخص كان دائما مشبوكا بعلاقته المطاطية مع الحقيقة، هذا يساوي وزنه. لانص أرمسترانغ Lance Armstrong صرح مثبتا أنه حارب لإثارة الاصطناعية حياته كلها؛ مادوف Madoff، مؤثر احترام للشفافية المالية؛ بن لادن، دافع عن تحالف الحضارات أو بينوا Benoît XVI الذي كان مداحا رسميا للفجور سيكونون جميعا جديرين بالتصديق. تحية أيها الفنان! هذا التصريح لبرنار-هنري ليفي لم يثر سيل السخرية التي كانت هي الجواب الوحيد الممكن. بالنسبة إلى بيير نورا Pierre Nora، إنه: «كاتب بالنسبة إليه السخرية من الوقائع جوهرية لضرورة توضيحه.[55]»

خداعه الأول هو بالتأكيد إرادته أن يكون فيلسوفا وأن يكون حاضرا بتلك الصفة. أكيد انه تلقى دروسا في الفلسفة، لكنه لم يدرسها أبدا،

---

(55) Cité, par Daniel Salvatore Schiffer, critique de la déraison pure, bourin éditeur; 2010, p 115.

والفلسفة ليست هي ما يسمح له بالعيش. ليس له بحكم أنه وريث وريعي للوقت ليشغل وقتا إعلاميا مهما. لم يكن عليه أن ينشغل بكفافه وأنه لم يعمل ليربح حياته، هذا ما يناسبه ليربح وقتا ومعتبرا... لم يتجاوز العشرين أعطاه والده الوسائل لينشئ يومية تسمى لامبريفو L'imprévu التي لم تدم إلا لبعض الأيام وهو ما كان متوقعا.

هذه الثروة التي ستسمح له بتكوين شبكة. يمكنه أن يتكلم من موقع في مستوى الأرباب الكبار وهذا شيء نادر لدى المثقفين. حتى أنه كان في تصاعد بالنسبة إليهم لأنه إذا كانت الثروة تجمعهم، فإن ميزته كفيلسوف تميزه. برنار-هنري ليفي سيكون له بالطبع هجوم ضد معاداة السامية في التلميح إلى ثروته-لكنه على كل حال، يتهم بمعاداة السامية كل من ينتقده. القضية ليست اتهامه بها، فقط، ليذكر أنه لعب دورا واضحا في مؤسسة هيأته الثقافية، بقدر، بل أكثر من «عمله».

بالطبع، إنه لأكثر نبلا أن نقدم أنفسنا فلاسفة من ريعيين. برنار-هنري فيلسوف كما لو أن ساركوزي أو مارتين أوبري يقدمان نفسيهما كطالبين. صحيح أن هذا كان في لحظة من حياتهما، لكن الأمر لم يعد كذلك منذ زمن بعيد.

في كل البلدان الأخرى غير فرنسا، برنار-هنري ليفي سيكون سخرية بما فيه الكفاية لدرجة أن لا يكون له أي ظهور إعلامي إطلاقا. إنه رمز خيانة رجال الدين، لا يبحث عن تنوير الجمهور، بل ليكون فقط في الواجهة بطريقة سريعة جدا ونرجسية وممارسة الكذب كفن ثامن. من المفروض أن تشوه قضية بوتول سمعته. بعيدا تكون آخر مسمار في نعش مصداقيته، لقد استعملها ليكون ضحية. لنذر بالوقائع: صحفي لونوفيل أوبسرفاتور، أود لانصولان Aude lancelan، أول من تطرق للمسألة في مقال في NouvelObservateur.com في 09 فيفري 2010، تحت عنوان «برنار-هنري ليفي متلبسا». ليس من المؤكد أن هذا النوع من المقالات يمكن له أن يجد مكانه في الجريدة الورقية، لكنه ينتشر في الإنترنيت ويثير العديد من ردود الفعل الساخر التي يمكن أن تنتبه إليها الصحافة المكتوبة. بعد فشل كتابه

"أعداء الجماهير"، برنار-هنري ليفي أراد أن يستعيد حياته الثقافية. أراد نشر كتابين في وقت واحد، أحدهما سيكون مجموعة لنصوصه المختلفة، مداخلات ومحاضرات، والآخر كتيب متين معنون "من الحرب إلى الفلسفة". فورا، بدأ سلاح المدفعية الضخم للترقية كما كان متوقعا. ليكسبريس، باري ماتش، ماريان إلخ. هذا الكتاب يقول أود لانصولان، «كان بإمكانه أن يسجل العودة الكبيرة لبرنار-هنري ليفي على المشهد المفاهيمي التي يقال عنها جدية، مرافعته الحميمية أمام طائفة فلسفية التي كان دائما يستهزئ بها، من دولوز إلى بورديو مرورا بكاستورياديس». لكن برنار-هنري ليفي هاجم كانط: «إن هذا المجنون الغاضب من الفكر المسعور من المفهوم» (ص 122)، يستل السلاح الفتاك ويذكر الأبحاث حول كانط لأحد يسمى جون بابتيست بوتول Jean-Baptiste Botul، الذي بحسبه، أزهر بما لا يدع مجالا للشك خلال الحرب العالمية الثانية في سلسلة من المحاضرات للكانطيين الجدد بالبراغواي أن بطلهم تجريدي مزيف، عقل محض لشفافية محضة. مشكل كبير، بوتول الذي هو موضوع تساؤل هو خدعة ابتكرها فرديريك باجيس، صحفي بكنار أونشيني الذي نشر بهذا الاسم المستعار الحياة الجنسية لإمانويل كانط المستبعدة. أي طالب للفلسفة في السنة الأولى فلسفة يعرف أن الفيلسوف الألماني قد وصل إلى الأجيال القادمة أعزبا. البوتول ذاته قد نشر لابدرو فاتح طريق الأنثوية الذي من المفروض أن يثير حفيظة برنار-هنري ليفي الذي له تقاليده بجريدو إيل Elle. كما يقول ذلك صحفي نوفيل أوبسرفاتور: «إنه نوعا ما كما لو أن ميشال فوكو قد ارتكز على أعمال فرديناند راينو Ferdinand Raynaud في درسه الافتتاحي بكوليج دوفرنس». لقد اكتظت مدونات ومواقع الإنترنيت بالقهقهات بخصوص هذه الضخامة لبرنار-هنري ليفي، انتهزت الصحافة الأجنبية الفرصة لتأنيب فراغ وغطرسة فرنسا، لكن اجتمعت بسرعة كبيرة رابطة الدفاع عن برنار-هنري ليفي لتدافع عنه. إن خطأ ماديا صغيرا لا يجب أن يترك تضخيم عمل كاتب يمر. مختلف الصحفيين وحتى صيلوجين رويال Sélogène Royal، اتخذوا برهنة يظهر إنها مستنزفة من المصادر الجيدة. هذه المصادر ذاتها، أي أن برنار-هنري ليفي ذاته، قد حاورته المرحة فاليري

طورانيان Valerie toranian بمجلة إيل، أطلق غضبه (19 فيفري 2010): «لقد نجح الخداع والخداعون نجحوا في دائما في جعلي أضحوكة. هذا يعني في العمق، أليس للناس نقاشا أكثر أهمية ليعالجوه لأنه حين يكون كتاباً جيداً، هل المهم معرفة ما إذا كان الكاتب قد اختار أن يسمى باجيس، بوتول أو تارتامبيون؟ لنتوقف. هذا السيد لقد جعل لنفسه إشهارا على حسابي». رائع! يغطس يده في العسل ويدعي أنه ضحية! مثل هذه الضفيرة لها القوة! أي سذج هؤلاء الذين تنبؤوا أن هذا قد انتهى من الظهور الإعلامي لبرنا-هنري ليفي. كانت هذه هي الحالة في الولايات المتحدة أو في أغلب الدول الغربية! لكن بقية الأحداث قد أثبتت ما كان ممكنا توقعه منذ البداية: قضية بوتول مثل سابقاتها لم تغير شيئا من وضعه. منذ 1985، في كتابهما المثقفون الانتهازيون هيرفي آمون Hervé hamon وباتريس روتمان Patrice Rotman قد قاما بهذا التشخيص: «بصفته كاتبا ليفي يبيع، بصفته "مفكرا"يكتوي" لكن هذا قصة أخرى[56]».

أحد أكبر نجاحاته المكتبية هو الكتاب الذي كرسه للصحفي الأمريكي دانيال بيرل Daniel، اغتيل بباكستان، الذي يقدمه بصفة «روائيا باحثا». الصحافة أجمعت تقريبا على مباركة الكتاب والمفهوم. لكن رواية بحث ليست تحريا. برنار-هنري ليفي ينظر علنا لإمكانية الانفلات من الحقيقة. دون أن يستطيع جعل دانيال بيرل، كما فعل مع مسعود صديقا لمدة طويلة، عائلة الصحفي الشهيد هي هنا للتكذيب، وقد حاول الاقتراب من هذه الأخيرة. أرملة دانيال، ماريان بيرل، في رسالة إلكترونية بعث في 25 جوان 2005 إلى نيكوى بو حين كان بصدد إعداد كتاب عن برنار-هنري ليفي، قدمه على أنه «رجل أناه تدمر العقل». سمع هذا الكلام جيدا لكن الصحافة الفرنسية قليلا ما تناقلته!

---

(56) Les intellocrates, Ramsay, Poche Complexe, 1985, p. 148. Ce n'est vrai aujourd'hui, 3500.

نسخة من كتابه حول «La philosophie comme arme de combat»، إنه قليل جدا، خاصة بالمقارنة مع القصف الإعلامي.

أطروحة برنار-هنري ليفي في كتابه حول دانيال بيرل هي أن هذا الأخير يكون قد اكتشف كيف أن القاعدة كانت تبحث عن امتلاك السلاح النووي بتواطؤ مع باكستان. هذا الطرح رفض من قبل أرمتله مثلما رفضها أب دانيال بيرل. الأرملة صرحت: «التلاعب بهذا النوع من الحالات شيء خطير، هناك تدخلات كثيرة». أما الأب قال: «خلاصته الأساسية خاطئة، فكرة أن دانييل قد قتل لأنه كان يعرف الكثير لا تتماشى مع الوقائع[57]!» قال برنار-هنري ليفي آنذاك أنه مهدد من قبل جماعة إرهابية أو المخابرات الباكستانية، وقد حصل على حماية من الشرطة من ماي إلى سبتمبر 2003. بسرعة كبيرة اكتشفت الشرطة أنه لا يرفقها إلا في خرجاته العلنية، يتباهى أكثر من أن يحمى من تهديد بقي جد غامض. تلقت الشرطة من مسؤوليها رفع الحماية التي كان ينتشي بها بأقصى سرعة. في كتابه حول دانيال بيرل، اعترف أنه قد انتحل صفة ممثل رئيس الجمهورية بتزويره وثائق رسمية ضبطت خلال مهمته إلى أفغانستان. طرح الصحفي ريشار لابيفيير سؤالان خلال ندوة صحفية لوزير الشؤون الخارجية الفرنسي: «كيف أن مراسلا مهما يمكنه أن يمتلك جواز سفر ديبلوماسي مزور، هل هذا العمل لا يضع أمن ومصداقية الديبلوماسيين الرسميين الذين دعوا لمهام حساسة في خطر؟» لم يكن هناك من جواب[58].

يتبجح برنار-هنري ليفي على أنه قريب لمسعود، بطل المقاومة الأفغانية. بقي معسكرا في الحدود الأفغانية على بعد كيلومترات من المنطقة التي كان بها مسعود في 1981، وحين التقى به بالفعل في 1998، كان ذلك من أجل حوار لمدة ساعة أو ساعتين على الأكثر[59]، هذا لم يمنعه من ادعاء أنه فهم منذ 1981 بأن القائد كان يجسد الإسلام المعتدل.

قيل قبل الانتخابات الرئاسية في 2007، سيقوم برحلة اكتشافية إلى

(57) Nicolas Beau, Olivier Toscer, op. cit. p. 269.

(58) Bruno Jeanmart, Richard labévière, Bernard-Henri Lévy ou La règle du Je, Le Temps des Cerises, 2007, p. 103-104.

(59) Philippe Cohen, op., p. 119.

دارفور، ممولة من قبل المنظمة غير الحكومية الأمريكية ONG «حفظ دارفور» وقد تكفل به ثوار جيش تحرير السودان، أي أحد أبطال الصراع. يذهب ضد كل البديهيات، يقدم الصراع على أنه صدام بين الإسلام الراديكالي للأنظمة العربية، والإسلام المعتدل للثوار والأفارقة[60].

في 1985، أمضى عارضة لصالح «كونتراس» نيكاراغوا، مرتكبو مجازر كبيرة ومساندين من قبل م.ع.أ CIA الأمريكية وإدارة ريغان.

في 2002، جاك شيراك وليونيل جوسبان كلفاه بمهمة بأفغانستان ليساهم في إعادة البناء الثقافي للبلد، شيء باسم قربه المزعوم والمغلوط مع مسعود. المنظمات غير الحكومية التي كانت تعمل بالفعل في الميدان والتي كانت تتعرض لمخاطر حقيقية كانت تثير اشمئزازه. في 2008، نشر شهادة كبيرة في لوموند، بعد إقامة لبضعة أيام بجورجيا، إبان الحرب التي فرضتها على روسيا في شهر أوت. لكنه في مقال لرو[61] Rue، شهادات العديد من الأشخاص الذين كانوا في عين المكان تظهر أن برنار-هنري ليفي قد اختلق جزء من الوقائع التي عرضها في مقاله بالتحديد أنه ذهب إلى مدينة جوري Gori.

فرنسافوبيا

الجمهورية بنت لطيفة. برنار-هنري ليفي، بثباته المعروف في العديد من المرات، قد قدم انتقادات لاذعة لفرنسا. هذه الانتقادات تجاوزت التصرف الوحيد للحكومات إلى مهاجمة البلد ذاته. هو الذي يندد بمعاداة سامية تخيلية بمجرد التشكيك في مزايا قمع الفلسطينيين، يبلور نقدا جوهريا لفرنسا بما هي عليه. هذا لا يمنعه من استعمال وسائل الجمهورية ليكون له مشهدا ثقافيا، ومكانة لن تكون له في أي بلد آخر، سواء تعلق الأمر بشغل مواقف تابعة للدولة

(60) Sur l'affaire du Darfour, cf; carnages, op. cit.

(61) 22 aout 2008, BHL n'a pas vu toutes ces chose en Géorgie, Julien Martin, Pascal Riche, David Servenay.

في الإيديولوجية الفرنسية، ظهر عند جراسي Grasset في 1981، يدين فيه فرنسا كمخبر للفاشية الأوروبية. أجابه ريمون آرون في الإسكبريس ل7 فيفري 1981: «برنار-هنري ليفي يخترق كل قواعد التأويل النزيهة والمناهج التاريخية». في لوبوان ل26 فيفري 1981، روني ريمون كتب: «برنار-هنري ليفي يعمل مثل النواب العامين السوفيات».

يدفع ريمون آرون بنقده بعيدا أكثر: «عدد من اليهود بفرنسا يشعرون من جديد أنهم مسكونون بمعاداة السامية وككائنات مصدومة، يضخمون برد فعلهم الخطر الوهمي تقريبا، الذي يواجهونه. ماذا يقول لهم هذا الكتاب؟ أن الخطر في كل مكان، أن الإيديولوجية الفرنسية تحكم عليهم بحرب وهمية في كل لحظة مع عدو قائم في اللاشعور ملايين مواطنيهم. فهم فرنسيون غير يهود أن اليهود مختلفون أكثر من الفرنسيين الآخرين بدرجة لا يتصورونها ما دام كاتب يهتف بالمنظمات اليهودية يظهر أنه غير قادر على فهم قدر من تعابير الفكر الفرنسي على درجة نفيها من فرنسا... بهستيريته، سيغذي هستيرية جزء من المجتمع اليهودي الذي هو في هذيان من قبل[62]».

في 2003، برنار-هنري ليفي ألقى محاضرة بالجامعة العبرية بالقدس أمام أكثر من ألف شخص. كان حاضرا في القاعة نائبين فرنسيين، رونو دونديو دوفابر Renaud Donnedieu de Vabres وجي لوجاني، خلال هذه المحاضرة حول موضوع كتابه "من قتل دانيال بيرل؟" تعرض بعنف لفرنسا ومعاداة السامية. قام أحد هذين النائبين ليحتج ضد مواضيع المسيئة والمفرطة، منعه الآخر قائلا له بأن القاعة ستنقلب عليه. سيهاجمني أيضا مثيرا «كتابا فاضحا، ومخجلا»، يتعلق الأمر ب"هل يسمح بانتقاد إسرائيل؟.

يسجل فيليب كون التناقض الصارخ بين ارتباطه اللا مشروط، كما يكتب هو ذاته، بإسرائيل، وعولمة الفعل الوطني المتعدد الحضور في عمله. «يعمل على إبراز ومساندة الدولة العبرية، بالإضافة إلى ذلك أنه شرعي تماما، الاشتباه، الطرد المطالب به من جانب فرنسا، الذي يتصادف مع

(62) L'Expression, 7 février 1981.

بروز فرانكوفوبيا خبيثة اتجاه الأمريكيين والإسرائيليين[63]».

نكتفي هنا بملاحظتين. هم ذاتهم الذين يتشدقون للاحتجاج ضد لاعبي المنتخب الوطني لكرة القدم والذين لا يرددون النشيد الوطني، ولا يحترمون البلد، فهم بكم أمام الهجمات التي تتعرض لها فرنسا من قبل برنار-هنري ليفي.

هم ذاتهم الذين يعتقدون أن الجمهورية في خطر إذا أرادت امرأة وضع الحجاب الإسلامي، يرون فيه اختبارا ضد مؤسساتنا، إنهم أيضا بكم أمام فرانكوفوبيا برنار-هنري ليفي. مع ذلك من له الوسائل أكثر ليضغط.

معاداة السامية

برنار-هنري ليفي مهووس بمعاداة السامية التي يراها في كل مكان ويندد بكل الدعوات. لتصديقه نحن في الثلاثينيات. سيكون من المهم عد كم من مرة يتكرر المصطلح في أعمدته. إن التنديد بمعاداة السامية تلح له بطريقة غير مباشرة حافز إقصاء أو ردع إزاء أولئك الذين لهم الجرأة أن يكون في خلاف معه. برنار-هنري ليفي يهودي، إذن الذين ليسوا متفقين معه لا يحبون اليهود. وهذا هو المطلوب.

أستاذة بعثت بمخطوط إلى منشورات جراسي لم ينشر حيث وجدت عدة مقاطع في كتاب "Le diable en tete"، اتهمته بالسرقة. الجواب جاء على الفور عن طريق محاميه السيد تييري ليفي Thierry Lévy: الدعوة رفعت بضغط من الجماعات المعادية للسامية[64]. كما يوضح ذلك فيليب كوهن، الاتهام بمعاداة السامية يظهر أنه أصبح وسيلة دفاع نظامية. طلب من ملحق صحافة منشورات جراسي الذي بكثير من الحيطة، أن لا رجلا أثر أكثر من اللازم في تقديم روايته، برنار-هنري ليفي يقول: «وإذا قلت أنتم معادون للسامية؟»

---

(63) op. cit;, p. 400.

(64) Philippe cohen, op. cit., p. 291.

لطلب عدم تجديد اتفاقية فريدريك طادي، لامه على أنه يعطي المصداقية لفكرة تواطؤ يهودي يمنع ديودوني بأن يكون مدعوا. أو بالضبط، أن فريدريك طادي وضح أنه يدعو ديودوني حتى لا يستطيع تقديم نفسه على أنه ضحية. أجاب فريدريك طادي: «يعتقد أنهم يحلمون! لم يكن هناك تواطؤ يهودي على الإطلاق في الحوار. برنار-هنري ليفي يتحدث وحده وطلب مني تكذيب المواضيع التي هو ذاته قد تبناها».

في 10 أكتوبر 2007 على فرنس كولتور، أوليفيي دوهاميل Olivier Duhamel قلق: «في هذه الهجمات ضدكم، أو في هذه الانتقادات ضدكم، هل تعتقدون أن هناك بعدا لمعاداة السامية؟»

مثبتا طرد سيني من شارلي إيبدو، كتب: «وراء هذه الكلمات، أذن فرنسية لا يمكنها أن لا تسمع صدى معاداة السامية الأكثر نتانة». وسيذهب زيادة على ذلك ليشهد في قضية هذا الأخير. سيني سيبرأ[65].

إبان قضية بوتول حيث حط من قيمة برنار-هنري ليفي ثانية -ومرة أخرى بلا سبب حول عرض إعلامي-، استعملت الحجة من جديد. في مقالين يظهر أنهما مرهقان لأفضل المصادر، الإكسبريس[66] «اندسكريت Indiscrèts» ولوموند[67] «ب.ه.ل. ضد برنار-هنري ليفي»، أثار الصحافيون سيلا من التعليقات حول هذه القضية يشرحون أنه كان على موقع ليبراسيون إغلاق تجمعه بسبب المواضيع السيئة والمعادية للسامية التي كانت تتضاعف. أن يكون هذا النوع من التعليقات شيء أكيد. هناك تجاوزات بمجرد إثارة الشرق الأوسط أو المشاكل المجتمعية بفرنسا. لكن الفكرة الكامنة هنا هي تفسير بمعاداة السامية الوحيدة الهجمات ضد برنار-هنري ليفي. صبرا، وسيشرح لنا بأن بوتول معادي للسامية!

لوران ديسبو Laurant Dispot، في عدد عيد الميلاد بلاريجل دوجو،

---

(65) Le Monde, 22 juillet 2008.

(66) 18 février 2010, p. 30.

(67) «BHL contre Bernard-Henri Lévy», 16 février 2010.

يتحدث عن برنار-هنري ليفي-فوبي، الذي يحركه المفهوم القديم «فرنسا اليهودية» لإدوارد جريمون .Edouard Drument «ليفي إنك تكذب لكن على طريقة التجنب». في لوموند عدد 5-6 ديسمبر 2010، كتب نيكولا تروونج Nicolas Truong : «أن كل نقد لمدير لاريجل دوجو سيحول إلى معاداة للسامية خلفية فهي إجراء ينبع من التكميم الثقافي، بل الإساءة إلى التاريخ والذاكرة». تعليق شجاع من جانبه في الوقت الذي دخل فيه برنار-هنري ليفي إلى مجلس مراقبة لوموند.

إسرائيل

بالتأكيد أن برنار-هنري ليفي يخون مبادئه المعروفة بالعالمية إزاء إسرائيل. كان يريد لنفسه أن يكون مدافعا لا مشروطا عن سياسة مختلف الحكومات الإسرائيلية، بإيجاد كل الأعذار لها باسم مقاومة الإرهاب

والمفترض الإسلام الفاشي، باتهام ببساطة بمعاداة السامية أولئك الذين لهم قرينة انتقاد الحكومات الإسرائيلية.

لأنه بالنسبة إلى برنا-هنري ليفي، السبب مفهوم. انتقاد الحكومة الإسرائيلية، هو إثبات لمعاداة الصهيونية التي هي ذاته قناع معاصر لمعاداة السامية. مثل هذا الخلط الإيديولوجي يساوي صفر نقطة لطالب في السنة الأولى في العلوم السياسية. لكن عند برنا-هنري ليفي، الخلط ليس نتيجة لخطأ بل لاختيار إيديولوجي من أجل جعل الذين باسم حق الشعوب في تقرير مصيرها، أن يظهروا بكيفية غير ملائمة نقادا إزاء حكومة إسرائيلية. إن انتقاد سياسة حكومة لا يعود بالضرورة إلى معارضة وجود هذه الدولة التي يديرها. بهذا المعنى، انتقاد حرب لبنان أو حرب غزة لا يعني نفي وجود دولة إسرائيل، أو درجة الخلط عند برنار-هنري ليفي. هناك إسرائيليون بالتأكيد أقلية، وطنيتهم أو ارتباطهم بالصهيونية لا تنكر، الذين انتقدوا بقوة هاتين الحربين باسم حتى الصهاينة المثاليين. بالإضافة إلى أن معاداة الصهيونية لا يمكن أن تختزل إلى معاداة السامية. إذا كان من غير الممكن إنكار أن هناك أشخاص يحركهم هذا الحقد، تشبيه أحداهما بالآخر هو أكثر

من اختزال. هناك يهود، إما لأنهم متدينين جدا (تقليد بودل)، إما لأنهم متدينون كثيرا (باسم التوراة)، يعتقدون أن اليهود لا يجب أن تكون لهم دولة.

هناك منطق عميق في هذه الاتهامات الثابتة لمعاداة السامية أو معادة الصهيونية إزاء الذين ينتقدون السياسة الإسرائيلية. برنار-هنري ليفي يريد أن يلعب على الضمير العالمي أن ليس له أي ملجإ آخر سوى نعت أولئك الذين ينددون بتناقضاته بالمعادين للسامية. إنه من الحكمة تماما الانتباه إلى المساس بالذين لهم مواقف مهمة، ونحن نقاداً لإسرائيل. لا جاك شيراك، لا جون دنيال ولا أوبير فردين قد سبوا بهذه الطريقة. فقط الذين يخالهم برنار-هنري ليفي بلا أهمية لشبكته أو الذين هم غير حساسين لسلطة جاذبيته.

برنار-هنري ليفي يتقول بالسلم في الشرق الأوسط، لكن لا علاقة له مع مختلف المنظمات غير الحكومية للدفاع عن حقوق الإنسان أو حركة السلام الموجودة بإسرائيل، وطبعا أقل مع المنظمات غير الحكومية الفلسطينية. إن هذا الموقف في صالح السلم هو أفلاطوني محض.

في لوبوان 18 نوفمبر 2004، يلوم عرفات عدم تسويته لصراع الشرق الأوسط: «حين جاء وقت المرور إلى الفعل والتوقيع، قال بأن هذا غير كاف ويجب ليس 95%، بل 100% من الأراضي [...] إذن، فهو مرة أخرى لم ينتهز الفرصة التي منحت له ليساهم في تحرير شعبه ويدخل إلى التاريخ إلى الأبد». في 26 فيفري 2004، يستعيد تقريبا حجج إسرائيلية كلمة كلمة من أجل الجدار الذي يقدمه «حزام مؤقت، قابل للتفكيك، وجزء منه، في الوقت الذي أكتب فيه، بصدد التفكيك. لماذا مرة أخرى، يضيف، لا يسمع إلا أحد الطرفين ويشحن بلا عقل نقدي خطاب دعايته؟». لوم من المفروض أن يوجهه لنفسه.

في لوبوان 20 جويلية 2006، سيذهب مرة أخرى ليبين عن تواضع مصرحا أنه ليس خبيرا كبيرا في الشؤون العسكرية. سيبرر على الأقل الانتقام الإسرائيلي من لبنان ويستنتج أن غير مناسب بالنسبة إلى قدر حزب الله.

عملية «الرصاص المميع» للجيش الإسرائيلي على غزة الذي أدى إلى أكثر من 1350 قتيلا من المدنين منهم 400 طفل، قدم وبرر من قبل برنار-

هنري ليفي كتحرير الفلسطينيين من حماس. مرة أخرى يتظاهر بالتواضع: «بما أني لست خبيرا عسكريا، سأمتنع عن إصدار حكم بخصوص القصف الإسرائيلي على غزة ما إذا كان قد حقق أهدافه بأقل حدة». بحسبه، «الفلسطينيون يقصفون المدن، بمعنى آخر يقصفون المدنيين، وهذا في القانون الدولي يسمى جريمة حرب. الإسرائيليون يستهدفون الأهداف العسكرية ويرتكبون دون قصد خسائر مدنية مرعبة، هذا يحمل اسم: الأضرار الجانبية[68]».

يندد «بالإسلام الفاشي» أو، طبعا، «بالفاشية الإسلامية». متوجها إلى اليسار طالبا منه التوقف عن الحديث عن إسرائيل وفلسطين. لكن يمكنهم الحديث بالأحرى عن دارفور والشيشان. أليس هذا بالضبط اعتراف ضمني لتقديمه للوضعية في هذه الصراعات ليست سوى لشغل وظيفة مكان الصراع الإسرائيلي الفلسطيني؟

في هذه الهيأة المقلوبة، يصف «مستقبلا تقدميا لمعاداة السامية» (معاداة السامية الجديدة ستكون تقدمية أو لن تكون).

هناك بالتأكيد معاداة السامية لليسار. لقد وصفت بدقة في أحسن التقاليد الجامعية من قبل ميشال دريفوس[69]. لكن برنا-هنري ليفي له شيء آخر في الرأس، ما يستهدف هم مناضلو اليسار الذين باسم حق الشعوب في تقرير مصيرها، يندون بالاحتلال الإسرائيلي للأراضي (والشعب) الفلسطيني.

في 7 جوان 2010، برنار-هنري ليفي نشر في ليبراسيون مقالا بعنوان «لماذا أدافع عن إسرائيل؟». الأمر يتعلق بمساعدة إسرائيل بعد الهجمة على الباخرة الإنسانية في عرض مياه غزة التي أدت إلى تسعة قتلى من بين المدنيين الذين كانوا يشاركون في العملية. بحسبه، إذا كان هناك قتلى لأنه كان هناك إسلاميون راديكاليون بداخل الباخرة. يمكننا الاعتقاد أنه في

---

(68) Le point, 8 janvier 2009.

(69) Michel Dreyfus, L'Antisémitisme à gauche: histoire d'un paradoxe, La découverte, 2009.

الوقت ذاته، لو أن عماليات من نوع «باخرة من أجل الفيتنام» أو حروب البلقان، النظام الفيتنامي أو ميلوزوفيتش قد قتلوا مناضلي عملية إنسانية، لن يبحث عن ظروف للتخفيف عن هذا النظام، قتل هؤلاء المناضلين قد عومل بطريقة «عبثية». في حالات أخرى، لا أحد يشكك فيها، إن مصطلح «الهمجية» هو الذي سيأتي من قلم برنار-هنري ليفي. يستعيد مرة أخرى الحجة التي بحسبها أن الجيش الإسرائيلي هو الأكثر أخلاقية في العالم. هذه الحجة هي الأكثر استعمالا من قبل مصالح الاتصال الإسرائيلية. يرتكز على أنه فيما يتعلق بالقدرات التدمير لديه، الجيش الإسرائيلي، يبرهن على الاحتفاظ بها إزاء الفلسطينيين. حجة جميلة للدعاية! لكن هل من المقبول أن يعاد استعمل مثل هذا من قبل مثقف فرنسي يدعي أنه جامعي؟ بماذا الجيش الإسرائيلي هو أكثر أخلاقية من الجيش السويدي، الفنلندي أو حتى الفرنسي؟ هذا التصريح مفند بانتظام من قبل المنظمات غير الحكومية الإسرائيلية، التي بالعكس تضاعف الأخبار حول المعاملات السيئة التي تمارس يوميا من قبل بعض الجنود ضد السكان الفلسطينيين دون أن يتعرضوا لأي عقوبة. هناك حتى حقيقة بعض التجاوزات تصل إلى قتل فلسطينيين، من ضمنهم أطفال بكل حصانه. يجب أن نتحلى بكثير من الرصانة لنعتقد أن جيش الاحتلال يمكنه أن يتصرف بطريقة أكثر أخلاقية من جيش آخر.

مثقالان، وقياسان

برنار-هنري ليفي يعرف التنديد بشراسة. «ما يهم، هو مثلما كان منذ ثمان عشر سنة، تطلق النار ببرودة على المتظاهرين». يندد بالحجة التي بحسبها البلد الذي هو محل نزاع لا يتنازل وأن المقاطعة، بصفة عامة، لن تجد أبدا. «لن نعرف أبدا ما لم نجرب، ليس لنا ما نخسره، إذا حاولنا والشعوب لها الكثير لتربحه[70]». هل هو بصدد طرح مقاطعته لإسرائيل جوابا على قمع الجيش الإسرائيلي للفلسطينيين؟ آه، لا، الأمر يتعلق بخطأ. في الواقع، يتعلق الأمر بالقمع الصيني لتيبيت. برنار-هنري ليفي، إذا أثبت

(70) Le Point, 4 avril 2004.

السياسة الإسرائيلية القمعية، للسكان المدنيين، فهو يندد بالسياسة الصينية اتجاه التيبيت. يندد بهذا البلد ويقترح إذن مقاطعة. كان يحتج كثيرا حين كانت الجامعات الفرنسية تريد قطع علاقاتها مع الجامعات الإسرائيلية، نذكر بأن هذه المقاطعة تجعلنا نفكر في اللحظات الأسوء للتاريخ، يقيم موازاة مع مقاطعة المراكز التجارية اليهودية في الثلاثينيات بألمانيا النازية.

في 12 أكتوبر 2007، برنار-هنري ليفي يوقع مع باسكال بروخكنر وآندري جلوكسمان مقالا ينددون فيه بثورة أخمدت بالدم والإقامة الجبرية لحاصل على جائزة نوبل للسلام. طلب بعث وفد برلماني مدعما بأهم الأحزاب السياسية لمعاينة الوضع. هل الأمر يتعلق بفلسطين؟ مرة أخرى تائه؟ إنه بخصوص برمانيا؟

مثال آخر: «جزء مني لا يمكنه أن يحتفظ بفورة صماء أمام الخلل الفادح، بين هذا التسلح السخري من جهة، ومن أخرى، فواهة قنابل خورسيال، يملئونها بالبنزين والمسامير تقذف على مستوى منخفض بالأنتونوف، تحول القرى إلى رماد وموتى[71]». نقد لوضعية الشرق الأوسط؟ قطعا ليس ضربة حظ. لا، هنا أيضا لا يتحدث عن فلسطين، بل دارفور.

برنار-هنري ليفي يوقع مع صديقيه، رومان جوبلان وآندري جلوكسمان: «ندين الإرهاب، لكن لا نطرد الإرهاب بقصف المدنيين[72]». تنديد شديد بالطريقة التي تتصرف بها الحكومة الإسرائيلية؟ هيه، إذن، مرة أخرى قلت! هذا الاستدلال يعادل سوى الروس إزاء الشيشان، وليس هدفا ليصبح عالميا.

في لوباريزيان في 13 مارس 2011، أثار «رعب حرب حيث تبعث طائرات لقصف سكان مدنيين عزل». هل غير رأيه بخصوص حرب غزة التي ساندها؟ لا، اطمئنوا، إنه يتحدث عن ليبيا.

---

(71) «choses vues au Darfour», Le Monde, 13 mars 2007.

(72) Le Figaro, 13 novembre 1999.

يمكننا أيضا أن نسخر من العديد من أمثلة النذالة الجسدية للذي يلعب باستمرار وضعية، على طريقته أن يكون ودودا مع أناس السلطة ومحتقرا جدا من الآخرين إلخ. برنار -هنري ليفي لا يغرق. هذا تكلم عنه طويلا في تحلل نقاش الثقافي الفرنسي.

الحرب الأهلية في ليبيا ستعطيه الفرصة ليتبوأ مكانته من جديد بطريقة استعراضية. بعد أن صرح بقلقه في بداية الثورات العربية -الخطر الإسلامي! - برنار-هنري ليفي ركب بسرعة كبيرة مثل شركائه «المغالطين» الموجة. ألم يعارض من قبل في 2003 حرب العراق في حين أن هؤلاء ساندوها؟ ليست لهم التزامات مهنية ولهم الوسائل ليسافروا بحرية؛ في البداية ذهب إلى القاهرة، ثم ذهب إلى بنغازي في طائرة لأحد الخواص، رفقة صديق صحفي ومصور. بعد أن انتظروا لبضعة أيام. استقبل من قبل زعماء المجلس الانتقالي نوعا ما اعتراف دولي. اقترح عليهم أن يكون وسيطا لهم لدى الرئيس الفرنسي. ساركوزي انتهز الفرصة لأنه كان في وضع سيء ديبلوماسيا، وفرنسا كانت متهمة بأنها كانت وراء الثورتين التونسية والمصرية وكثر الحديث عن الاستقبال الفاخر للقذافي بباريس في 2008. برنار-هنري ليفي اصطحب ممثلين عن المجلس الوطني الانتقالي إلى الإليزي الذي اعترف به مباشرة ساركوزي. هذا الأخير بسط قوته المعتادة لإقامة حظر جوي فوق ليبيا من أجل منع القذافي من ارتكاب مجازر التي قام بها في بنغازي. في حين أن بعض الذين يشتكون غالبا ظهروا على أنهم غير راضين على السرعة التي تبع بها ساركوزي برنار-هنري ليف، أغلب كتاب الافتتاحيات الأصدقاء احتفوا بدور «وزير الشؤون الخارجية المكرر» الذي نزواته قد سمحت بتجنب وقوع مجزرة.

ليس لأن لبرنار-هنري ليفي مقاربة مانية للأشياء التي يجب أن تحكم على فعله الفاشل في ذاته. يمكننا أن نكون متيقنين أن القذافي يكون قد تعهد وأن حمام من الدم كان سيحدث ببنغازي لولا أن القوة الدولية لم تمنعه. لا ينكر أن برنار-هنري ليفي قد أقنع ساركوزي بأن يتصرف. لا تهم النوايا الخلفية، هؤلاء وأولئك يعرفون بوضوح ونزاهة أن دورهم كان ضروريا.

ليس بالقدر الذي أعلن به دعاة برنار-هنري ليفي. هذا الأخير يتهم لوكي دورسي بالوهن والجمود. اقترح أن تبدأ فرنسا بقصف كتائب القذافي فقط حول بنغازي. لكن لحسن الحظ أن آلان جوبي والديبلوماسيين الفرنسيين قد عملوا على الحصول على تفويض من مجلس الأمن بمنح العملية الضوء الأخضر قانونيا وبلون متعدد الأطراف. هذا برهن عكس ما ذهب إليه أنصار ميزة التدخل الأحادي، إلا اذا استعملت الصين وروسيا فيتوهما نظاميا. ماذا كان يحدث لو أن فرنسا قد هاجمت لوحدها القذافي خارج كل شرعية وبلا ضغط دولي؟ كانت ستعزل، تنتقد وستمنى بدون شك بفشل إستراتيجي لم تعرفه منذ عملية السويس الكارثية في 1956. الاعتراف السابق لأوانه بالمجلس الانتقالي قد حال دون جبهة أوروبية موحدة. إن التصرف بسرعة للحصول على استحقاق العملية لعب دورا كبيرا في رفض ألمانيا مجاراتنا.

مستحسنو برنار-هنري ليفي لم يكونوا على خطأ بتصريحهم أن تدخله الأولي قد ساهم في تجنب كارثة ببنغازي. وصحيح أيضا أن اتباع مجموع دعواته كان سيتسبب كارثة لفرنسا ويخلق شروط كوارث أخرى في المستقبل للمنطقة.

خاتمة

لا زلت أنتظر الجواب على السؤال الذي أطرحه في الكتاب. مرة أخرى كذلك أتجنب تكرار نفسي، لأنه لا ينطوي على خلافات إيديولوجية، إنها طبيعية وحتى مرغوب فيها وصحية.

أتحدث عن العلاقة مع الصدق والفرق بين الحقيقة والكذب، هل شكّل معياراً أم لا للتميُّز والمصداقية؟

لم أتلقَّ جواباً، إما ضمني أو سلبي.

خاتمة غير منشورة
نقد ساركوزي أسهل من نقد برنار هنري ليفي

فرنسا ديمقراطية. حرية التفكير والتعبير معترف بها ومضمونة.

جمهورية الأداب تظهر فيها استثناء. تصاهر أكثر الأوليغارشية التي تحاول وضع بوليس الفكر على بعض المواضيع.

من السهل نقد ساركوزي من بيرنار هنري ليفي. في بلد غير ديمقراطي، يكون التعرض لرئيس الدولة لعبة عالية الخطورة. يمكن للمرء المجازفة فيها بحياته، حريته وعمله وآمانه. منذ انتخاب ساركوزي انطلقت شيئا فشيئا حملة الانتخابات الرئاسية، طبعت العديد من الكتب الخاصة في نقد فعل وشخصية رئيس الدولة. باستثناء ربما الفيغارو، استطاع المترشحون الدخول إلى مختلف وسائل الإعلام، تلفيزيون، راديو والجرائد لشرح وجهات نظرتهم والدعاية لكتبهم. لم يكن لهم أي صعوبة في إيجاد ناشرين علما بأن "ساركو قام بالبيع" ولا أحد سجن لأنه انتقده.

النشر وحرية التعبير

لقد اقترحت موضوع هذا الكتاب على 14 ناشر رفضوه. زيادة على أني لم أرسله إلى بعضهم، عارفا سلفا الرد السلبي. بالتأكيد، أني إلى حد هنا لم أنشر أكثر الكتب مبيعا، لكن كتبي دائما بيعت بنزاهة، أحيانا حتى بمعدل فوق المتوسط، لم تتسبب أبدا في مشاكل لأي ناشر. إذن لم يكن هناك من خطر اقتصادي مسبقا لا يقاوم. كيف يفسر إذن هذا الرفض الجماعي بالرغم من أنه لم يكن مدبرا؟

بالخوف. خوف الانتقام. خوف الخطر. الناشرون الجامعيون الذين أعمل معهم عادة ما حكموا على الموضوع أنه مغال في السجال. هذا يمكن تفهمه. يمكن مع ذلك أن يظهر مناقضا كما يفعل أغلبهم، الخروج من الإطار الجامعي الضيق جدا (شراء الطلبة للكتب في تناقص) البحث عن مواضيع أكثر "مسترعية للانتباه" لجلب جمهور عريض جدا.

الناشرون الموجودون الذين التجأت إليهم لم يجيبون إطلاقا صراحة أنهم يعملون مع كتاب أخاصمهم أو أن لهم علاقة معهم، لا يمكنهم قبول كتابي. البعض قال لي أنهم يستحسنونه ويجدونه صائبا في البرهنة والأسلوب لكنهم يشعرون أنهم غير قادرين على ضمان رواجه.

بعض الناشرين من قيمة أقل أهمية اعترفوا لي أنهم لا يستطيعون خوض مثل هذه المجازفة.

دورهم هشة جدا، جديدة ولم تستقر بما فيه الكفاية ليتأذوا ليس فقط من الذين أدينهم، لكن أيضا، عن طريق الضغط والأصدقاء.إنهم يبحثون عن السجالات كي يعرفوا لكن سجالات ملائمة مع وسطهم المهني. أحدهم قال لي: «هذا الموضوع خطير جدا، لماذا لا تؤلف كتاب ساركوزي كذاب، آخذه في الحال». هم أيضا قد استحسنوا الكتاب في أغلب الأحيان. يعتقدون أنه سيسوق بطريقة جدية لكنهم يخشون قبل كل شيء أن يروا باقي إنتاجهم يتحمل عواقب نجاحه الأخير. أحدهم قال لي أنه لا يستطيع تحمل خطر رؤية مجموع إصداراته المستقبلية ممنوعة تقريبا من الإذاعة على أمواج فرنسا العالمية F.I لأني سأخاصم مديرها فيليب فال. خوفه كان متجاوزا لحده بشكل ظاهر لكن الرقابة الذاتية غالبا ما تكون فعالة أكثر من الرقابة. لذا أستخلص من كل هذا أن نقد رئيس الجمهورية أسهل من نقد بعض الأوجه المتقدمة في العالم الثقافي.

أوليفيي بوافر دارفور، بصفته مدير فرنسا الثقافي F.C، اتخذ بهدوء موقفا في صالح مارتين أوبري في المعارك الانتخابية، دون أن يكون قلقا البتة في موقفه المهني. لا يتردد في أخذ موقف بشكل جلي ضد رئيس الدولة الذي له مع ذلك سلطة تعيين مدراء القنوات العمومية التلفزيون والراديو. لقد

صادفته في نهاية أوت 2010 في ندوة السفراء. تعيينه على رأس فرنسا الثقافة كان ما يزال حديثا. اقترب مني وأباح لي أن له العديد من المشاريع بالنسبة إلى القناة.

وأنه يستحسن كثيرا ما اقوم به وأنه يود إشراكي في الإذاعة. رأيته من جديد في بداية جانفي 2011، جدد اقتراحاته قائلا بأنه يجب الانتظار الفصل المقبل من أجل تنقيح لوحة الرواتب.

ألكساندر أدلر غادر فرانسا الثقافة ليلتحق بأوروبا 1، قد غير رأيه. نشر المثقفون المغالطون جعل في رأيه أنه من المستحيل أن أحصل سوى على عمود أسبوعي في فرنسا الثقافة. لم يكن يريد أن توجه له الملاحظة في دوائر أخرى. أن تعارض ساركوزي هذا ليس مشكلا، مواجهة بيرنار هنري ليفي وأتباعه هذا شيء ممنوع: مستحيل، هذا يرعبه. لا يسمع سوى شجاعتهم التي لا تقول له شيئا البتة «السيد الأخ» يمشي إلى الخلف.

موريس زفران، نيكولا دوميناش (ماريان) وفرانس أوليفيي جييسبير (الموقف Le Point) قد نشروا كتبا عنيفة حول ساركوزي داعسين بالأرجل على قواعد «الخارج» OFFالتي تمنع قول مواضيع ليست عمومية لكنهم لا يقبلون أن يكون المثقفون المغالطون في مجلتهم موضع خصام، هذا من المصادر المفتوحة والعمومية!

بعد تعرض للعديد من رفض الناشرين، بدأت أفشل في التفكير في نشر الكتاب على الأنترنيت أو إنشاء بنية نشر بشرط إيجاد موزع. تساءلت بالخصوص عن حقيقة حرية التعبير إذا ما أردنا اتهام بعض نجوم وسائل الإعلام. هناك العديد من دور النشر، لكن التنوع لا يخنق الوسط. في محاولة أخيرة بعثت بالمخطوط إلى ثلاثة ناشرين مختلفين الذين لا أعرفهم إلا بالاسم. 48 ساعة من بعد، توصلت بمكالمة هاتفية من عند أحدهم: جون كلود جاوسفيتش Jean Claude Gawsewitch، الذي قال أنه مهتم بالموضوع. أنهينا القضية بسرعة، جون كلود جاوسفيتش ناشر لا مثيل له. متفتح الأفكار لا ينشر الكتب التي تتوافق مع آرائه الخاصة فقط وله كأولوية الاستقلال. لم يكن يخاف من الضغوط، يعرف بما فيه الكفاية خفايا الوسط

حتى لا يرعب. في الوقت الذي كان يدير فيه منشورات رامساي Ramsay، كان قد نشر منذ 30 سنة كتاب إرفي أمون وباتريك روتمان، المثقفون الانتهازيون الذي يندد بتواطؤ عالم النشر ومختلف الاتفاقيات بين الأصدقاء الذين يرأسون الجوائز الأدبية.

السحب الأول كان 4000 أو 5000 نسخة. كنت أعرف أني سأتأذى بالحديث عنها في وسائلا الإعلام وكنت أعتمد على الشبكات الاجتماعية والأنترنيت من أجل ترويجها. القول بأني لم أقرأ الصحف حينها سيكون كذبا وكان لي بعض المقالات السريعة ودعوات من وسائلا الإعلام. لكن الكتاب راج بطريقة "من الفم إلى الأذن" للعديد من القراء، مبدلا عند اتصالهم الخاص لذة القراءة بقراءتهم للكتاب. الجمهور هو الذي استدرج وسائل الإعلام للحديث عن الكتاب أكثر من استدراج وسائل الإعلام الجمهور لقراءة الكتاب. أيضا، أن نوفيل أبسلفتور تتحدث عنه بطريقة نقدية إلا بعد 4 أشهر من صدوره، ماريان Marianne، لكسبريس L'Expresse ولوبوان Le Point وليبراسيون Libération قاطعت الموضوع مع ذلك هو في صميم انشغالاتها، لكن القاطرة لم تذهب في الاتجاه الذي أريد لها. لقد كنت أيضا مدعوا، لحصة «لوجران جورنل » على قناة كنال بلوس ألغيت في آخر لحظة.

ترتيب من مستوى متوسط سريعا جعل الحصول على الكتاب صعب في العديد من المكتبات، جاعلا الناس يطالبون به، والمكتبات قامت بترتيبات أكثر منطقية. سريعا جدا، أصبح ضمن مصاف أحسن الكتب مبيعا، من صنف المحاولة وبقي كذلك حتى الصيف. بدا رد فعل اقتصادي مثلما هو متفتح ثقافيا، كلود جاوسفيتش باشر طبعات جديدة ومنتظمة، حوالي عشرة للصيف، ضامنا بهذه الطريقة التوفر الدائم للكتاب.

في الأخير بفضل نجاح الكتاب لدى الجمهور، كان لي طبع أكثر مما كنت أخشاه في البدء. لقد تفاجأت بشكل رائع ليس فقط بالنجاح الكتاب لدى الجمهور، لقد أسرني هذا شخصيا لا أخف هذا، لكن أيضا بالنسبة إلى ناشري الذي كان يرى شجاعته قد جوزيت. لقد تشجعت خصوصا بعدد

رسائل التشجيع والتشجيعات التي توصلت بها، أشخاص لا أعرف أكثرهم والذين قالوا لي كم أعجبهم هذا الكتاب، كم كانوا سعداء برؤية تأكيد حدسهم وبرؤية التضليل منزوع القناع.

إن نجاح هذا الكتاب لدى الجمهور الذي لم يكن له درس رائع في البداية، كان بالإمكان أن يكون موضوعا جيدا للتأمل للبحوث الصحفية، وهذا ما لم يحصل لحد الآن.

علاوة على ذلك الكتاب على العموم قد استحسن جيدا من قبل الصحفيين. وبشكل أقل من قبل مسؤولي التحرير. الملاحظات الأولى تعرية أساليب التواطؤ التي يعانون منها لأن هذا يمنعهم تناول بعض المواضيع. غالبا ما ثنى الآخرون عن دفع هذا البحث إلى ما وراء الحدود المنشودة بحسبهم. الغالبية العظمى من بينهم قد شاركوا في «النباتات الليلية»[1].

الذهان والتعلق

من بين ما العيوب التي قدمت إلي، أكثرها تواترا هو أني مهوس بالصراع الإسرائيلي الفلسطيني. فهو على الأقل قلب نظام الأشياء. ألاحظ أن عدد الأشخاص الذين أتعرض إليهم (لكن علاوة على ذلك ليس الجميع) يجعلون من هذا الصراع أهم انشغالاتهم وقائمة قراءتهم الأساسية، بل الوحيدة، قضايا دولية. إنها حالة بيرنار هنري ليفي الذي يكرر بالتنافس أنه المدافع بلا شرط عن إسرائيل (كيف يمكن لمثقف أن يقول غير مشروط لأي كان، لأن هذا يعني مساندة قبلية، دون سابق تفكير؟)، أليكساندر أدلر وفريديريك آنسيل، حتى ولو كان لهذا الأخير استراتيجية إخفاء هذه الخاصية في الفترة الأخيرة. نرى جيدا أن فال، سيفاوي وفوريست قد اختاروا في الوقت المناسب المساندة المباشرة للسياسات الإسرائيلية منذ 2011 والتعرض أولويا لأولئك الذين يعارضونها على أساس تنديد كل الاتجاهات الإسلاموية والإرهاب.

---

(1) انظر فصل «بيرنار هنري ليفي إله وسيد المغالطين».

لأخذ نموذج آخر من بين مائة مثال، بول عمار الذي يستضيف بانتظام ثلاثة أشخاص مذكورين سابقا، يرفض بمنهجية حضوري في حصته، لأنه لا يستحسن مواقفي بخصوص الشرق الأوسط. هذا حقه في أن يكون في خلاف معي. إنه غير مبرر اتخاذ موقف إزاء هذا الموضوع، شرط توجيه، هذا مفهوم في وسيلة إعلام مشتركة، وليس على قناة خدمة عمومية. أيضا في نوفمبر 2010، صحفية وهي تحضر حصتها اتصلت بي للحديث عن التوتر بين الكوريتين. أعطيت موافقتي للحضور مراهنا بأني سوف أقصى. هذا قد حدث فعلا. بالنسبة إلى بول عمار، حتى الحديث عن كوريا الشمالية يجب أن يكون لك الموقف الجيد بالنسبة إلى إسرائيل. وأنا الذي كنت أشكل إستحواذا؟

في مقال منشور في جريدة لوموند، في 19 جويلية 2011، كتب الآن ميري الذي سأكون موضوعه «جرح ذهاني» وفضل أن أتحدث عن كرة القدم.

هل أنا ذهاني؟ عندي كل حالات بعض الأعداء من ضمنهم بمن في لوموند حتى ولو أني بالفعل مرحب بي حين أتحدث عن كرة القدم (لقد التزمت بعمود منتظم خلال كأس العالم لسنة 2010)، لقد تألمت كثيرا منذ 2001 وقد انطلق السجال ضدي، من قبل إيلي بارنافي Elie Barnavi، حينها نشر سفير إسرائيل بفرنسا مقالات

تخص الجيو-سياسة، قمت بها مع ذلك دون أي مشكل في سنوات التسعينيات، الفترة التي مع ذلك كنت أقل تجربة وتوضيحا. ربما أن عيب الهوس إزاء صراع الشرق الأوسط كان بالإمكان أن يكون بفائدة أكثر أيضا الموجهة إلى زميله. نيكولا وييل Nicolas Weil، الذي كان يراقب عن قرب ما يمس في نقاش الأفكار في الجريدة والذي في كتاب مكرس إلى معاداة السامية، قد قارنني ببساطة كبيرة بروجي جارودي Roger Garaudy هذا ما يمكن أن يسمح بطرح بعض الأسئلة حول معنى التفرد وموضوعيته الثقافية) والذي صرح لي في إحدى الأيام في الهاتف، حينها كنت أسأل حول ورقة لم تقترح إطلاقا، أنه يرى أن لي رؤية كافية في أن العالم لن يقدم لي أكثر منها.

أنا لست مهوسا بشيء بخصوص الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، بعكس بعض متهمي الذين يتخذون منها بوصلتهم. أعتقد أنه أحد الصراعات الأساسية، وفي كل الحالات له أكبر صدى في مجتمعنا. بعكس العديد من المثقفين أريد مواصلة الحديث عنها بحرية، دون وضع الضغوط والانتقامات في عين الاعتبار، دون أن يكون توجهي موجه بالخوف.

إخبار الجمهور أو تثقيف شبكته؟

الكاتب يعيب بشكل منتظم أني أصفي حساباتي أو بالأحرى أني أنا ذاتي أنتفع من عرض إعلامي جيد لأتعرض لمثقفين متوسطين يجيب آخرون. لكن هل يجب أن نكون مهمشين كي يكون لنا الحق في مهاجمة الأشخاص المركزيين؟ ألم أبرهن عن الشجاعة بمجازفتي بمواقف محققة؟

إن التناوب هو التواطؤ الذي أندد به علاوة على ذلك. إننا لا نغضب من أناس يمكن أن نلتق بهم في الحصص، الذين يستطيعون قول الشيء الجميل عنك. إن هذا أكثر راحة من التعرض بقسوة للذين يمكن أن يكونوا ضروريين من بعد ومعهم تكون مخاطرة المواجهة بأمر من موقع قوتهم.

لقد ركزت على القضايا الاستراتيجية لأنها مجالي والتي أعرف دروبها. وإذا كانت هناك قضايا الشرق الأوسط والإسلام عديدة في الكتاب ذلك لأنها إحدى مواضيعها الأساسية.

في إحدى الأيام في اجتماع داخلي، صرح أحد الصحفيين من أجل التشديد على توجيه أكثر انفتاحا على الجمهور: «يجب الاختيار بين "عشاء القرن" والجمهور» (تناول وجبة العشاء التي تجمع عددا محدودا من المسؤولين السياسيين ررؤساء المؤسسات والصحفيين) مديره أجابه: «لكني أحد المدعويين لوجبة عشاء القرن!» هل هذا يطرح مشكل بجنسية مزدوجة؟ يمكن اعتقاد ذلك لأن التوقعات ليست هي ذاتها؛ يريد الجمهور خبرا مفتوحا كاملا ومتناقضا. يمكنها أحيانا أن تختصم أشخاصا أصحاب نفوذ، أحد مديري التحرير يمكن أن يشعر بالضيق أن يكون فضا مع شخص تربطه معه علاقة جيدة وبالتأكيد يكون له شعور بأنه ينتمي إلى العالم نفسه.

إن رضا القراء، المستمعين والشاهدين يتحدد بالمعنى العريض. إن خطر الصداقة أو الكراهية مع شخص ذا نفوذ في عالم الأدب يمكن أن يترجم في الحال وبشكل عنيف، إن العنف يضر بمصداقية وسائل الإعلام لكن في حدود فقط. ربما أن المسؤول من الآن إلى وقت قصير لن يكون له وجود على الإطلاق ربما، سيكون قد غير وسيلة الإعلام أو دار النشر. مصالحكم لن تصيبها عدوى هذه المصداقية وسيكون فضلا عن ذلك من الصعب أن نعزو إليه سببا واحدا ومن هنا ستخفف مسؤوليتكم. إن إحساس رجل ذي نفوذ الذي تكون قد أسأت إليه سيكون له تأثير مباشر، من هنا فصاعدا لماذا تكريس المعنى القصير للمعنى الطويل؟

العديد من الأشخاص حذروني خلال صدور الكتاب، أن العواقب ستكون وخيمة. البعض سألني ما إذا كنت متأكدا بأن يكون لي محام جيد لأن شكاوى القذف لن تكن ناقصة. انتهت المهلة ولم ترفع أي شكوى بالطبع، لأنه لم يكن هناك قدح، بل توضيحات كانت مقلقة. ردود الفعل التي ظننتها كانت غير مباشرة.

بعض الأبواب الإضافية قد أغلقت في وجهي، كنت واعيا جدا أنه سيكون من الصعب أن أكون حاضرا في قناة فرنسا الثقافية، لقد أثرت رد فعل أوليفيي بوافر دارفوار لفرنسا الثقافة. أعتقد أني أعرف أن دوني أوليفيرن لا يتمنى أن أنزل ضيفا على أوروبا.

الخيبة الوحيدة الحقيقية جاءت من دانييل ميرمي. مثلي كان دانييل ميرمي موضوع سجال غير عادل وجدير في بدايات سنوات 2000، اتهم بمعاداة السامية لأنه انتقد السياسة الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية. ذهبت لأشهد لصالحه حين محاكمته، في حين العديد من الأصدقاء نصحوني أن أبق بعيدا

لأني كنت من قبل في العذاب. إلى حد هنا لم أدع إلى حصته. اتصلت به هاتفيا قبل صدور الكتاب، موضحا أني لم أكن أنتظر درسا إعلاميا ضخما وأن هذا سيكون جيدا في حال ما إذا كان باستطاعته دعوتي.. أجابني أنه سينظر في الأمر. ذكرته في نهاية شهر ماي، أجاب أنه متأسف

غير أن برنامج مدعويه مقفل إلى نهاية شهر جوان. أعترف بشكي وألححت قليلا، قال لي حينها أنه لا يقبل أن يضغط عليه وأنه لا يتعامل بالمحسوبية.

ستكون المحسوبية هي البحث عن الكتاب الرديء والحديث عنه على الأقل. دانييل ميرمي، لم يريد القيام بالاستفزاز مقارنة بفليب فال الذي ساند حصته، في حين أن العديد من الرؤوس الأخرى قد سقطت في قناة فرنسا الدولية FI.

أثبت العديد من الأشخاص من بعد لراديو فرنسا وفي الخارج، أن دانييل ميرمي متعود على طلب مساندة الآخرين وكان له فهم في اتجاه واحد. يمكنني تفهم محاولته الحفاظ على موقفه وحصته، لم يكن مجبرا على الأعذار السيئة والخاطئة. كل هذا مناسب.

إن العنف والنذالة العنصران اللذان يفسران صمت جزء كبير من الصحافة. لكن على الأقل فرصتي رد فعل سلبيتين قد أظهرت فيما بعد إرادة الدفاع عن مكانتي وهي أن لا نقبل بآخرين يأتون إلى حقل نقد المغالطين. فليب كوهن (ماريان) قد اتصلت به ملحقتي الإعلامية مؤلفة كتاب قوي المرجعية وقوية النقد اتجاه ب. هـ. ل[2]، كانت تعتقد أن لها استقبال إيجابي معه أكثر من إدارة ماريان. اشتكى إليها فيليب كوهن من نجاح كتابي، في حين كتابها كان يتوفر على أقوى مرجعية. أعترف بكل صراحة أن بحث فليب كوهن كان أكثر عمقا من بحثي. لكنني لست مسؤولا عن قلة المبيعات. هذا ما يفسر أن ب. هـ. ل. لا يهم الجمهور أو أنه يستحق الرفض. إذن لن يشتر كتاب يتحدث عنه. دليل ذلك أن نوفيل أوبسرفاتور التي هي في صالحه قد توقفت جعله في واجهتها. هذا ليس بسبب العداء بل لأنه يكون أسوأ بيع في السنة دائما.

إذا كان لكتابي نجاح ذلك لأنه يفكك نظاما وليس ب. هـ. ل. وحده.

توصلت في نهاية شهر جوان 2011 برسالة إليكترونية من ماتياس

- Philippe ohen, BHL: une biographie, Fayard. 2005. (2)

رايمون، يخبرني فيها أنه بصدد تحرير مقال حول "المثقفون المغالطون" يريد فهم طريقة عملي طالبا مني فجأة: «هل دعوة زنجيا الذي يكون قد نسخ إلى أبعد حد مكانك أم هل قمت به بمعرفة؟ » تفاجأت باللهجة قليلا، من أجل أقل توضيح (يظهر أن لرايمون طريقة يوفر الأجوبة في البداية وبعد ذلك يسأل)، اتصلت بصاحب الرسالة الإلكترونية الذي بدأ في الهاتف بشكوى طويلة لكوني من بين الكتب والمقالات التي ذكرتها قد نسيت المؤلف الجماعي الذي ساهم فيه: الناشرو-قراطيين، ومقال حول آدلر الذي نشره في لوموند ديبلوماتيك. أرى أنا أيضا قد عيب علي أني قد أذيع اسمي عن طريق وسائل الإعلام وقدمت خطأ كرائد في التنديد بالمغالطين.

كان لي شعور القيام بشيء اتجاه الشخص الذي يود أن يكون له احتكار التنديد والذي لا يتحمل المنافسة ويعبر عن إحساس مؤلم اتجاه نجاح كتابي، معاناة حقيقية من جراء عدم ذكري له، إذن اعتراف بتفوق كتابي.

بقيت حائرا نوعا ما بعد هذه المحادثة. وتفاجأت أكثر، حين نشر ماتياس رايمون في 04 جويلية 2011 مقالا عنيفا ضدي استعاد فيه المحادثة الهاتفية التي كنا قد أجريناها والتي لم يخبرني بها إطلاقا وكان قد سجلها أو كتبها كملاحظات. طيب، إنها طرق المؤامرات بلا أقل شك.

بخلاف أقواله، لم أدع أبدا أني أول من انتقد المثقفين المغالطين. زيادة على ذلك قد ذكرت في كتابي العديد من الأعمال السابقة لكتابي، لكن للأسف ليس عمل م. رايمون. كتب في مقاله أن: «أبسط حدث هو أن لاديكوفيرت ليست دار نشر مهمشة أو مهدمة هي التي نشرت الناشروقراطيون، يظهر أن نقد المثقفين المذاعين إعلاميا لا يتسبب في هروب كل الناشرين مهما كان كون العمل قابلا للنشر قليلا.» م. رايمون لم يعمق بحثه، لاديكوفيرت بما أنها رفضت مشروعي حول "المثقفون المغالطون".

ألحت في التفكر أن "المثقفون المغالطون" يتميز عن باقي الكتب الأخرى وبالتحديد "الناشروقراطيون". الكتابان مختلفان جدا.

"الناشروقراطيون" كتاب جماعي، مجموعة من عشر أوجه، يضم في جانب منه شخصيات ذائعة إعلاميا مفروض فيها أن تدافع عن الفكر الموحد والذي يتناول أساسا القضايا الاقتصادية والاجتماعية. اكتفيت بالحديث عن القضايا الاستراتيجية، مجال اختصاصي والصور تلتها في الجزء الأول العام الذي يصف المحيط الاستراتيجي (التنديد بإسلام ما بعد 11 سبتمبر، الفهم المبالغ فيه للتهديد الإرهابي) الذي يفسر أن الكذب يمكن أن ينتصر. علاوة على ذلك، أن هذا الجزء هو الذي برر رفض منشورات لاديكوفيرت نشره، حاكمة عليه أنه قليل الدقة وبطبيعة الحال عرقلة النجاح التجاري للكتاب، في حين كانوا راضين عن نجاح "الناشروقراطيون".

أعترف ل م. رايمون أنه قد استعاد في مقاله استشهادات أقوال ألكسندر آدلر التي قالها في فرانس كولتور .F.C إن الدقة الجامعية تقتضي أن أسجل «ورد في »بالعودة إلى المقال حيث وجدت هذا الكلام. لكن أن ذكر شخصا في مقال لا يجعله صاحب الاستشهاد واستعادة الاستشهاد ليس سرقة، بعكس ما يدعيه م. رايمون.

إن هذا الأخير يبرهن عن تحديد بلا عيب ويظهر أنه قد استثمر في الحصة من أجل مصراعتي. لقد أثار انتباه العديد من الجرائد التي انتبهت إلى كتابي من أجل ذكره في ورقته. في أحدى المناسبات قد اعتمد على شخص يكن لي عداوة شخصية لأنه يعتبرني مغال في نقد إسرائيل. أخير ظهر أن م. رايمون كان له بثبات معدل وصفتي في ويكيبيديا لإضافة مرجع لمقاله الخاص. بالقدر الذي لا تشرف الطرق الماكرة مستعمليها، أيضا لا يشرفهم أكثر تقديم أنفسهم من درجة فارس.

قالت ماريان بيرل عن ب.هـ. ل إن أنانيته قد قتلت العقل. يظهر أن الملاحظة ذاتها يمكن تقديمها إلى م. رايمون.

أحد مسؤولي لوموند ديبلوماتيك الذي صرحت له بشكي بخصوص طرقه قال لي أن له نوع من التعاطف مع الخمير الحمر. إنه بالأولى التأسف من الإلحاح في التفكير أن أكريميد Acrimed قام بعمل شاف وضروري. مثلا، المقال المحرر بعد عمليات أوسلو حيث سجل خلل في وسائل

الإعلام التي أسندت هذه المجزرة إلى القاعدة بلا ترو، التي ليس لها معادلا في الصحافة المكتوبة[3].

لا شك أن عصا أخرى من هذا النوع قد تعترض طريقي من قبل أشخاص إما عن طريق مساندة الذين تعرضت لهم، إما خوفا من إغاضتهم، سيتجنبونني تماما.

رد الفعل المباشرة كان رد كارولين فوريست، بالافتراء في جوابها الوحيد:

مستضافة للإجابة على كتابي في حصة «المتشدقون الكبار » في 06 جوان 2011 على ر. ك. س. أنفو، أجابت:

«باسكال بونيفاس يقدم نفسه كجامعي، يقضي وقته في الحقيقة مساندا أنظمة جديرة نوعا ما بالاحترام ويهاجم كل شخص يدافع عن العلمانية. [...] ما لا أقبله من باسكال بونيفاس، [...] هو أن يخيم الشك أن شخصاً اشتغل على الأصولية وبالتحديد على الأصولية الإسلامية، يكون قد باع نفسه إلى اللوبي الصهيوني. لأن هذا مشكله الكبير وهوسه. [...] لكن صراحة، هذا اللؤم الثقافي يجعلني أحيانا أرغب في معرفة من يمول مخبر البحث الخاص لبسكال بونيفاس».

إن هذا الجواب اللاذع لكارولين فوريست يواجه تماما ما كتبته عنها. كارولين فوريست قدمت اتهامات خطيرة جدا، تستحق إدانة صارمة. ليس هناك إلا مشكل واحد: هذه الاتهامات كاذبة. من أجل الإجابة عن اتهامات المغالطة التي قدمتها لها، استشهادات للتعزيز، أجابت كارولين فوريست بالكذب، الخلط والافتراء.

«أقدم نفسي كجامعي» تعتقد إذن أن هذا خطأ وأني أمارس التطاول على الألقاب. في هذه النقطة، من الأحسن لكارولين فوريست أن تكون إلى

(3) http://www.acrimed.org/article3642.html.

جانب أنسيل. بعد أن كنت أستاذا مساعدا بالجامعة، أنا الآن أستاذ محاضر مثبت منذ 1987 بباريس ثمانية.

أقضي وقتي في «مساندة أنظمة جديرة بالاحترام قليلا.» كارولين فوريست متهمة بتعزيز اتهاماتها. أعتقد بالنسبة إليها أن معارضة حرب العراق تعود إلى مساندة صدام حسين. أعارض صدام الحضارات والتنديد بالإسلام، أنا لا أساند الأنظمة. كارولين فوريست، بالعكس، لم تعارض أبدا مساندة آدلر لابن لادن وابن علي وبشار الأسد. وهي ذاتها كتبت في جوان 2009، بعد خطاب أوباما بالقاهرة: «إنه لمن الخطورة الدمقرطة قبل الدنيوية. ما دام الإسلامويون يقيمون معركة لأقل نفحة ديمقراطية». إنها الحجة الهراوة المستعملة من قبل مبارك وابن علي.

أهاجم «كل شخص يدافع عن العلمانية، المساواة أو حقوق المرأة». هنا أيضا خلط. إذا ما تتبعنا طريقة كارولين فوريست، نقدها ليس لتقديم التناقض لها بل مهاجمة العلمانية، المساواة وحقوق المرأة التي تدعي أنها تتمثل فيها وحدها.

اتهمتها «بأنها قد باعت نفسها إلى اللوبي الصهيوني». لم أستعمل أبدا هذا التعبير. أستخلص ببساطة أن كارولين فوريست تكيل بمكيالين في التنديد بالأصولية الإسلامي.

تتحدث عن «لؤمي الثقافي». من جانبها هذا تتمة. لقد أثبتت أنها سيدة المادة.

كل هذا «يعطيها الرغبة في معرفة من يمول المخبر الخاص لبسكال بونيفاس.» يفهم من هذا الافتراء المنتظم المستعمل ضدي من قبل الدوائر المتطرفة المقربة من إسرائيل، يلمح أني ممول من قبل أنظمة عربية. إ. ر. إ. سIRIS . هي جمعية قانون 1901، التي مجلسها الإداري يمثل تنوع المواقف في فرنسا (القائمة متوفرة في موقعنا : http//www.iris-France.org) الذي تحصل منذ سنتين باعتراف المنفعة العامة قد كان شكل موضوعها، منذ أربع سنوات، لتفتيش مجلس المحاسبة، الذي أبدى الرضى عن تسييرنا.

في محكمة الاتهام لفوريست، الاتهام يساوي الإدانة. الأدلة ليست

ضرورية لأن القضية التي تدافع عنها عادلة. أعرف أن هذه الهجمات من الفساد النادر لن تغير وضعيتها، ستكون دائما محمية من قبل اصدقائها كتاب الافتتاحيات وأصحاب الإعلام، لكن الذين يعرفون حقيقة طرقها سيقتنعون أكثر بلؤمها الثقافي وتصرفاتها مع الحقيقة.

لها مهارة في إطلاق الإشاعات. من قبل في البدء «مارين أوبري، المتعاطفة الإسلامية «جراء نشر عملها "المحاولة الظلامية" حيث تتهم زوجها الذي كان محاميا للشابتين حاملتي الحجاب، وتعود مع» التمويلات المشبوهة ل إ. ر. س.

يمكن اعتبار فوريست بحسب المعايير الأمريكية مثل «محررة عمود.» لكن بما أن لها سوى تحرير عمود لكل جواب، فهي عاجزة على الرد التوضيحات الواردة في كتابي والغنية بالدلالات. أما فيما يخص التمويلات المشبوهة، كان عليها مراجعة بعض زملائها المغالطين.

كانت لي فرص في العديد من المرات إثبات وكتابة بحسبي أن 11 سبتمبر 2001 لم يغير العالم، وأن هناك فرق مدهش بين المهارة العاطفية (الضخمة) الناتجة عن العمليات والأثر على النظام العالمي (الضعيف). ميزان القوى والتوازنات الدولية لم تتغير بنيويا ب11 سبتمبر.

بالعكس، بعد هذا التاريخ، ثبت مناخ ثقافي صلب لاعتبارات مقززة حيث يقتضي الخوف تجاوزات كبيرة. التنديد بالإسلام، المبالغة في التهديد الإرهابي إلى درجة وضع توازن استراتيجي للتهديد السوفياتي إبان الحرب الباردة، التضامن اللامشروط مع إسرائيل، التأهب للتصدي للإرهاب، التمثل الإسلامي=الإرهاب، الحفاظ على جو قلق وجودي وسط العالم الغربي الذي يرى أن احتكاره للقوة في الاندثار.

أعرف أنهم غير مستعدين للاختفاء من المشهد، يواصلون بالعكس التكاثر. آدلر -الذي لم يطرده بوافر دارفور من فرانس كولتور- ذهب من تلقاء نفسه إلى أوروبا. منح فال لأنسيل حصة يومية في الصيف على فرانس أنتير. إذا كان قد أسند حصة يومية لصحفي لوموند ديبلوماتيك، يفترض أن يتسبب هذا في موجة استنكار باسم الذاتية للشخص المختار. فيليب فال لم

يكن باستطاعته إطلاقا إسناد هذا النوع من الحصص إلى جيل ويليام جولنابيل، الذي هو رئيس «فرانس إسرائيل.» هنا أيضا، يكون قد محى عيب الرأي القبلي. قنع فريدريك إنسيل التزاماته المشتركة بمظاهر جامعية. إنه مختص استراتيجية التأثير. علاوة على ذلك تحصل أنسيل على اعتراف عالمي خلال هذا الصيف الذي لم يمجده. ذكر في «وصية » أونديرس بريفيك صاحب كتاب رهاب الإسلام عمليات أوسلو.

كارولين فوريست هي أيضا تحصلت على حصة أسبوعية في فرانس أنتيرن (بالتأكيد!). في الوقت الذي صدر فيه "المثقفون المغالطون" نشرت كتابا حول مارين لوبان الذي استفاد من رواج مدهش، لكنه قوطع نسبيا من طرف الجمهور.

كارولين فوريست التي بنت مجدها الإعلامي منذ سنوات قليلة على التنديد بالإسلام باسم العلمانية، رأت نفسها ملبسة في مجال اختصاصها من قبل مارين لوبان. شيء مزعج بالنسبة إلى امرأة اليسار. هذا الكتاب سمح لكارولين فوريست باستعادة اعتبارها في اليسار وجعلها تنسى سخطها على الإسلام. مع ذلك من المسل قراءة 148 صفحة «مارين لوبان وضحت علمانيتها بصفتها باحثة مستهدفة الإسلام فقط» إنه بالضبط العيب المنظم الموجه من قبل الذين على عكس تملقاتها، قد درسوا مختلف كتابات وتصريحات كارولين فوريست إنه أيضا لممتع قراءة 225 صفحة: «لماذا عودة مارين لوبان إلى العلمانية من جديد؟ بكل بساطة أن هذه مواضيعها مستهلكة كثيرا». عيب الانتهازية الذي توجهه كارولين فوريست إلى مارين لوبان يمكن بسهولة أن يرد إليها».

يبقى هل ب. هـ. ل. ليس على حق بخصوص ليبيا؟ ألم تسأل مئات المرات بعد سقوط طرابلس؟ لن أسحب ولو سطرا واحدا مما كتبته حول الموضوع، أربعة أشهر قبل النصر الثوار الليبيون بمساعدة حلف النيتو والذي يوجد في نهاية الفصل المخصص له.

لكن لنأمل على الأقل أن نكون قادرين على الاختلاف معهم، مواصلين البحث عن مجالات تعبيرية، دون أن نفهم على أننا معتوهين ضروريين للإرهاب.